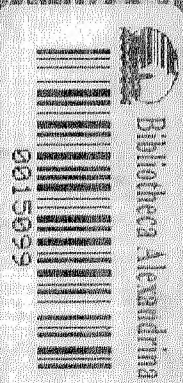


سُجُرُّ الْبَلَاغَةِ وَسُجُرُّ الْبَرَاءَةِ

تأليف
إلى منصور عبد الملك الشعالى النصارى
الطبعة 1961 هجرية

دار الكتب والعمارة
بيروت - لبنان



سُرُّ الْبَلَاغَةِ و سِرُّ الْبِرَاعَةِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُور عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَائِبِيِّ النِّيسَابُورِيَّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

صَحَّحَهُ وَضَبَطَهُ

الْأُسْتَاذُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحَوْفِيُّ

دار الكتب العلمية

بَیروت - لُبْنَان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
صرب ٩٤٢٤-١١ - تلکس : NASHER 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

رب سهل ويسر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على النبي محمد وآله أجمعين^(١).
 أما بعد فإن هذا الكتاب أخرجتُ بعضه من غرر نجوم الأرض، ونُكت
 أعيان أفضل من بلغَاء العصر في النثر، وحللتُ بعضه من نظم أمراء الشعراء،
 الذين أوردتُ مُلح أشعارهم في كتابي المترجم بيتمة الدهر، فلفقتُ جميع
 ذلك ونسقتُهُ، وسردتُهُ وسقته وأنفقت عليه جميع ما رزقته، وعملتُهُ بجهد الخاطر،
 وكَدِّ الناظر، وعَرَقَ الجبين، وتعبَ اليمين، وبَوَيْتُهُ ورَبَّتُهُ وتعمَّدتُ فيه لذة الجِدَّة،
 ورَوْنقَ الحَدَاثَةِ، ومَلاحَةَ الطَّرَاوَةِ، ولم أَشُبْهُ بشيءٍ سوى كلام أهل العصر،
 اللهم إلا قلائد قلائل من ألفاظ الجاحظ وابن المُعْتَزِّ، تخللتُ أثناءه
 وتوسَّطتُ تضاعيفه. ولم أُخلِ كلمةً من كلماته التي هي وسائط الآداب،
 وصياقل الألباب، وما تشتهي أنفس الأدباء وتَلذُّ أعين الكتَّاب، من لفظٍ
 فصيح، أو معنى بديع، أو تجنيس، أنيس، أو تشبيه، بلا شبيه، أو تمثيل،
 بلا مثيل أو عديل، أو استعارة، من الحُسن مُستعارة، أو طَباق، ذي رَوْنقٍ
 باق. فمن مرافق هذا الكتاب، قُرْبُ مُتَنَاولِهِ على بلغَاء الكتَّاب، إذا طَرَّزُوا
 دِيبَاجَةَ كلامهم بما يقتبسونه من نوره، وسماحةً قياده لأفراد الشعراء إذا رَصَّعُوا
 عُقُودَ نظامهم بما يلتقطونه من شُدُورِهِ. فأما المخاطبات والمحاورات فإنها

(١) قال في الهامش: وفي نسخة: أما بعد حمد الله أولى من حمد، والصلاة على محمد
 أفضل من وُلْد، (وهو ما ذكر في كشف الظنون).

تَبَرَّجَ بَغْرَةً مِنْ غُرِّهِ، وَتَوَجَّجَ بِدِرَّةٍ مِنْ دُرِّهِ، وَقَدْ كُنْتُ أَخْرَجْتَهُ فِي نَسَخَتَيْنِ مُتَقَارِبَتِي الْكِفِيَّةِ وَالْكَمِّيَّةِ، مَتَشَاكِلَتِي الصَّنْعَةَ وَالصَّيْغَةَ، أَهْدَيْتُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَبِي سَهْلٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحَمْدُونِي، وَالْأُخْرَى إِلَى صَاحِبِ الْجَيْشِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ هَارُونَ الْكُرْدِي، وَهَذِهِ النُّسخَةُ الثَّلَاثَةُ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا وَتَأْخُذُ بِأَطْرَافِهِمَا وَأَوْسَاطِهِمَا، وَتَزِيدُ بِأَبْكَارٍ طَرَائِفَ وَبَوَاكِرَ لَطَائِفَ عَلَيْهِمَا، وَتُسْتَفِيدُ فَضْلَ تَنْقِيحٍ وَتَهْذِيبٍ وَتَثْذِيبٍ. وَلِتَشْرُفُهَا بِخَزَانَةِ الْأَمِيرِ الْأَوْحَدِ أَبِي الْفَضْلِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْمِيكَالِي، عَمَرَهَا اللَّهُ بِطَوْلِ عَمَرِهِ، وَتَحْلِيهَا بِاسْمِهِ، ثَبَّتَهَا اللَّهُ بِدَوَامِ ذِكْرِهِ، وَتَشْتَمِلَ عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ كِتَابًا، يَتَضَمَّنُ كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا أَبْوَابًا، [وَهَذَا ثَبُتُ الْكُتُبِ]:

كِتَابُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ وَكِتَابُهُ.
 كِتَابُ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا وَيَشَاكِلُهَا.
 كِتَابُ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ مِنَ لَدُنْ صِبْغِهِ وَنَمَائِهِ، إِلَى كِبَرِهِ وَآنْتِهَائِهِ.
 كِتَابُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يَنْضَافُ إِلَيْهِمَا وَيَقْتَرِنُ بِهِمَا.
 كِتَابُ النِّظَمِ وَالنُّشْرِ وَأَصْحَابِهِمَا وَآلَاتُهُمَا وَأَدَوَاتُهُمَا.
 كِتَابُ الْمَمَادِحِ وَالْأَثْنِيَّةِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا.
 كِتَابُ الْمَسَاوِيءِ وَالْمَقَابِيحِ وَمَا يَدَانِيهَا.
 كِتَابُ الْعِيَادَةِ وَمَا يُجَانِسُهَا.
 كِتَابُ التَّهْنِائِي وَالْتَّهَادِي وَمَا يَنْخَرُطُ فِي سَلَكِهَا.
 كِتَابُ التَّعَاذِي وَمَا يَلِيْقُ بِهَا.
 كِتَابُ الْإِخْوَانِيَّاتِ وَمَا يَأْخُذُ مَأْخُذَهَا.
 كِتَابُ السُّلْطَانِيَّاتِ وَمَا يَقَعُ فِي أَبْوَابِهَا.
 كِتَابُ الشُّوَارِدِ وَالْفَوَارِدِ وَمَا يَشْبَهُهَا.
 كِتَابُ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ وَالنَّمَوَاعِظِ وَمَا يَحْذُو حَذْوَهَا.

وهذا ثبت أسماء بلغاء العصر

الذين أخرجت معظم الكتاب من غُرر نثرهم

فمن أهل الشام: أبو الفرج الببغاء، وأبو محمد الفياض، ومن أهل العراق أبو محمد المهلبى الوزير، وأبو إسحاق الصابي وابن عمه أبو الخطاب، وأبو الحسن الموسوي النقيب. ومن أهل الجبل وفارس وجرجان أبو الفضل بن العميد وأبنة أبو الفتح، والصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد، والأمير شمس المعالي [قابوس، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو الحسن] علي بن القاسم القاساني، وأبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، وأبو منصور^(١) بن المرزبان الشيرازي، وأبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، ومن أهل خراسان والطائرين عليها أبو القاسم الإسكافي وأبو يحيى الحمادي، وأبو علي الدامغاني، وأبو أحمد محمد بن اليسع، والأمير أبو الفضل الميكالي، [وأبو بكر الخوارزمي، وأبو الفتح علي بن محمد البستي]، وبيدع الزمان أبو الفضل الهمداني، وأبو محمد الحسن بن محمد البروجردى، وأبو نصر محمد بن عبد الجبار العُتبي.

وهذا ثبت أسماء شعراء العصر

الذين حللت بعض الكتاب من مُلح نظمهم

أبو الطيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني، وأبو العباس النامي، والسري الموصلي، والخلديان: أبو بكر، وأبو عثمان، وابن سُكرة الهاشمي، وأبو طالب المأموني، والقاضي التنوخي، وأبو نصر بن نباتة، وأبو القاسم

(١) كذا في النسختين وفي يتيمة الدهر: أبو نصر.

الزَّعْفَرَانِي، وَابْنُ لَنَكَّكِ الْبَصْرِي، وَأَبُو دُلْفِ الْخَزْرَجِي، وَأَبُو الْحَسَنِ اللَّحَامِ،
وَأَبُو سَعِيدِ الرُّسْتَمِيِّ، وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنِ مَطْرَانَ الشَّاشِي، وَأَبُو الْحَسَنِ السَّلَامِيِّ،
وَابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ الْأَصْفَهَانِي، وَأَبُو مُحَمَّدِ الْخَازَنِ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ بَابَكِ،
وإِسْمَاعِيلُ الشَّاشِي، وَأَبُو الْحَسَنِ الْجَوْهَرِي.
ثم إن هذا الكتاب المشتمل على الكتب الأربعة عشر مترجم:

بسحر البلاغة وسر البراعة

وأرجو أن يكون اسماً يوافق مُسمَّاه، ولفظاً يُطابق معناه، بإذن الله ومشيتته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب

ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه

مقدمات

الحمد لله تبارك وتعالى، إِنَّ أَوْلَى ما فغر به الْناطِقُ فمه، وأَفْتَحَ به كَلِمَه، حمدُ الله، واجبٌ عَلَى كل ذي مقالةٍ أَنْ يبدأ بِالْحَمْدِ قبلَ أَفتتاحها كما بُدِيَءَ بِالنَّعْمَةِ قبلَ اسْتِحقاقها. الحمد لله كما أَفتَحَ كتابه الكريم، وفُرِّقَ به العَظيم. الحمد لله شعارُ أَهلِ الْجَنَّةِ كما قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. حمدُ اللهِ خَيْرُ ما أَفتُحُ به الْقَوْلَ وأَخْتِمْ، وأَبْتَدِءُ به الْخطابَ وتُتِمُّ. خيرَ كلماتِ الشُّكرِ ما أَفتُحُ به الْقُرْآنَ مِنَ الْحَمْدِ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ.

غُررُ التَّحَامِيدِ

الحمد لله الَّذي لم يُسْتَفْتَحْ بأَفْضَلِ من آسمه كَلام، ولم يَسْتَنْجَحْ بأَحْسَنِ من صَنعِه مَرام. الحمد لله الَّذي جَعَلَ الْحَمْدَ مُسْتَحَقَّ الْحَمْدِ حَتَّى لا أَنْقُطاع، ومُوجِبَ الشُّكْرِ بأَقْصَى ما يَسْتَطاع. الحمد لله مانِحِ الْأَعْلَاقِ، وفاتِحِ الْأَغْلَاقِ. الحمد لله إِبْدَاءَ وإِعَادَةَ. الحمد لله مُعِزَّ الْحَقِّ ومُدِيلَه، ومَذِلَّ الْباطِلِ ومُزِيلَه. الحمد لله المَبِينِ أَيْدَه، المَتِينِ كَيْدَه. الحمد لله ذِي الْحُجْبِ الْبَالِغِ، وَالنَّعَمِ السَّوَاعِغِ، وَالنَّقَمِ الدَّوامِغِ. الحمد لله مُعِزَّ الْحَقِّ ونَاصِرَه،

ومذلُّ آباطل وقاصره. الحمدُ لله الَّذي أَقلُّ نعمه يستغرقُ أَكثرَ الشكرِ.
والحمد لله الَّذي لا خيرَ إِلاَّ منه، ولا فضلَ إِلاَّ من لدنه.

وصف الحمد

حمد لا أنقطاعَ لراتبه، ولا إقلاغَ لسحائبه. حمداً يكون لإنعامه مجازياً،
ولإحسانه مُوازياً، وإن كانت الآؤه لا تجازي، ولا تُوازي، ولا تُباري، ولا
تجاري. حمداً يتردّد أنفاس الصدور، ويتكرّر تكرّر لحظات العيون. حمداً
يستنزل الرحمة، ويستكشف الغمّة. حمداً يبلغ الحقّ ويقتضيه، ويمتري
المزيد ويقضيه. حمداً يؤنس وحشي النعم من الزوال، ويحرُسها من التغيّر
والانتقال.

عادة الله جل ذكره

عادة الله لا تُطلب لها غايةٌ إِلاَّ قصرت الآوهامُ عنها، ولا تنسخ فيها آيةٌ إِلاَّ
أُتي بخيرٍ منها، لا يزال الله يجرينا على أحسن عادة، ويقسم لنا أفضل
سعادة. عادة من الله كريمة لا تخلف، وعادة من تفضله لا تخلف، على أحسن
ما أعْتيد، من إحسانه العتيّد، عادةً الله جميلة تفوت الشكر وتسبّقه،
وتستوعب الحمد وتستغرقه، عادات الله قد فاتت مرام الهمم، وشأت تواريخ
الأمم.

صنع الله ولطفه

للدّهر نوائبٌ تتخرّم وتتطرّف، ثم إن غمراتها تتجلّى وتتكشّف، فله تعالى
في أثنائها الصنع الجزيل والفرج القريب، سبحانه من له في كلّ قضيةٍ
الطّاف نعرفها ونشبتّها في فضله ونعمته، أو نجعلها فنردّها إلى عدله
وحكمته. أحمّد الله الَّذي لا يخلي عباده من صنعٍ لهم تنطوي عليه أثناء

الأنكبات إذا طرقت، ولطف بهم يُلين صعبَ الخطوب إذا جَمَحَتْ. أَلطافُ
الله تسير إلى عبادِهِ في طُرُقٍ خَفِيَّةٍ المذاهب، رقيقةً الجوانب. الله مع كلِّ
لمحةٍ صنعُ حفيٍّ ولطفُ خفيٍّ، الله أَلطافُ سيبلغ أَلكتاب فيها أَجله، ويعمل
الإقبال في إتمامها عمله. صنع الله لطيف، وفضله بنا مطيف.

ذكر الله تعالى في أثناء الكلام

عَلَامُ الْغُيُوبِ، وَمَنْ بِيَدِهِ أَزْمَةُ الْقُلُوبِ، الْخَبِيرُ بِمَا تُجِنُّ الظُّمَائِرُ، وَتُكِنُّ
السَّرَائِرُ، الْعَالِمُ بِمَا تَقْضِي إِلَيْهِ الْأُمُورُ، وَبِخَائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصُّدُورُ،
أَكْرَمُ مَسْئُولٍ، وَأَعْظَمُ مَأْمُولٍ، سَمِيعٌ لِرَاجِيهِ، قَرِيبٌ مِمَّنْ يَنَاجِيهِ، حَكَمُهُ
مَقْبُولٌ، وَأَمْرُهُ مَفْعُولٌ، اللَّهُ يَعْلَمُ وَهُوَ أَعْلَمُ شَهِيدٌ، وَأَقْرَبُ لِلضَّمِيرِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ، وَكُلُّ خَيْرٍ بِيَدِيهِ، وَتَتَوَجَّهُ الرِّغَابُ إِلَيْهِ، اللَّهُ الْحَفِيُّ بِسَأْؤَلِهِ، الْمَشْفَعُ
لِوَسَائِلِهِ، الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ الْأُمُورِ، وَمِفَاتِيحُ الْمَقْدُورِ، اللَّهُ مِنْجَزُ عِدَائِهِ،
وَحَافِظُ عَادَاتِهِ، هُوَ الْنَافِذُ أَمْرُهُ، الْعَزِيزُ نَصْرُهُ، الْعَجَلِيُّ صَنْعُهُ، الْخَفِيُّ مَكْرُهُ،
أَنَّ اللَّهَ يَقْضِي مَا يَرِيدُ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ الشَّيْطَانِ الْمَرِيدِ. هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ،
الْعَالِمُ بِمَا يُجِنُّ الضَّمِيرُ، مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ السِّرُّ وَالْعَجْرُ،
مَوْلَى الْخَلْقِ، وَبَاسِطُ الرِّزْقِ قَدْ أَحْلَتْهُ عَلَى مَلِيٍّ، وَكُتِبَتْ لَهُ إِلَى وَفِيٍّ، إِنَّ
اللَّهَ مِنْجَزُ وَعْدِهِ، وَلَا خُلْفَ عِنْدَهُ، الْأَمْرُ لَهُ وَالْخَلْقُ بِيَدِيهِ، وَالْإِسْتِعَانَةُ بِهِ
وَالْتَفْوِيزُ إِلَيْهِ.

ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

سَلِيلُ أَكْرَمِ نَبْعَةٍ، وَقَرِيعُ أَشْرَفِ بُقْعَةٍ. جَاءَ بِأَمْتِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،
وَأَفَاءَ عَلَيْهِمُ الظُّلَّ بَعْدَ الْحُرُورِ. مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ وَخَيْرَتُهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ،
مُؤَكَّدُ دَعْوَتِهِ بِالتَّائِيدِ. وَمُفْرَدُ شَرِيعَتِهِ بِالتَّائِيدِ، خَيْرَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ. وَحُجَّتُهُ فِي
أَرْضِهِ، وَالْهَادِي إِلَى حَقِّهِ. وَالْمُنَبِّهُ عَلَى حُكْمِهِ، وَالِدَّاعِي إِلَى رَشْدِهِ. وَالْأَخْذُ

بفرضه، مبارك مولده، سعيد مورده، قاطعة حُجَّجُه. سامية دَرَجُه، ساطع صباحه. متوقد مصباحه، مظفرة حروبه. ميسرة خطوبه، قد أفرد بالزعامة وحده، وحتم بأن لا نبي بعده، نفصح بشعاره على المنابر. وبالصلاة عليه في المحاضر، ونعمر بذكره صدور المساجد، وتستوي في الانقياد لأمره حالتنا المقر والجاحد، آخر الأنبياء في الدنيا عصراً. وأولهم يوم الدين ذكراً، وأرجحهم عند الله ميزاناً. وأوضحهم حجة وبرهاناً، صدع بالرسالة، وبلغ في الدلالة. ونقل الناس من طاعة الشيطان الرجيم، إلى طاعة الرحمن الرحيم. أرسله الله للإسلام قمراً منيراً، وقدرأ على أهل الضلال مُبِيراً.

الصلاة عليه مع الافصح

صلى الله على محمد خير من أفتتحت بذكره الدَّعوات، وأستنجحت بالصلاة عليه الطُّلُبات، صلى الله على محمد نبي مبعوث، وأفضل وارث وموروث، صلى الله على كاشف الغُمة عن الأُمَّة، الناطق فيهم بالحكمة، الصادع بالحق، الداعي إلى الصِّدق، محمد رسوله الذي ملكه هوادي الهدى، ودل به على ما هو خير وأبقى، صلى الله على بشير الرِّحمة والثواب، ونذير السُّتوة والعقاب، محمد الذي أدى الأمانة مخلصاً، وصدع بالرسالة مُبلغاً ملخصاً، صلى الله على أتم بريته خيراً وفضلاً، وأطيبهم فرعاً وأصلاً، وأكرمهم عوداً ونجراً، وأعلاهم منصباً وفخراً.

ذكر الآل

وعلى آله الذين عظمهم توقيراً، وطهرهم تطهيراً، وعلى آله مقاليد السَّعادة ومفاتيحها، ومجاريح البركة ومصاييحها، أعلام الإسلام، وأمان الإيمان، الطيبين الأخيار، والطاهرين الأبرار، الذين أذهب عنهم الأرجاس، وطهرهم من الأدناس، وجعل مودتهم أجراً له على الناس، وعلى آله الذين هم حبل

الهدى، وشجرة التقوى، وسفينة النجاة العظمى، وعروة الدين الوثقى. الذين هم زينة الحياة، وسفينة النجاة، وشجر الرضوان، وعشيرة الإيمان، وعلى الشجرة التي أصلها نبوة، وفرعها مروة، وأغصانها تنزيل، وورقها تأويل، وخدمها جبريل وميكائيل.

ذكر القرآن

حبل الله الممدود، وعهده المعهود، وظله العميم، وصراطه المستقيم، وحجته الكبرى، ومحجته الواضحى، هو الواضح سبيله، الراشد دليله، الذي من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنها زلّ وهوى، فضائل القرآن، لا تستقصى في ألف قرآن. حجة الله وعهده، ووعيده ووعدته، به يعلم الله الجاهل، ويعمل العاقل. ويتنبه الساهي، ويتذكر اللاهي. بشير الثواب، ونذير العقاب. وشفاء الصدور، وجلاء الأمور. من فضائله أنه يقرأ دائماً ويكتب، ويُملّ فلا يملّ. ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه، وتصوّر الموت أمامه. طوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه، ومفتاح لبه. من حق القرآن حفظ ترتيبيه، وحسن ترتيله.

آخر كتاب ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ وكتابه والله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأزمنة والأمكنة وما يتصل بها ويشاكلها

[في الربيع وإقباله]

قد أقبل الربيع بأسعد فاله، والحسن والطيب في إقباله. أقبل الربيع يتبسّم، ويكاد من الحسن يتكلّم. تنفّس الربيع عن أنفاس الأحباب، وأعار الأرض أنواب الشباب. تنفّس فنفس عن المكروب، وأهدى الروح والراحة للقلوب. استخرج من زهر البساتين، ما دفته يد الكوانين. جاء يجرّ أذيال العرائس، وينشر أجنحة الطواوس. تبلّج عن وجه بهج، وجو غنج، وروض أرج، وطير مزدوج. أقبل برائحة الجنان، وراحة الجنان، أسفر عن ظل سجّج، وماء سلسل وروض مدبّج. جاء مُعيداً للأنس العازب، ومُطلعاً للهِو الغارب. تبلّج عن نوره، وتفتّح عن نوره. لاحت مناهجه، وراقت مباهجه. مرحباً بالفصل، الجامع لأحكام الفضل، زائر من القلوب قريب، وكله حسن وطيب. زائر لباسه حرير، وأنفاسه عبير. انكشفت غمة الشتاء الكالح عن غرة الربيع الضاحك، أزال الربيع أذيال الحرير، وعبرت أنفاسه عن العبير. تبدّل الشباب من المشيب، وبرز في مطرّفه القشيب. عطر السهول والوعور، فعطل المسك والكافور. الزمان معتدل، ووجهه طلق مقبّل. وسحابه ماطر، وترا به عاطر، كأنّ الجنة قد نزلت إلى الأرض في أبهى حللها وأنفس حلاها، وما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين منها، قد تبرّجت

الأرض للنظارة، وبرزت في معرض الحسن والنضارة، لبست الأرض قناعها
الأخضر، ونضت شيعارها الأغبر. حاك الربيع حلل الأزهار، وصاغ حلى
الأنوار.

في النسيم ووصف أثره

زائر وجهه وسيم، وفضله جسيم، وريحه نسيم، قد سفر الربيع عن خلق
الكريم، ونطق بلسان النسيم. وأفاض ماء النعيم، هب النسيم من الكرى،
وهب على الورى، وعطر الثرى. جر على الأرض أزره، وحل عن جيب
الطيب زره. نسيم الريح، نسيب الروح، قد ركضت خيول النسيم في
ميادين الرياض. يا لك من منظر جناني، وماء فضي، ونسيم عطري، قد
حلت يد المطر أزرار الأنوار، وأذاع لسان النسيم أسرار الأزهار.

في وصف الرياض

روضة رقت حواشيها، وتأنق واشيها، روضة كالعقود المنظمة، على البرود
المنمنمة. روضة قد نشرت طرائف مطارفها، ولطائف زخارفها، فطوي لها
الدجاج الخسرواني، ونفي معها ألوشي الإسكندراني. روضة قد راضتها يد
المطر. روضة دبجتها أيدي الندى. أخرجت الأرض أسرارها، وأظهرت يد
الغيث آثارها، وأطلعت الرياض أزهارها. الرياض كالعرائس في حليها
وزخارفها، والقيان في وشيها ومطارفها، باسطة زرايبها وأنماطها، ناشرة جبرها
ورياطها، زاهية بحمرائها وصفرائها، تائهة بعوانها وعدرائها، كأنما احتفلت
لوفد، أو هي من حبيب على وعد. روضة قد تضرعت بالأرج الطيب
أرجأؤها، وتبرجت في ظلل الغمام صحراؤها، وتفاوحت بنوافج المسك
أنوارها، وتعارضت بغرائب النطق أطيارها.

في وصف البساتين

بُستانٌ رَقَّ نَوْرُهُ النَّضِيدُ، وِراقٌ ورقه النَّضِيرُ. بُستانٌ غُصْنُهُ خَضِيرٌ، وَرَبْعُهُ خَصِيبٌ، وَنَوْرُهُ نَضِيرٌ، وَمَأْوُهُ خَصِرٌ. بستانٌ كَأَنَّهُ أُنْمُوذَجُ الْجَنَّةِ. بستانٌ لَا يَحِلُّ لِأَرِيْبٍ أَنْ لَا يَحِلَّ بِهِ. بستانٌ أَرْضُهُ لِلْبَقْلِ وَالرَّيْحَانِ، وَسَمَاؤُهُ لِلنَّخْلِ وَالرُّمَانِ. بستانٌ أَنْهَارُهُ مَفْرُوزَةٌ بِالْأَزْهَارِ، وَأَشْجَارُهُ مُوقَرَةٌ بِالثَّمَارِ، أَشْجَارٌ كَالْعِذَارَى يُسَرِّحْنَ الضَّفَائِرَ، وَيَنْشُرْنَ الْغِدَائِرَ. أَشْجَارٌ كَأَنَّ الْحَوْرَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا، وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا، وَحَلَّتْهَا عُقُودَهَا.

في ذكر النرجس والورد والشقائق

الرَّبِيعُ شَبَابُ الزَّمَانِ، وَمَقْدَمَةُ الْوَرْدِ وَالرَّيْحَانِ. زَمَنُ الْوَرْدِ مُوْمِقٌ مُرْمِقٌ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ مَسْرُوقٌ. قَدْ وَرَدَ كِتَابُ الْوَرْدِ، بِإِقْبَالِهِ إِلَى أَهْلِ الْوُدِّ، إِذَا وَرَدَ الْوَرْدُ، صَدَرَ الْبَرْدُ، مَرْحَبًا بِأَشْرَفِ الزَّهْرِ، فِي أَظْرَفِ الدَّهْرِ، كَأَنَّ عَيْنَ النَّرْجِسِ عَيْنَ، وَوَرَقَهُ وَرَقٌ، النَّرْجِسُ نَزْهَةُ الْأَطْرَفِ، وَظَرْفُ الظَّرْفِ، وَغِذَاءُ الرُّوحِ، وَمَادَّةُ الرُّوحِ، شَقَائِقُ كَتِيجَانِ الْعَقِيقِ عَلَى الزُّنُوجِ، كَأَنَّهَا أَصْدَاغُ الْمَسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمَوْرَدَةِ. شَقَائِقُ كَالزُّنُوجِ تَجَارِجَتْ فَسَالَتْ دِمَائُهَا، وَضَعُفَتْ فَبَقِيَ دِمَائُهَا.

في غناء الأَطْيَارِ

الْأَرْضُ زُمْرَدَةٌ وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ، وَالْمَاءُ سَيُوفٌ وَالْطُيُورُ قِيَانٌ. قَدْ غَرَّدَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ، عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ، إِذَا صَدَحَ الْحَمَامُ، صَدَعَ قَلْبُ الْمُسْتَهَامِ، أَنْظَرَ إِلَى طَرَبِ الْأَشْجَارِ، لَغْنَاءَ الْأَطْيَارِ. لَيْسَ لِلْبَلَابِلِ، كَخَمَرِ بَابِلَ، عَلَى غِنَاءِ الْبَلَابِلِ.

في وصف أيام الربيع

يوم سماءه فاختيه، وأرضه طأوسية. يوم جلابيب غيومه صفاق، وأردية نسيمة
رقاق، يوم مُعَصْفَرُ السماء، ممسك الهواء، معنبر الرياض مصندل الماء. يوم
سمائه كالأخز الأدكن، وأرضه كالدجاج الأخضر. يوم تبسم عنه الربيع،
وتبرج فيه الروض المريع. كأن سماءه ماتم، وأرضه عرس.

مقدمة المطر

لبست السماء جلبابها. سحَبَ السحاب أذياله. احتجبت الشمس في
سُرادق الغيم، ولبس الجو مطرَفه الأدكن. باحت الريح بأسرار الندى.
ضربت خيمة الغمام، وقام خطيب الرعد، ونفض عرق البرق، سحابة رعدُها
يُصمُّ الأذن، وبرقها يخطف العين. سحابة ارتجزت رواعدها، وأذهبت
بروقها مطاردها. نطق لسان الرعد، وخفق قلب البرق. الرعد ذو صخب،
والبرق ذو لَهَب. ابتسم البرق عن قهقهة الرعد. زارت أسد الرعد، ولمعت
سيوف البرق. رعدت الغمام وبرقت، وأنحلت عزالى السماء فطبقت.
سحابة هدرت رواعدها، وقربت أباعدها، وصدقت مواعدها. كأن البرق قلب
مشوق، بين التهاب وخفوق.

في السحاب والمطر

انحلَّ عَقْدُ السماء، وهي عَقْدُ الأنواء. انحلَّ سِلْكُ القَطَر، عن دُرِّ البحر.
أرخت السماء عزالها، وأغرقت الأرض وسحت نواحيها. هطلت بمثل أفواه
القرب، انثرت كآنتشار العقود. استعار السحاب جُفون العشاق، وأكفَّ
الأجواد. انحل خيط السماء، انقطع شريان الغمام. سحابة تنخل علينا ماء
البحر، وتفصُّ لنا عقود الدّر. سحابٌ حكى المحبَّ في أنسكاب دموعه،

وَالْتِهَابُ النَّارِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ، سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغَيْومِ جِبَالًا، وَتَمُدُّ مِنَ الْأَمْطَارِ جِبَالًا. سَحَابَةٌ تَرْسُلُ الْأَمْطَارَ أَمْوَاجًا، وَالْأَمْوَاجُ أَفْوَاجًا. تَحَلَّلَتْ عُقْدُ السَّمَاءِ بِالْدَّيْمَةِ الْهَظْلَا. غَيْثٌ أَجَشُّ يُرْوِي الْهَضَابَ وَالْآكَامَ، وَيُحْيِي الْبَنَاتِ وَالسَّوَامَ. غَيْثٌ كَغَزَارَةِ فَضْلِكَ، وَسَلَاسَةُ طَبْعِكَ، وَصَفَاءُ وَدَّكَ. وَبُلٌّ كَالنَّبْلِ. سَحَابَةٌ يَضْحَكُ مِنْ بَكَائِهَا الرُّوْضَ، وَتَخْضِرُ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضَ. سَحَابَةٌ لَا تَجْفُ جَفُونَهَا، وَلَا يَخْفُ أَنْيْنَهَا، دَيْمَةٌ رَوَّتْ أَدِيمَ الْآثَرِ، وَنَبَّهَتْ عَيُونََ النُّورِ مِنَ الْكَرَى. سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ. مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ، وَوَحَلٌ إِلَى الرُّكْبِ. أُنْدِيَّةٌ قَدِ مَنَّ اللَّهُ مَعَهَا عَلَى الْبُيُوتِ، بِالثَّبُوتِ، وَعَلَى السَّقُوفِ، بِالْوُقُوفِ.

في وصف الماء وما يتصل به

مَاءٌ كَالزُّجَاجِ الْأَزْرَقِ، غَدِيرٌ كَعَيْنِ الشَّمْسِ، مَوَارِدٌ كَالْمَبَارِدِ. مَاءٌ كَلْسَانِ الشَّمْعَةِ، أَصْفَى مِنَ الدَّمْعَةِ، يَسِيحُ فِي الرُّضْرَاضِ، سَيِّحُ النَّضْنَضِ. مَاءٌ إِذَا مَسَّهُ يَدُ الْنَسِيمِ حَكَى سِلَاسِلَ الْفَضَّةِ. مَاءٌ إِذَا صَافَحَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ، لَبَسَ الدَّرْعَ كَالْمَسِيحِ. مَاءٌ يَتَصَنَدَلُ وَيَتَسَلْسَلُ. كَأَنَّ الْغَدِيرَ بَنَاتِ الْمَاءِ مَصْنَدَلِ مُطَيَّرٍ، بَرَكَةٌ كَأَنَّهَا مَرَاةُ السَّمَاءِ، بَرَكَةٌ مَفْرُوزَةٌ بِالْخَضْرَاءِ رَدَاءً، كَأَنَّهَا مَرَاةٌ مَجْلُوءَةٌ عَلَى دِيبَاجَةِ خَضِرَاءَ، غَدِيرٌ تَرَقَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ، وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ الْجَنَائِبِ. غَدِيرٌ سَاكِنٌ إِلَّا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا يَحْرَكُهُ بِأَنْفَاسِهِ، وَيَنْقُشُ وَجْهَهُ بِأَرْوَاحِهِ. مَاءٌ يَبُوحُ بِأَسْرَارِهِ وَصَفَاؤُهُ، وَيُلُوحُ فِي قَرَارِهِ حَصْبَاؤُهُ، مَاءٌ كَأَنَّمَا يَفْقَدُهُ مَنْ يَشْهَدُهُ. مَاءٌ أَرْقَ مِنْ دُمُوعِي فَيْكَ وَأَعْدَبَ مِنْ أَخْلَاقِكَ، وَأَبْرَدَ مِنْ فِعْلِ الزَّمَانِ حِينَ رَمَانِي بِفِرَاقِكَ. نَهْرٌ يَتَسَلْسَلُ كَالزَّرَافِينِ، وَيَرْضَعُ أَوْلَادَ الرِّيَّاحِينَ.

في ذكر الصيف ووصف الحر

قَوِي سُلْطَانُ الْحَرِّ. فُرْشٌ بِسَاطُ الْجَمْرِ. أَقْبَلْتَ أَوَائِلَ الْحَرِّ، وَغَيَّرَ الْهَوَاءَ

طبعه، وبدل مزاجه. حرّ الصيف، كحد السيف. أوقدت الشمس نارها، وأذكت أوارها. حرٌّ يَلْفَحُ حرُّ الوجه. حرٌّ يشبه قلب الصبّ. ويذيب دماغ الصبّ. هاجرة كأنها من قلوب العشاق، إذا اشتعلت فيها نارُ الفراق. هاجرة تحكي نار الهجر، وتذيب قلب الصخر. كأنّ البسيطة من وفدة الحرّ، بساط من الجمر. حرٌّ يَهْرُبُ له الحرّ بآء من الشمس. قد صهرت الهاجرة من الأبدان، وركبت الجنادب العيدان. حرٌّ يُنْضِجُ الجلود، ويذيب الصيخود. أيام كأيام الفارقة امتداد، وحرٌّ كحرّ الوجد اشتداداً حرٌّ لا يطيب معه عيش، ولا ينفع ثلج ولا خيش. حمارة القيظ، تغلي بصدر الغيظ، أب أب يجيش مِرْجَله، ويثور قسطه. هاجرة كقلب المهجور، والسنور المسجور. هاجرة كالسعر الجاحم، تجرّ أذيال السمائم، ظلها يحموم، وماؤها محموم.

ذكر الخريف

انحسر قناع الصيف. خفّ سلطان الحرّ. خبت جمرة الهواجر. جاشت جيوش الخريف. فرّرت رايات المصيف، قد أخذ البرد يجمشنا بلواحظه، ويقرصنا بأنامله. أخذت عواصفه تهبّ، وأقبلت عقاربه تدبّ. قد حلت الشمس الميزان، وعدل الزمان الميزان، لفح المصيف قد كفّ، ووقع الشمس قد خفّ، خفّت الرياح، وجفّت الأعواد.

في الشتاء ووصف البرد والثلج والجمر

ألقي الشتاء كلّكّله، وأحلّ بنا أثقاله. مدّ الشتاء رواقه، وألقى أرواقه، وحلّ نطاقه. ضرب الشتاء بجوانه، وأستقلّ بأركانه، أناخ بنوازله، وأرسي بكلاكله، وكلح بوجهه، وكشّر عن أنيابه. في الشتاء كلب، وفي الهواء غلظ، قد عادت هامات الجبال شييا، ولبست من الثلج ملأه قشيبا. شابت مفارق البروج، لتراكم الثلوج. ألمّ المشيب بهامات بيّضت لِمَمَّها، قد صار

أبرد حجابا، وأثلج حجازا، برد يعبس له ألوجه أطلق. برد يزوي ألوجه،
ويعمش أليون، ويسيل الأنوف. برد يُغير ألألوان، ويُقشِف ألأبدان. برد
يُقضِضُ ألأعضاء، وينفض ألأحشاء. برد أجمد ألريق في ألأشداق، وألدمع
في ألأماق. حال بين ألكلب وهريه، وألسد وزئيره، وألطيِر وصفيِه،
وألماء وخريِه، نحن بين لثقي ودمقي وزلّقي.

في الاستظهار على البرد

ليس للبرد كالبُرد والجمر، إذا كلب ألشتا، فديرِاق سموه أّصلا.

في نعت الأيام الشتوية

يومُ كأنّ ألأرض شابت لهوله. يومُ فضيّ أّجلباب، مسكيّ أّنقاب. يوم
عبوس قَمَطَير، كشر عن ناب أّزْمَير، وفرش ألأرض بالقوارير. يومُ أّخذت
ألشّمال زمامه، وكساه أّصّر ثيابه. يومُ كأنّ أّلّنيا فيه كافورة. وألأرض
قارورة، وألسماء بلّورة. يومُ أّرضه كألّقوارير أّللّامعة، وهوأّوه كالزّنابير
ألأسعة. يومُ أّرضه كالزّجاج، وأعالي أّزجاج. يوم يثقل فيه أّخفيف إذا
هجم، ويخفّ أّثقال إذا هجر.

أبواب ذكر الليل والنهار

ووصف أوقاتهما، واختلاف أحوالهما، وما يتصل بهما

في ذكر اقبال الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب

أقبلت عساكر أّليل، خفقت رايات أّظلام، خلع أّليل علينا فَرَوته،
وألبسنا أّظلام بُردته. تفقد أّسفق، في ثوب أّغسق، قيد أّظلام أّحافظ
أّليون. وستره أّظلام بذيله. أقبلت وفود أّنجوم. جاءت مواكب أّلكواكب.

تفتحت أزاهير النجوم. نورت حدائق الجوّ. أذكى أفلك مصابيح، طفت النجوم في بحر الدجى.

ذكر الليالي المظلمة

لبس الليل جلباباً من ألقار، ليلة كجناح الغراب، وشعر الشباب، وحدق الحسان، وذوآب العذارى. ليلة كأنها في لباس بني عباس، كأنها في لباس الثكالي، كأنها من الغبش، موكب الحبش. ليلة يضل بها الغطاء، ولا يُبصر فيها الوطواط. ليلة قد حلك إهابها، وكأن الفجر يهابها. ليلة استعارت لون الخيل الدّهم، كأن الأرض مصبوعة فيها بالمديد.

في ذكر الليالي الطلقة الطيبة المشكورة

ليلة سحر كلّها. ليلة كأنها نهار. ليلة من حسنات الدهر. ليلة هواؤها صحيح ونسيمها عليل. ليلة كبرد الشباب. ليلة فضية الأديم، مسكية النسيم. ليلة هي لمعة العمر، وغرة الدهر. ليلة مسكية الأديم، كافورية النجوم. ليلة رقد الدهر عنها، وطلعت سعودها، وغاب عذالها. ليلة كآلمسك منظرها ومخبرها. ليلة هي باكورة العمر، وبكر الدهر. ليلة يلتقي طرفاها. ليلة ظلماتها أنوار، وطوال أوقاتها قصار. ليلة كما شاء المحب. ليلة مسروقة من الدهر، ليلة مريضة النسيم، صحيحة الهواء، مؤشّية بالنجوم، مطرزة بالقمر.

في ضد ذلك وذكر طول الليل

ليلة من غصص الصدر، ونقم الدهر. ليلة كلها غيوم وغموم. ليلة كما شاء الحسود، وساء الودود. ليلة كأن أول يوم الحشر آخرها. ليلة قص جناحها، وضل صباحها. ليلة كليل الأعمى. ليل ثابت الأطناب طامي الغوارب، طامح الأمواج وافي الذوائب. ليل كأن نجومه نجوم الشيب. ليل كأن نجومه عقلت

فلا تسير، ولا تدور ولا تغور. ليالٍ ليست لها أسحار، وظلماتٌ لا تتخللها أنوار.

فيما يذكر من السهر لاعتراض الهموم والفكر

بات فلان بليلة نابغية، بات بليل السقيم، بات بليل السليم، بات في الصيف بليلة شتوية، سامرته الهموم، وعانقته الغموم، قد توسد ذراع الهم، وافترش مهاد الغم، قد اكتحل السهاد، وافترش القتاد، اكتحل بمراود الأرق، وتقلب على مراقد القلق، جفا أجفانه الكرى، كأنما خلقت عيناه للسهر، النجوم شهود سهاده، كأن النوم قد غضب على مآقيه، اكتحل بملمول السهر، وتململ على فراش الفكر، أقص مهاده، وقلق وساده، هموم تفرق بين الجنب والمهاد، وتجمع بين العين والسهاد، سهر يفتق الجفن، ويقذي العين، ويؤدي القلب، ويوحش النفس. طرف برعي النجوم مطروف، وفراش بشعار الهم محفوف، كأنه على النجوم ريب، وللظلام نقيب.

ذكر النعاس والنوم

شرب كأس النعاس، أنتشى من خمر الكرى، خاط النعاس جفونه، أخذ الكرى يجمشه، بل ثقل رأس، وتقاضي نعاس، عسكر النعاس بطرفه، وخيم بين عينيه وجفنه. خاض ضحضاح الكرى، ملأ النعاس جفنه، وشغل عينه. مال مع النعاس. مس النوم مقلته. غلبته عيناه. كأن النعاس يطالبه بدين. غشي نعاس الوحدة، ضرب على أذنه وقد ملأ عينه، غرق في لجة الكرى. تمايل من سكرة النوم. غفوة كحسوة الطائر، نومه كلا ولا قلة، وكتصفية الطائر خفة، كحل الليل الورى بالرقاد، وشامت الأجفان أعينها في الأغمد، عبث الكرى بهم، وأرخى مفاصلهم، وأمال أعناقهم.

انتصاف الليل

قد تنصفنا عمرَ الليل، وأستغرقنا شبابه. مضى من الليل صدره، وأنقضى شطره. اكتهل الظلام. شاب رأس الليل. كاد يَئِمَّ النسيمُ بالسَّحر، الصبح حَمَلٌ بين أحشاء الدجى.

تناهي الليل وتصومه

انكشف غطاء الليل. انهتك ستر الدجى. رُفِعَ سِجْفُ الظَّلامِ، رق ثوب الدجى، نعى إليك الظلام، هَرِمَ الليل، وشَمِطت ذوائبه، وتقوَّس ظهره، وتصرَّم عمره، قُوِّضت خيام الظلام، خلع الأفق ثوب الدجى، استردَّ الليل خِلعته، انتقب الليل بالصبح، أَعْرَضَ الظلام وتولى، وتدلَّى عنقود الأثرى، طَرَزَ الصبح قميص الليل، باح الصباح بسرِّه، خلع الليل ثيابه، وحدَّر الصبح نقابه.

إقبال الصبح وانتشار النور

لاحت تباشير الصبح، افترَّ ألفجر عن نواجذه. ضرب الصبح في الدجى بعموده. تبسَّم عن نوره. فتكَّ الصبح بالليل، بشرَ إليك الصبح، سلَّ سيف الصبح في قفا الظلام. بثَّ الصبح طلائعه. نشر ثياب النور. تبرقع وجه الليل بغرة الصبح أطار بازي النهار غراب الليل. عزلت نوافج المسك بشمَّامات الكافور، وانهزم جند الظلام من عسكر النور. خلعنا خِلعَ الظلام ولبسنا رداء الصبح، ملأ الأذان الأذان، برَّق الصباح، وسطع الضوء، وطلع النور، وأشرقت الدنيا، وأضاءت الآفاق.

افول النجوم

مالت الجوزاء للغروب، ولَّت مواكب الكواكب، تناثرت عقود النجوم

تَعْطَلُ الْأَفَقَ مِنْ حُلِيِّ الْكَوَاكِبِ، تَفَرِّقُ أَسْرَابَ النُّجُومِ، فَرَّتْ مِنْ حَدَقِ
الْأَنَامِ، وَهِيَ نِطَاقُ الْجُوزَاءِ، وَأَنْطَفَأَتْ قَنَادِيلُ الثَّرَيَا.

طلوع الشمس وانبساط الضوء

بدا حاجِبُ الشَّمْسِ. ذَرَّ قَرْنَ الشَّمْسِ. ارتفع الحجاب عن حاجبها.
لمعت الشمس في أجنحة الطير. كشفت قناعها، ونشرت شعاعها. ارتفع
سُرادقها، وأضاءت مشارقها. انتشر جناح الضوء، في أفق الجو. طنب شعاع
الشمس في الآفاق، وذهب أطراف الجدران. افتضضنا عُذْرَةَ الصُّبْحِ.

منوع النهار

أَيْفَعَ النَّهَارُ وَارْتَفَعَ. تَرَجَّلَتِ الشَّمْسُ. استوى شباب النهار. علا رَوْقُ
الضُّحَى.

انتصاف النهار

بلغت الشمس كبد السماء، انتعل كل شيء ظله، قام قائم الهاجرة، رمت
الشمس بجمرات الهجير.

اصفرار الشمس وغروبها

اصفرت غلالة الشمس، صارت كأنها الدِّينَارُ، يلمع في قرار الماء،
نفضت تَبْرًا عَلَى الْأَصِيلِ، وشدَّتْ رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ، بقل وجه النهار، وطرَّ
شاربه، تصوَّبت الشمس للمغيب، وتضَيَّفت للغروب، وآذن جنبها بالوجوب،
شاب النهار، وأقبل شباب الليل. وقعت الشمس للغيار، وشافه الليل لسان
النهار. شَرِقت الشمس بروحها، جنحت للغروب، وشارفت درج الوجوب،
الغزاة مصوبة للغروب، مؤذنة بالمغيب. والجو في أطمارٍ مبهجة من أصائله،

وشفوفٍ موزسة من غلائله . استتر وجه الشمس بالنقاب ، وتوارت بالحجاب .

ذكر ابتداء الليل إلى انتهائه

كان ذلك من مُفْتَتِحِ النهار إلى مُخْتَتَمِهِ ، ومن قَرْنِهِ إلى قدمه ، من مطلع الفلق ، إلى مجمع الغسق ، فلان يركب في مقدمة الصبح ، ويرجع في ساقية الشمس ، من حين تفتح الشمس جفنها إلى أن تغض طرفها . من حين تسكن الطير في أوكارها ، إلى أن تنزل السراة من أكوارها .

أبواب الأمكنة والأبنية

في وصف البلاد

بلدة كأنها صورة جنة الخلد ، منقوشة في عرض الأرض . بلدة كأن محاسن الدنيا مجموعة فيها ، ومحصورة في نواحيها ، بلدة ترابها غير وحسبأؤها عقيق ، وهواؤها نسيم ومأؤها رحيق . بلدة معشوقة السكنى ، رحيبة المشوى . كوكبها يقظان ، وجوها غريان ، وحصاها جوهر ، ونسيمها معطر ، وترابها مسك أذفر ، ويومها غداة وليلها سحر ، فطعامها هني ، وشرابها مري . بلدة واسعة الرقعة ، طيبة البقعة . كأن محاسن الدنيا فيها مفروشة ، وصورة الجنة بها منقوشة ، واسطة البلاد وسرتها ، ووجهها وغرتها .

في ضد ذلك

بلد متضايق الحدود والأبنية ، متراكب المنازل والأبنية . بلدة حرها مؤذي ، ومأؤها موي . بلدة وسخة السماء ، ومدة الهواء . جوها غبار ، وأرضها خبار ، ومأؤها طين ، وترابها سرجين ، وحيطانها نزوز ، وتشريئها تموز ، فكم في شمسها من محترق ، وفي ظلها من غرق . بلدة ضيفة الديار ، سيئة الجوار ،

حيطانها أخصاص، وبيوتها أقفاص، وحشوشها مسابل، وطرقها مزابل.

في ذكر الوطن

بلدة هي عُشه، وبها منزله وعيشه. بلد لا يُؤثر عليه بلداء، ولا يصبر عنه أبداً، عُشه الذي فيه درج، ومنه خرج. مقطع سُرته، ومجمع أُسرتِه. بلد أنشأته تربته، وغذاه هواؤه، ورباه نسيمه، وحلّت عنه التمام فيه.

في الحصون والقلاع

حصن كأنه على مرقب النجم، ومجير من القدر الحتم. حصن يحسر دونه الناظر، ويقصر عنه العقاب الكاسر. يكاد من علاه يغرف من حوض الغمام، كأنه فوق السحاب سحاب. حصن أنتطق بالجوزاء، وناجت بوجه أبراج السماء. قلعة قد حلقت في الجو كأنها سحابة، كأن الغمامة لها عمامة، كأنها تُناجي السماء بأسرارها. قلعة بُعد في السماء مرتقاها، حتى تساوى ثراها مع ثريائها. قلعة تتوشح بالغيوم، وتتحدى بالنجوم. أصلها في النجوم، وفرعها في النجوم. قد حلق جناحها إلى عنان النجم. شماء عن المرتقي، صماء عن الراقي. قد جاوزت الجوزاء سمتاً، وعزلت السماء الأعزل سمكا. هي في الحصانة متناهية، وبالوثاقة موصوفة، ممتعة على الطلب والطلب. منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب. لم تزدها الأيام إلا نبوءاً أعطاف، وأستصعاب جوانب وأطراف، قد ملّ الأولة حصارها ففارقوها عن طمّاح منها وشماس، وسئمت الجيوش ظلها فغادرتها بعد قنوط وياس، فهي حمى لا يُراع، ومُعقِل لا يُستطاع. تعطس بأنفٍ شامخ من المُنعة، وتنبو بعطف جامع على الخطبة، كأن الأيام صافحتها على الإعفاء من الحوادث، والليالي قد عاهدتها على التسليم من القوارع. قلعة تحوي من الرفعة قدراً لا تستهان مواقعه، وتلوي في المُنعة جيداً لا تستلان أخادعه،

ليس للوهم قبل أَلَقَدَمِ إِلَيْهَا مَسْرَى، ولا للفكر قبل أَلْخَطُو نحوها مجرى.

في القصور

قَصْرٌ كَانَ شُرُفَاتِهِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعَيُوقِ، كَأَنهَا تُسَامِي أَلْفَرَقْدَ. قَصْرٌ يُرْتَقَى مِنْ سَطْحِهِ إِلَى الشُّعْرِيِّينَ. أَكْتَسَتْ لَهُ أَلشَّعْرَى أَلْعُبُورَ، ثَوْبَ أَلْغَيُورِ. قَصْرٌ طَالَ مَبْنَاهُ، وَطَابَ مَغْنَاهُ، كَأَنَّهُ فِي أَلْحَصَانَةِ جَبَلٍ مُنِيعٍ، وَفِي أَلْحَسَنِ رِبْعٍ مُرْبِعٍ شُرُفَاتٌ كَأَلْعَذَارَى شَدَدْنَ مَنَاطِقَهُنَّ، وَتَوَجَّحْنَ بِأَلْأَكَالِيلِ مَفَارِقَهُنَّ. قَصْرٌ أَقْرَتْ لَهُ أَلْقُصُورُ بِأَلْقُصُورِ عَنْهُ، كَأَنَّهُ سَحَابٌ، فِي نَحْرِ أَلْسَحَابِ.

في الدور السرية

دَارٌ قَوْرَاءُ تُوسِعُ أَلْعَيْنَ قُرَّةً، وَأَلنَّفْسَ مَسْرَةً، كَانَ بَانِيهَا أَسْتَسْلَفَ أَلْجَنَّةَ فَعَجَلَتْ لَهُ، دَارٌ تَخْجُلُ مِنْهَا أَلدُّورُ، وَتَتَقَاصِرُ لَهَا أَلْقُصُورُ، إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ أُنْقَلَتْ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ. دَارٌ قَدْ أَقْتَرْنَ أَلْيُمْنُ بِيَمَانِهَا، وَأَلْيَسْرُ بِيُسْرَاهَا، أَلْجِسُومُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ، وَأَلْعِيُونُ مِنْهَا عَلَى سَفَرٍ. دَارٌ هِيَ دَائِرَةُ أَلْمَيَّامَنِ، وَدَائِرَةُ أَلْمَحَاسَنِ، دَارٌ دَارَ بِأَلْسَعْدِ نَجْمِهَا، وَفَازَ بِأَلْحَسَنِ سَهْمِهَا. دَارٌ قَدْ أَخَذَتْ أَدَاةَ أَلْجِنَانِ، وَضَحَكَتْ عَنْ أَلْعَبْقَرِيِّ أَلْحَسَّانِ. دَارٌ يَخْدُمُهَا أَلدَّهْرُ، وَيَأْوِيهَا أَلْبَدْرُ، وَيَكْنُفُهَا أَلنَّصْرُ. دَارٌ هِيَ مَرْتَعُ أَلنَّوَاطِرِ، وَمُتَنَفِّسُ أَلْخَوَاطِرِ. دَارٌ كَأَنهَا خَانَ، يَدْخُلُهَا مَنْ وَفَى وَمَنْ خَانَ. صَحْنٌ تَسَافِرُ فِيهِ أَلْعِيُونُ، بِهَوِّ بَهْيٍ، وَرُوقٌ رَاقِقٌ، بَيْتٌ فَضِيّ أَلْحَيْطَانِ، رُخَامِي أَلْأَرْكَانِ.

في الدور المتداعية الخالية

دَارٌ لِبَسَتْ أَلْيَلَى، وَتَعَطَّلَتْ مِنْ أَلْحُلَى، فَحَالَهَا تَصِفُ أَلْعِيُونُ أَلشَّكْوَى، وَتُشِيرُ إِلَى دَمِّ أَلدُّنْيَا. دَارٌ قَدْ صَارَتْ مِنْهُمْ خَالِيَةً، بَعْدَ مَا كَانَتْ بِهِمْ حَالِيَةً.

دار قد أنهض آلدهر سُكَّانها، وأقعد حيطانها، شاهدُ اليأس منها ينطق، وجبل
الرجاء فيها يقصر، وكانَّ عُمرانها يطوى، وخرابها يُنشر، أركانها قيامٌ وعود،
وحيطانها رُكَّعٌ وسجود، سقفها أرض، وأرضها تلّ.

آخر كتاب الأزمنة والأمكنة والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أحوال الإنسان

من لدن صِغَرِه ونَمَآئِه، إِلَى كِبَرِه وَأَنْتَهَائِه

في ذكر الصبية الصغار

صِبْيَةٌ كَفَرَاخِ الْعَشُوشِ، وَأَوْلَادِ الْخَفَافِيشِ. صِبْيَةٌ يَسْعُهُمْ قَفِيزٌ. أَوْلَادُ جُلْهُمِ
صَبِيَّانَ، أَكَابِرُهُمْ أَصَاغِرُ، كَأَنَّهُمْ أَفْرُخُ زُغَبٍ. صَبِيَّانُ كَأَنَّهُمْ صَبِيَّانَ، وَوِلْدَانُ
كَأَنَّهُمْ كِيزَانُ، قَدْ أَرْضَعْتُهُ بِلَبَانِهَا، وَحَمَلْتُهُ عَلَى لَبَانِهَا. طِفْلٌ قَرِيبُ الْعَهْدِ،
بِالْمَهْدِ.

في حسن مخايل المولود

شَهِدْتُ لَهُ الْفِرَاسَةَ رَضِيعًا، أَنَّ لَا يَكُونُ وَضِيعًا. وَالْمَخَايِلُ فَطِيمًا، أَنَّ
يَكُونُ سَمَحًا كَرِيمًا، وَالشَّوَاهِدُ صَبِيًّا، أَنَّ يَنْزِلَ مَكَانًا عَلِيًّا. وَالشَّمَائِلُ غَلَامًا
أَنَّ يَكُونُ قَرْمًا هَمَامًا.

في ذكر الغلام الامرد ووصف محاسنه

زَادَ جَمَالُهُ، وَأَقْمَرَ هَلَالُهُ. تَرَقَّرَقَ فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْحَسَنِ. شَادَنُ فَاتِنَ، طَرَفُهُ
فَاتِرٌ، وَنَظَرُهُ سَاحِرٌ. غُلَامٌ تَأْخُذُهُ أَلْعَيْنَ، وَيَقْبَلُهُ الْقَلْبُ فِتْرَتَاخَ لَهُ أَلْرُوحِ. تَكَادُ
أَلْعَيُونُ تَأْكُلُهُ، وَأَلْقُلُوبُ تَشْرُبُهُ. جَرَى مَاءُ أَلشَّبَابِ فِي عَوْدِهِ فَتَمَايَلُ كَأَلْغُصْنِ،
وَأَسْتَوْفَى أَقْسَامَ الْحَسَنِ. لَيْسَ دِيَابَجَةَ الْمَلَاخَةِ. كَأَنَّ الْبَدْرَ رُكِبَ عَلَى أَزْرَارِهِ.

لا يَشْبَعُ مِنْهُ الْناظِرُ، وَلَا يَرَوِي مِنْهُ الْخَاطِرُ. كَادَ النَّجْمُ يَحْكِيهِ وَالشَّمْسُ تُشْبِهُهُ. صُورَةُ تَجَلُّو الْأَبْصَارِ، وَتُخْجَلُ الْأَقْمَارُ. شَادِنٌ مُنْتَقِبٌ بِالْبَدْرِ، مُكْتَحِلٌ بِالسَّحَرِ. مَا هُوَ إِلَّا نَزْهَةُ الْأَبْصَارِ، وَبِدْعَةُ الْأَمْصَارِ. غَمَزَاتُ طَرْفِهِ، تُخْبِرُ عَنْ طَرْفِهِ، وَمِنْطَقَتُهُ تَنْطِقُ بِوَصْفِهِ. وَجْهَهُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ، وَأَمْدُ الْأَفْكَارِ، وَنَهَايَةُ الْاِعْتِبَارِ. تَخَالُ الشَّمْسُ بَرَقَتْ غُرَّتُهُ، وَاللَّيْلُ نَاسَبَ أَصْدَاغِهِ وَطُرَّتِهِ. الْحُسْنُ مَا فَوْقَ أَرْزَارِهِ، وَالطَّيِّبُ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ، شَادِنٌ يَضْحَكُ عَنِ الْأَفْحْوَانِ، وَيَتَنَفَّسُ عَنِ الرِّيْحَانِ، كَأَنَّ قَدَّهُ سَكَرَانٌ مِنْ خَمَرِ طَرْفِهِ، وَبَغْدَادٌ مَسْرُوقَةٌ مِنْ حُسْنِهِ وَطَرْفِهِ، قَدْ أَعْجَمَتْ يَدُ الْجَمَالِ، نَوْنَ صُدُغِهِ بِخَالِ. لَهُ عَيْنَانِ حَشَوُ أَجْفَانِهِمَا السَّحَرِ. كَأَنَّهُ أَعَارَ الطَّيِّبِ جِيْدَهُ وَالْغُصْنَ قَدَّهُ. وَالرَّاحَ رِيحَهُ وَالْوَرْدَ خَدَّهُ، الشَّكْلَ فِي حَرَكَاتِهِ، وَجَمِيعَ الْحَسَنِ بَعْضُ صِفَاتِهِ. قَدْ مَلَكَ أَرْزَمَةُ الْقُلُوبِ، كَأَنَّمَا وَسَمَهُ الْجَمَالُ بِنَهَايَتِهِ، وَلَحَظَهُ الْفَلَكَ بِعِنَايَتِهِ، فَصَاغَهُ مِنْ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَحَلَّاهُ بِنُجُومِهِ وَأَقْمَارِهِ، وَنَقَشَهُ بِبِدَائِعِ آثَارِهِ، وَرَمَقَهُ بِنَوَاطِرِ سُعُودِهِ، وَجَعَلَهُ بِالْكَمَالِ أَحَدَ حُدُودِهِ، قَدْ صَبَغَ الْحَيَاءَ غِلَالَةَ وَجْهِهِ، وَنَثَرَ لُؤْلُؤَ الْعَرَقِ عَلَى وَرْدِ خَدِّهِ، تَكَادُ الْاِلْحَاطُ تَسْفِكُ عَنْ خَدِّهِ دَمَ الْخَجَلِ. طَرَّةٌ كَالْغَسَقِ، عَلَى غَرَّةٍ كَالْفَلَقِ، جَاءَنَا فِي غِلَالَةٍ تَبْنُمُ عَلَى مَا تَسْتُرُهُ، وَتَجْفُو مَعَ رِقَّتِهَا عَمَّا تَظْهَرُهُ. وَجْهُهُ بِمَاءِ الْحُسْنِ مَغْسُولٌ، وَطَرْفُهُ بِمِرْوَدِ السَّحَرِ مَكْحُولٌ. نَغْرُ حُمَيِّ حِمَايَةِ الثُّغُورِ، وَجُعِلَ ضَرَّةٌ لِقَلَائِدِ النُّحُورِ. السَّحَرُ فِي الْاِلْحَاطِ، وَالشَّهْدُ مِنَ الْاِلْفَاطِ. كَأَنَّهُ خَاصِمُ الْوِلْدَانِ، فَفَارَقَ الْجِنَانِ. وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانِ اخْتِلَاسِ قَامَةِ الْغُصْنِ، وَتَوَشَّحَ بِمِطَارِفِ الْحُسْنِ، وَحَكَى الْاِرْوُضَ غَبَّ الْمُزْنِ، الْاِرْضُ مَشْرِقَةٌ بِنُورِ وَجْهِهِ، وَلَيْلُ السَّرَارِ فِي عِيَالِ شَعْرِهِ، وَالْجَنَّةُ مُجْتَنَاءٌ مِنْ قُرْبِهِ، وَمَاءُ الْجَمَالِ يَتَرَفَّقُ فِي خَدِّهِ، وَمَحَاسِنُ الرَّبِيعِ بَيْنَ سَحْرِهِ وَنَحْرِهِ، وَالْقَمَرُ فَضْلَةٌ مِنْ حَسَنِهِ، وَالشَّمْسُ مِنْ حَمَلَةِ عَرْشِهِ، مَا هُوَ إِلَّا خَالٌ فِي خَدِّ الْاِظْرَفِ، وَطِرَازٌ عَلَى الْحَسَنِ، وَوَرْدَةٌ فِي غُصْنِ الدَّهْرِ وَنَقَشٌ عَلَى خَاتَمِ الْمَلِكِ، وَشَمْسٌ فِي فَلَكَ اللَّطْفِ.

في الصدغ والشارب والعدار

زرافينُ أَصداغِه مَعَالِيْقُ الْقُلُوبِ، كَأَنَّ صُدْغَه قُرْطٌ مِنْ أَلِمْسِكِ عَلَى عَارِضِ
 أَلْبَدْرِ. وَجْهَه عَرْسٌ وَصُدْغَه مَأْتَمٌ، وَوَصْلَه جَنْدٌ وَهَجْرُه جَهَنَّمُ. أَصْداغُه قَدْ
 أَخَذَتْ شَكْلَ الْعَقَارِبِ، وَظَلَمَتْ ظَلَمَ الْأَقَارِبِ. إِنْ كَانَتْ عَقْرُبُ صُدْغَه
 تَلْسَعُ، فَتَرِيَّاقُ رِيقِه يَنْفَعُ، كَأَنَّ شَارِبَه زَيْتُرُ الْخَزْرِ الْأَخْضَرِ، وَعِذَارَه طَرَاؤُ
 أَلِمْسِكِ الْأَذْفَرِ، عَلَى الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ، إِذَا تَكَلَّمَ تَكْشِفُ حِجَابَ الزُّمْرَدِ
 وَالْعَقِيقِ، عَنْ سِمْطِ الدَّرِّ الْأَنِيْقِ، قَدْ هَمَّ أَرْقَمُ الشَّعْرِ عَلَى شَارِبِه، قَدْ كَادَتْ يَدُ
 الْحُسْنِ تَغْلِفُه، كَادَ الْعِدَارُ يَنْقُشُ فَصَّ وَجْهَه، وَيُحْرِقُ فَضَّةَ خَدَّه. طَرَزَ
 الْجَمَالَ دِيْبَاجَةً وَجْهَه، وَأَبَانَ عِدَارُه الْعُدْرَةَ فِي حُبِّه. لَعِبَ الرَّيْبُ بِخَدَّه، وَأُنْبَتَ
 أَلْبَنَفْسُجُ فِي وَرْدِه. لَمَّا أُحْرِقَتْ بِالشَّعْرِ فَضَّةُ خَدَّه، احْتَرَقَ سَوَادُ الْقُلُوبِ مِنْ
 حُبِّه، كَيْفَ لَا يَخْضُرُ عَارِضُه وَمِيَاهُ الْحُسْنِ تَسْقِيَه.

وصف خروج اللحية وذمها

نَسَخَ الشَّعْرُ آيَةَ حُسْنِه، وَمَعَا مَحَاسِنَ وَجْهَه. كَسَفَ الشَّعْرُ هَلَالَه، وَأَكْسَفَ
 بَالَه، وَأَحَالَ خِيَالَه، وَمَسَحَ جَمَالَه، وَانْتَقَبَ بِالذِّيجُورِ، بَعْدَ النُّورِ. دَوْلَةُ حُسْنِه
 أَعْرَضَتْ، وَأَيَامُه قَدْ انْقَضَتْ، اسْتَحَالَ نُورُ خَدَّه دُجَى، وَزُمْرَدُ خَطِّه سَبَجَا.
 أُخْمِدَتْ نَارُ حُسْنِه بَعْدَ آلَاتِقَادِ. وَلَيْسَ عَارِضَاهُ ثَوْبُ الْجِدَادِ. قَدْ ذَبُلَ وَرْدُ
 خَدَّه، وَتَشَوَّكَ زَعْفَرَانُ خَطِّه. فَارَقْنَا خِشْفَا، وَوَاثَانَا جِلْفَا، فَارَقْنَا هَلَالًا وَغَزَالَا،
 وَعَاوَدْنَا نِكَالًا وَوَبَالَا.

نعت محاسن الجواري

هِيَ رَوْضَةُ الْحُسْنِ، وَضَرْةُ الشَّمْسِ، وَبَدْرُ الْأَرْضِ. هِيَ مِنْ مَعَارِيضِ
 أَلْفَتَنِ، وَحَبَائِلِ الشَّيْطَانِ. هِيَ مِنْ وَجْهَهَا فِي صَبَاحِ شَامِسٍ، وَمِنْ شَعْرِهَا فِي

مساءً دامس، كأنها فلقة قمر، على بُرج فضة. كأنما لبست قشور الدُرِّ بدر
التمّ، شمس الضحى تضيء تحت نقابها، وغصنُ ألبان يهتزُّ تحت ثيابها،
ثغرُها يجمع الضرب والضرب. قد أنبت صدرها ثمر. (كذا) قد أثمر خدّها
النفاح، وصدرها الرمان، خرطت لها يدُ الشباب حُقيين من عاج، كأنها البدر
قد قُوط بالثرى ونيط بها عقد من الجوزاء، أعلاها كالغصن ميال، وأسفلها
كالدعص مُنهال. لها عنق كإبريق اللجين، وسرة كمدّهن العاج، نطاقها
مُجذب، وإزارها مخصب. مطلع الشمس من وجهها، ومُنبت الدُرِّ في فمها،
ومَلَقَطُ الورد من خدّها، ومنبع السحر من طرفها، ومبايِد الليل في شعرها،
ومَغْرَسُ الغصن من قدّها، ومهيل الرمل في ردفها، سُرِّيَّة سُرِّيَّة، قِيَّة
كتصحيحها. الحُسْن في خَلْقها، والطَّيْب في خُلُقها.

ذكر الشاب الغض الشاب

هو في آفتاب شبابه، وحداثة أترابه، ورِيعان عمره، وعُنفوان أمره. هو في
رِيان شبابه وأعتداله، ورِيعان إقباله وآفتباله، شبابه طريّ، وذكاؤه قويّ.
غصنُ شبابه رطيب، وبرْدُ حدائته قشيب، بعثه على ذلك أشرُّ الصَّبى، ومَرَحُ
الشَّبَّابة، وسكر الحدائثة. هو بعذرة الشباب، وفراغ ألبال، حَدَثٌ بِكْرُ
الآمال، بضّ الجمال، حسنُ الاقتبال، فتى السنّ، رطيبُ الغصن. عمره في
إقباله، ونشاطه في استقباله، وشبابه في آفتباله، وماؤه بحاله. فلان في حكم
الأطفال، الذين لم يَعْضُوا على نواجد الرجال.

خلاعة الشاب وتصايبه

أطاع الشباب وغرّته، وأجاب الصَّبى وشِرتّه. هو في عُنفوان شَبَّابة تخافُ
سقطاتها وهَفَواتها، ولا تؤمنُ جَمَحاتها ونَزَواتها، جرُّ أُرِّ الصَّبى، وأذال ذُيول
الهُوى. هو في سُكري الشَّبَاب والشراب. هو بين نزقات الشبان، ونزغات

الشَّيْطَان. شبابه أعمى عن الرُّشد، أصمُّ عن العذل، قد لَبَّى داعيَ هواه، وأنغمس في لُجَّة صباه. قد هجم بسكر الحداثة على سكرات الحوادث، جرى إلى الصُّبى، جَرَى الصُّبا. ركض في ميدان التَّصابي، وجنى ثمرات الملاهي. أنفق صباه على الفحشاء، وشبابه على الأحشاء، وأصبح بين الزُّقِّ والعود، وأمسى بين مُوجبات الحدود. فلانٌ غُفْلٌ من سِمة التَّجربة، صَعْبُ الرَّأسِ على لجام العظة، جامعٌ في عذار الغفلة. هو في سلطان الصُّبى، وفي نوبة الأولى، قد خلع عذاره ومقوده، وألقى إلى البطالة باعه ويده. هو بين خمار الغداة وسُكر العشي. فلانٌ لا يَعْرِفُ الصُّحو، ولا يُفَارِقُ اللهو. هو بين غَرَرِ الشُّباب، وغَرَرِ الأحاب. فلانٌ لا يُفِيق، ولا يدركه التَّوفيق.

في ذكر الشاب الرشيد وترشحه للمعالي

جمع نضارة الشُّبان إلى أبهة الشَّيب. هو على حدوث ميلاده، وقُرب إنساده، شيخٌ قديرٌ وهيبه، وإن لم يكن شيخٌ سنٍّ وشيبه. هو بين شبابٍ مُقْتَبِلٍ، وعَقْلٍ مكتهل. قد لبس بُرد شبابه على عقل كَهْلٍ، ورأيٍ جَزَلٍ، ومَنْطِقٍ فصل. للذهر فيه مقاصد، وللأيام فيه مواعد. أرى له في ضمان الأيام، وودائع الحظوظ والأقسام، تباشير نُجج، ومخايل نصرٍ وفتح، قد استكمل قوَّةَ الفضل، ولم يتكامل له سنُّ الكَهْل. ما زالت مخايله وليداً وناشئاً، وشمائله صغيراً ويافعاً. نواطقٌ بالحسنى عنه، وضوامنٌ للنُّجح فيه. قد سما إلى مراتب أعيان الرِّجال، التي لا تُدرك إلا مع الكمال والآكتال، حُمِدَتْ عزائمه، قبل أن حُلَّتْ تماثمه. وشُهِدَتْ مَكْرُماته، قبل أن دَرَجَ لِدَاتُهُ.

وخط الشيب وانتشاره

شعر الشَّيب بشعره. عَرَضَ البياضُ بعارضه. نورُ غصنِ شبابه. ضَحِكَ

الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ . لاحت جِلْيَةُ الشَّيْبِ فِي عِذارِهِ . لمعت نَجُومُ الشَّيْبِ فِي لَيْلِ شَبَابِهِ . لاحت الشَّعْرَاتُ أَلْبِيضُ ، وجعلت تُفَرِّجُ وَتَبْيِضُ . بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَأُ الشَّيْبِ وَطَوَالِ الْعَتِيرِ . أَخَذَ الشَّيْبُ بِعِنانِ شَبَابِهِ . ذَرَّتْ يَدُ الزَّمَانِ كَافُوراً عَلَى مِسْكِهِ . مَدَّ الْمَشِيبُ طِرَازاً عَلَى وَجْهِهِ ، وَكُتِبَ اسْطِرْأً فِي عَارِضِهِ . طَرَزَ الشَّيْبُ بُرْدَ شَبَابِهِ . حَطَّ الْمَشِيبُ بِرَبْعِهِ ، وَخَطَّ الْعَتِيرُ عَلَى قُودِهِ . لاحَ أَقْحُوَانُ الشَّيْبِ فِي بَنْفَسَجِ شَبَابِهِ ، أَلَمَ وَفَدَّ الشَّيْبُ بِقُودِهِ . غَزَاهُ الشَّيْبُ بِجِيوشِهِ ، كَتَبَتْ يَدُ الشَّيْبِ فِي قُودِهِ ، مَوَاعِظَ يَقْرَأُهَا الْأَنَامُ عَلَيْهِ ، أَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ . صاحَ النَّهَارُ بِجَانِبِ لَيْلِهِ . افْتَرَّ لَهُ الشَّيْبُ عَنِ نَابِ الْأَسْوَدِ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِمُخَلَّبِ الْأَسَدِ . قَدْ فَضَّضَ الزَّمَانُ أَبْنُوسَهُ . اشْتَمَلَ الشَّيْبُ عَلَى عَارِضِهِ ، أَلْجَمَهُ الشَّيْبُ بِلِجَامِهِ ، وَقَادَهُ بِزِمَامِهِ . سَالَ وَادِي الشَّيْبِ فِي مَفْرِقِهِ . اعْتَمَّ بِالشَّيْبِ وَتَلَثَّمْ بِهِ . لاحَ نَوْرُ الْهَمُومِ فِي عَارِضِيهِ . قَنَعَهُ الشَّيْبُ خِمَارَهُ ، وَأَحْلَى بِهِ أَثْقَالَهُ . علاهُ غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ وَحِكَايَاتِ الزَّمَنِ . أَخَذَتْ الْأَيَّامُ مِنْ شَبَابِهِ .

يَينِما هُوَ راقِدٌ فِي لَيْلِ شَبَابِهِ إِذْ أَيْقَظُهُ صَبْحُ الْمَشِيبِ .

فِي الْاِكْتِهالِ وَالْاِحْتِنَاكِ وَالْارْعَوَاءِ عَنِ مَجَاهِلِ الشَّبَابِ

قَضَى بِاَكُورَةِ الشَّبَابِ ، وَأَنْفَقَ نِضَارَةَ الزَّمَانِ . طَوَى مَراحِلَ الشَّبَابِ ، وَأَنْفَقَ مِنْ عَمَرِهِ بِغَيْرِ حِسابِ . أَخْلَقَ بُرْدَةَ الصَّبِيِّ ، وَنَهَتْهُ النَّهْيُ عَنِ الْهَوَى . جَاوَزَ الشَّبَابَ مَراحِلَ ، وَوَرَدَ مِنَ الْمَشِيبِ مَناهِلَ . التَفَتَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ ، وَشَارَفَ طَلاعَ الْخَمْسِينَ . طارَ غُرَابُ شَبَابِهِ . انْتَهَى شَبَابُهُ ، وَشَابَ أَتْرَابُهُ . اسْتَبَدَلَ بِالْأَدْهَمِ الْأَبْلَقَ ، وَبِالْغُدَّافِ الْعَقَّعَقَ . فَلَّ الدَّهْرُ شَبَابَهُ ، وَمَحَا مُحاسِنَ رُوائِهِ . انْتَهَى إِلَى أَشَدِّ الْكُهْلِ ، وَاسْتَعَاضَ مِنْ حَلَكِ الْغُرَابِ قَادِمَةَ النَّسْرِ ، افْتَرَّ عَنِ نَابِ الْقَارِحِ ، وَارْتَفَعَ عَنِ مَقالِ الْقَادِحِ . قَرَعَ نَاجِذُ الْحَلَمِ ، وَارْتاضَ بِلِجَامِ الدَّهْرِ ، أَذْرَكَ عَصَرَ الْخُنْكَةِ ، وَأَوَانَ الْمُسْكَةِ . جَمَعَ قُوَّةَ الشَّبَابِ ، إِلَى وَقَارِ الشَّيْبِ . أَسْفَرَ لَهُ صَبْحُ الْمَشِيبِ ، وَعَلَتْهُ أُبْهَةُ الْكَبِيرِ . خَرَجَ عَنْ حَدِّ

الْحَدَاثَةِ، وَارْتَفَعَ عَنْ عُذْرِ الْغَرَارَةِ. نَفَضَ عَبْرَةَ الْصَّبِيِّ، وَلَبَّى دَاهِيَةَ الْحِجَابِ.
عَصَى شَيَاطِينَ الشَّبَابِ، وَأَطَاعَ مَلَائِكَةَ الشَّيْبِ. سَرَى فِي طَرِيقِ الرُّشْدِ
بِمَصْبَاحِ الشَّيْبِ. لَمَّا قَامَ الشَّيْبُ لَهُ مَقَامَ النَّصِيحِ، عَدَلَ عَنْ عِلَاقِ الْحَدَاثَةِ
بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ.

استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة

الشَّيْبُ زُبْدَةُ مَخْضَتِهَا الْآيَامِ، وَفُضَّةُ سَبْكَتِهَا التَّجَارِبِ. فِي الشَّيْبِ
اِسْتِحْكَامُ الْوَقَارِ، وَتَنَاهِي الْجَلَالِ، وَمَيْسَمُ التَّجَرُّبَةِ، وَشَاهِدُ الْحُنْكَةِ. الشَّيْبُ
مُقَدِّمَةُ الْهَرَمِ، وَالْمُؤَذِّنُ بِالْخَرَفِ، وَالْقَائِدُ إِلَى الْمَوْتِ. الشَّيْبُ رَسُولُ الْمَنِيَّةِ.
الشَّيْبُ عُنْوَانُ الْفَسَادِ. الشَّيْبُ سَاحِلُ الْحَيَاةِ. الشَّيْبُ سَفِينَةُ تَقَرُّبٍ مِنْ
السَّاحِلِ. صَفَا فَلَانٌ عَلَى طُولِ الْعُمَرِ. صَفَا اَلْتَّيَرُ عَلَى مَثْقَبِ الْجَمْرِ. مِنْ
عَرَفَ اَلْسَتِينَ اَنْكَرَ نَفْسَهُ. فَلَانٌ قَدْ تَنَاهَتْ بِهِ اَلْآيَامُ تَحْلِيماً وَتَهْذِيباً، وَتَنَاهَتْ بِهِ
السِّنُّ تَحْكِيماً وَتَجْرِيَا. قَدْ وَعَظَهُ الْمَشِيبُ بِوَحْطِهِ وَخَبْطِهِ، وَاَلْسَنُ بِآبَنِهِ
وَسَبْطِهِ، قَدْ تَضَاعَفَتْ وَفُودُ عَمْرِهِ، وَاخْذَلَتْ اَلْآيَامُ مِنْ جِسْمِهِ. وَجَدَ مَسَّ اَلْكِبَرِ،
وَلَحِقَهُ ضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ، سَاءَ عَلَيْهِ اَثَرُ عُلوِّ السِّنِّ، وَاعْتَرَاضُ الْوَهْنِ. فَلَانٌ
مِنْ ذَوِي اَلْأَسْنَانِ اَلْعَالِيَةِ، وَالصَّحْبَةِ لِلْآيَامِ اَلْخَالِيَةِ.

في الهرم ومشاركة الفناء

هَمُّ هَرِمٍ قَدْ أَخَذَ اَلزَّمَانَ مِنْ عَقْلِهِ، كَمَا أَخَذَ مِنْ عَمْرِهِ. ثَلَمَهُ اَلدَّهْرُ ثَلَمَ
اَلْإِنَاءِ، تَرَكَهُ كَذِي اَلْغَارِبِ اَلْمَنْكُوبِ. حَنَا قَوْسَهُ اَلْكِبَرِ، هَرِيقَ مَاءِ شَبَابِهِ،
اِسْتَشَنَّ أَدِيمَهُ، كَسَرَ اَلزَّمَانَ جَنَاحَهُ. نَقَضَ اَلدَّهْرُ مِرْتَهُ. طَوِي مَا نَشَرَ مِنْهُ، قَيَدَ
اَلْكِبَرِ، رَسَفَ رَسْفَانِ اَلْمَقْيَدِ، مَجَتْ اَلْجُثَّةُ، كَأَنَّهُ عُتَّةٌ، ثَقُلَتْ عَلَيْهِ اَلْحَرَكَةُ،
وَإِخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ الْمَنِيَّةِ. مَا هُوَ إِلَّا شَمْسُ اَلْعَصْرِ، عَلَى اَلْقَصْرِ. أَرَكَانَهُ قَدْ
وَهَتْ، وَمَدَّتَهُ قَدْ تَنَاهَتْ. هَلْ بَعْدَ اَلْغَايَةِ مَنَزَلَةٌ؟ أَمْ بَعْدَ اَلشَّيْبِ سَوَى اَلْمَوْتِ

مَرَحَلَة ، ما الَّذِي يُرَجَّى مِمَّنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي تَقَاصُرِ الْخُطَى ، وَتَخَاذُلِ الْقُوَى ،
وَتَدَانِي الْمَدَى ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الدَّارِ الْآخَرَى ؟ أُبْعَدُ دَقَّةَ الْعَظْمِ ، وَرِقَّةَ الْجِلْدِ
وَضَعْفَ الْجِسْمِ ، وَتَخَاذُلَ الْأَعْضَاءِ ، وَتَفَاوُتَ الْأَعْتِدَالِ ، وَالْقُرْبَ مِنَ الزَّوَالِ ؟
إِنَّ الَّذِي بَقِيَ مِنْهُ ذِمَاءُ تَرْقُبِهِ الْمَنُونِ بِمِرْصَدٍ ، وَشُلْشَةُ هَامَةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ .
قَدْ خَلَقَ عَمْرَهُ ، وَأَنْطَوَى عَيْشُهُ ، وَبَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ ، وَوَقَفَ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ ،
وَأَشْرَفَ عَلَى دَارِ الْمَقَامِ .

آخر كتاب أحوال الإنسان من لدن صغره إلى كبره والله الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الطعام والشراب وما ينضاف إليهما، ويقترن بهما

في الفواكه والثمار

كَرْمٌ نُسْلَفُهُ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ، وَيَقْضِينَا أُمَهَاتُ الرِّاحِ . عَنْقُودٌ كَالثَرِيَا . عَنَبٌ كَأَنَّهُ
مَخَازِنُ الْبَلُّورِ، وَظَرْفُ النُّورِ، وَأَوْعِيَةُ السَّرُورِ، وَأُمَهَاتُ الرَّحِيقِ، فِي مَخَازِنِ
الْعَقِيقِ . نَخْلٌ نُسْلَفُهُ الْمَاءُ، وَيَقْضِينَا الْعَسَلِ . رَطْبٌ كَأَنَّهُ شَهْدَةٌ بِالْعَقِيقِ
مَقْنَعَةٌ، وَبِالْعَقِيَانِ مَقْمَعَةٌ . رُمَانٌ كَأَنَّهُ صُرُرُ أَلْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ . سَفَرَجَلٌ يَجْمَعُ
طَبِيباً وَمَنْظَراً حَسَنًا، كَأَنَّهُ زَيْبُرُ الْخَزْرِ الْأَغْبَرِ، عَلَى الدِّيَابِجِ الْأَصْفَرِ . تَفَّاحٌ نَفَّاحٌ،
يَجْمَعُ وَصْفَ الْعَاشِقِ الْوَجِلِ، وَالْمَعشُوقِ الْخَجِلِ، لَهُ نَسِيمُ الْعَنْبَرِ، وَطَعْمُ
السُّكَّرِ . وَرَسُولُ الْمَحَبِّ، وَشَبِيهِ الْحَبِيبِ . تَيْنٌ كَأَنَّهُ سَفَرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَى
الْعَسَلِ . مَشْمَشٌ كَأَنَّهُ الشَّهْدُ فِي بِنَادِقِ الذَّهَبِ .

ذكر الجوع

لَاهُجُوعٌ، مَعَ الْجُوعِ، سُلْطَانُ الْجُوعِ يُسَيِّئُ الْمَلَكَةَ، هُوَ أَجُوعٌ مِنْ ذَنْبٍ
مُعْشَشٍ بَيْنَ أَغَارِيبٍ، قَدْ أَثَّرَ الْجُوعُ فِي الْأَخْلَاطِ . الْعَيُونُ قَدْ أَنْقَلَبَتْ،
وَالْأَكْبَادُ قَدْ أَلْتَهَبَتْ . تَحَلَّيْتُ الْأَفْوَاهُ، تَوَقَّدَتْ الْأَكْبَادُ . امْتَدَّتْ إِلَى
الْخِيَوَانِ الْأَعْنَاقِ، وَأُحْدَتْ نَحْوَهُ الْأَحْدَاقِ، وَتَحَلَّيْتُ لَهُ الْأَشْدَاقِ .

وصف القدور

قد قامت خطباء القدور. فاحت القدور بأطيت من المِسْك الأصهب،
بَالْعَنْبَرِ الاشهب، قدورٌ أبكار، بخواتيم النَّار. قَدَّرُ طَارَ عَرَفُهَا، وطَابَ عَرَفُهَا،
دهماء تهدر كالْفَيْيَقِ، وتفوح بالمسك الْفَتِيَقِ.

مقدمة الطعام

أفرش طعامك اسمَ الله، وألحفه حمد الله. كُلْ من الطعام ما حَدَثَ. لا
يطيب حضورُ الْخَوَانِ، إِلَّا مع الإخوان. الأكلُ مَنَّا لِلحاجة، ومنك للمُساعدة.
البخلُ بالطَّعام، من أخلاقِ الطَّغَامِ، الكريم لا يحظرُ تقديم ما يحضر.

وصف الموائد

مائدةٌ كدارةِ ألبدر. مائدةٌ تُباعَدُ بين أنفاسِ الْجُلَّاسِ، مائدةٌ مثلُ عُرُوسِ.
مائدةٌ نظيفة، محفوفةٌ بكلِّ طَريفة. مائدةٌ تشتملُ عَلَى بدائعِ المأكولاتِ،
وغرائبِ الطَّيباتِ. مائدةٌ كالعروسِ مَجْلُوءةٌ، من الطَّيباتِ مملوءة. مائدةٌ قد
زُخرفتِ رياضُها، ومُلِئتِ حياضُها، فمن قانىءٍ بِإزائه فاقع، ومن حالكٍ في
تَلْقائِهِ ناصع. مائدةٌ كأنما عملها صُنَّاعُ صَنَعَاء. مائدةٌ تجمعُ بين أنوارِ الربيعِ،
وأثمارِ الخريفِ.

وصف الألوان من الاطعمة

رُغْفَانُ كالبُذورِ المنطقة بالنجوم. أحسن ما يكون وجهُ الْخَوَانِ، إِذَا
اخضرتِ شواربُ الرُّغْفَانِ. ترى البقلَ عَلَى وجهِ الخوانِ، كما بَقَلْتَ أَوْجُهُ
الغلمانِ الحسانِ. جَدِيٌّ كأنما نُذِفَ عَلَى جنبهِ الْقَرَّ. حَمَلٌ ذهبي الدِّثارِ،
فضي الشِّعارِ. أَطِيبُ ما يكون الحَمَلُ، إِذَا حَلَّتِ الشَّمْسُ الحَمَلَ، حَمَلٌ
خُلْفَ شهرين، عَلَى الْخُلْفَيْنِ، ثم رعى شهرين، فهو شبران في شبرين، زِيرَ

باجة، هي للمائدة ديباجه، تشفي السقام، ولونها لون السقيم. سكباجة تفيق الشهوة، وأسفيد باجة تُغذي، وطبَاهجة يُتَفَكُّه بها، وخَييص يختم بخير. مَضيرة تشني على الحضارة، وترجرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة، وتشهد لمعاوية بالإمامة. في قصعة يزل عنها الطُرف، ويموج فيها الطُرف. طبَاهجة من شرط الملوكة، كأعراف الديوك. قَلِيَّة كالأعود المطري، مغمومة تفرج غم الجائع. هريسة نفيسة، كأنها خيوط خَزْ مشتبكة. كأنها قمرٌ بالشمس ملتحف. كان المُرِّي عليها عُصارة المسك، على سبيكة الفضة. شواء يتقطر عرقاً، ويتسائل جردابه مرقاً. أرزّة ملبونة، في السكر مدفونه. دجاجة مشوية لها من الفضة جسيم، ومن الذهب قشر. دجاجة دينارية، ثمناً ولوناً. شواء وشراس وفالودج رجراج. طباهجة تغذي، وفالودجة تغذي. أسفيدباجة تصفح قفا الجوع.

في وصف ألوان من الحلواء

فالودج بلباب البُرّ، ولُعاب النحل. كأن اللوز فيه كواكب في سماء عقيق. قطائف، فيها لطائف. عصيدة تجمع بين جنى النحل والنحل. ما الخييص إلا نعمة مجموعة، ولذة معجونة. تؤدي طعام العافية، وتختم بحسن العاقبة. لوزينج ليلي العمر، يومي النشْر، رقيق القشر، كثيف الحشو. لولبي الدهن، كوكبي اللون.

ذكر النهم الاكول

شيطان مَعِدته رجيم، وسلطانة ظلوم، هو أكل من النار، وأشرب من الرمل. كأن في أمعائه معاوية، يأكل أكل الحوت الملتقم، والثعبان الملتهم، والليث ألهاصر، والعقاب الكاسر. لو أكل ألفيل لما كفاه، ولو شرب أنيل لما ارواه. يجوب جوب البلاد، حتى يقع على جفنة جواد. يقول بالقصاع، لا ألمصاع، يرى رُكوب البريد، في حضور الثريد. أصابعه ألزم للشواء من

سُفُود. أُنَامِلُهُ كَالشَّبَكَةِ، فِي صَيْدِ السَّمَكَةِ. يَسْتَكْثِرُ مِنَ الْجَوَارِشَاتِ الْمُنْقَدَةِ
لِلسُّدِّ، الْمُقَوِّةَ لِلْيَمْعَدِ، الْمَشْهِيَةَ لِلطَّعَامِ، الْمُسَهِّلَةَ لِسُبُلِ الْإِنْهَضَامِ. إِذْ هُوَ
فِي تَنَاوُلِهَا كَالْكَاتِبِ الَّذِي يَقُطُّ أَقْلَامَهُ، وَالْجُنْدِي الَّذِي يَصْقُلُ حُسَامَهُ. تَسَافِرُ
يَدُهُ عَلَى الْخَوَانِ، وَتَسْفُرُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ، وَتَأْخُذُ وَجْهَ الرِّغْفَانِ، وَتَرْعَى أَرْضَ
الْجِيرَانِ. لَمَّا عَكَفْنَا عَلَى الْخَوَانِ، أَسْرَعَ فِي الرِّغْفَانِ، وَكَرَعَ فِي الْجِفَانِ،
وَفَقًّا أَعْيُنَ الْأَلْوَانِ.

فِي وَصْفِ مَجَالِسِ الْإِنْسِ وَأَلَاتِ اللَّهْوِ

مَجْلِسٌ* نَوَّرَهُ دُرٌّ، وَنَارُنْجُهُ ذَهَبٌ، وَنَرَجِسُهُ دِينَارٌ وَدِرْهَمٌ، وَيَحْمِلُهَا
زَبْرُجَدٌ. عِنْدَنَا أَتْرُجٌ كَأَنَّهُ مِنْ خُلُقِكَ خُلُقٍ، وَمِنْ شِمَائِلِكَ سُرْقٍ. وَنَارَنْجٌ
كَكَرَاتٍ مِنْ سَفَنِ ذُهَبٍ، أَوْ تُدِي أَبْكَارٍ خَلَقْتَ. مَجْلِسٌ أَخَذَتْ فِيهِ الْأَوْتَارُ
تَتَجَاوَبُ، وَالْأَقْدَاحُ تَتَنَاقَبُ. أَعْلَامُ الْإِنْسِ خَافِقَةٌ، وَالسِّنُّ الْمَلَاهِي نَاطِقَةٌ.
مَجْلِسٌ قَدْ فُرِشَ بِسَاطِهِ وَبُسِطَ أَنْمَاطُهُ، وَمُدَّ سِمَاطُهُ، بَيْنَ آسٍ مُخْضُودٍ، وَوَرْدٍ
مَنْضُودٍ*، وَنَايٍ وَعُودٍ. نَحْنُ بَيْنَ بَدُورٍ، وَكَاسَاتٍ تَدُورُ*، قَدْ نَشَاتِ غِمَامَةٌ
أَلْنَدٌ، عَلَى بَسَاطِ الْوَرْدِ. مَجْلِسٌ قَدْ تَفْتَحَتْ فِيهِ عَيُونُ النَّرْجِسِ، وَفَاحَتْ
مَجَامِرُ الْأَتْرَجِ، وَفُتِقَتْ فَارَاتُ النَّارَنْجِ، وَنَطَقَتْ أَلْسُنُ الْعِيدَانِ، وَقَامَتْ خُطْبَاءُ
الْأَوْتَارِ، وَهَبَّتْ رِيَّاحُ الْأَقْدَاحِ، وَطَلَعَتْ كَوَاكِبُ أَلْنَدِمَانِ، وَأَمْتَدَتْ سَمَاءُ أَلْنَدِّ.
مَجْلِسٌ مِنْ رَأَاهُ حَسِبَ الْجَنَانُ قَدْ أَصْطَفَيْتِ عَيُونُهَا فَجُمِعَتْ فِي قَدَرٍ مِنَ
الْأَرْضِ، وَتُخِيرَتْ فَصُوصُهَا فَتُنْقَلَتْ إِلَى مَطْلَعِ الْإِنْسِ وَاللَّهْوِ. قَدْ فَضَّ اللَّهُوُ
خَتَامَهُ، وَنَشَرَ الْإِنْسُ أَعْلَامَهُ. قَدْ هَبَّتْ لِلْإِنْسِ رِيحٌ* سَحَابُهَا أَلْقَادِحُ،
وَرَعُودُهَا أَلْوَتَارُ، وَرِيَاضُهَا أَلْأَقْمَارُ. قَدْ فَرَّغْنَا لِلَّهْوِ وَاللَّذَّةِ عَنَا فِي شُغْلٍ. قَدْ
أَقْتَعَدْنَا غَارِبَ الْإِنْسِ، وَجَرِينَا فِي مِيدَانِ اللَّهْوِ. عَمَدُنَا لِقْدَاحُ اللَّهْوِ فَاجْلَنَاهَا،
وَلَمْرَاكِبُ أَلْسُرُورٍ فَامْتَطِينَاهَا. قَدْ آمَتَطِينَا غَوَارِبَ الْأَفْرَاحِ، وَقَدْ حُنَا نَارَ السَّرُورِ
بِالْأَقْدَاحِ.

فيما يتصل به من الألفاظ

في الاستزارة

نحن في مجلس قد أبت راحته أن تصفو إلا أن تصافحها يُمناك، وأقسم غناؤه لا طاب أو تَعِيَه أذنالك، فأما حدود نارنجه فقد أحمرت خجلاً لإبطائك وعيون نرجسه فقد حذقت تأمياً للقائك، فبحياتي عليك إلا تعجلت، وما تمهلت. نحن بغيتك كعقدٍ قد غبيت واسطته، وشبابٍ قد أخذت جدته. إذا غابت شمس آسماء عنا، فلا بد من أن تدنو شمس الأرض منا. أنت من يُنظم به شمل الطرب، وبلقياه يُبلغ إلى كلّ أرب. طر إلينا طيران السهم، واطلع علينا طلوع النجم. ثب إلينا وثبة الغزال، واطلع علينا طلوع الهلال، في غرة شوال. كن إلينا من السهم إلى ممره، والماء إلى مقره. جشم إلينا قدمك، وأخلع علينا كرمك. إن رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بالعقد، ونحصل بقربك في جنة الخلد. إن رأيت أن تسهم لنا في قربك الذي هو قوت النفس، ومادة الأنس.

في الكناية عن الشراب

قد نشط لتناول ما يستمد البشر، ويشرح الصدر. قد آستمطر سحاب الأنس، وآستدر حلوبة السرور، وقدح زُند اللهو.*

وصف الشراب

* شرابٌ أصفى من مودتي لك، وأحسن من نعمة الله فيك، وأطيب من إسعاف الزمان بلفائك. أصفى من البُلور، ودمع المهجور. أصفى من ماء السماء، ودمع العاشقة الممره. أحسن من الدنيا المقبلة، والنعيم المكملة. أحسن من العافية في البدن، وأطيب من الحياة في السرور. أرق

من نسيم الصَّبَا، وعَهْدِ الصَّبَى. أَرْقُ من دمع مُجِبِّ، وشكوى صَبِّ. أَرْقُ
من دُمُوعِ الْعُشَّاقِ، مرتها لوعةُ الْفِرَاقِ. *

في تأثيره في القوم

دَبَّتْ الْكَأْسُ فِيهِمْ دَبِيبُ النَّارِ فِي الْفَحَمِ، وَالْبُرءُ فِي السَّقَمِ. سَارَتْ فِيهِمْ
سَوْرَةُ الْكُؤُوسِ، وَنَالَتْ مِنْهُمْ نَشْوَةُ الْخَنْدَرِيسِ. شَرِبَتْ الرِّاحُ عُقُولَهُمْ،
وَمَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ. تَمَشَّتْ الصُّهْبَاءُ فِي عِظَامِهِمْ، وَتَرَقَّتْ إِلَى هَامِهِمْ، وَمَاسَتْ
فِي أَعْطَافِهِمْ، وَمَالَتْ بِأَطْرَافِهِمْ. بَلَغَ حَدًّا، يُوجِبُ الْحَدَّ.

فقر وغرر تليق بهذا الباب

* الصَّاحِي بَيْنَ السَّكْرَى، كَالْحَيِّ بَيْنَ الْمَوْتَى، يَضْحَكُ مِنْ عِقْلِهِمْ،
وَيَأْكُلُ مِنْ نَقْلِهِمْ.

ذكر الغناء والمغني

غِنَاؤُهُ كَالْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ *. غِنَاءٌ يَبْسُطُ أَسِرَّةَ الْوَجْهِ، وَيَرْفَعُ حِجَابَ الْأُذُنِ،
وَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقَلْبِ، وَيَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ. غِنَاءٌ يُحْرِكُ الْنَفْسَ، وَيُرْقِصُ
الرُّؤُوسَ *. قَدْ سَمِعْنَا غِنَاءً، يَعِيدُ الْأَمْوَاتَ أَحْيَاءً، إِذَا غَنَى وَدَّتْ أَعْضَاءُ
السَّمَاعِينَ أَنْ تَكُونَ آذَانًا. فَلَانَ طَبِيبُ الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ، مُحْيِي مَوَاتِ الْخَوَاطِرِ
وَالطَّبَاعِ. يُطْعِمُ الْآذَانَ سُورًا، وَيَقْدَحُ فِي الْقُلُوبِ نُورًا. الْقُلُوبُ مِنْ غِنَائِهِ
عَلَى خَطَرٍ، فَكَيْفَ الْجُيُوبِ. كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ فَهُوَ يُغْنِي كُلًّا بِمَا
يَشْتَهِيه *. كُلُّ مَا يُغْنِيهِ مَفْتُوحٌ. لِيَغْنَاهُ فِي الْقَلْبِ، مَوْجِعُ الْقَطْرِ فِي الْجَذْبِ.
نَعْمَهُ نَعْمَتُهُ تَطْرِبُ، وَضُرُوبُ ضَرْبِهِ لَا تَضْطَرِبُ.

في ذم المغني

يترنم فيتعَب ولا يطرب، وليتنا وجدنا الكفاف ولكن يُكرب. فلان إذا غنى
عني، وإذا أدى آذى، يُميت الطرب، ويُحيي الكُرب. ضربة يوجب ضربه،
وسماعه يوجب آسماع به. من عجائب غنائه أنه يورد الشتاء في الصيف.
بيتُ وسي (كذا) باردُ الأنغمة مختلُ أليدين. ما رآه أحدٌ في دار قومٍ مرتين.

في استهزاء الشراب

قد تألف لي شملُ إخوان كاد أن يفترق لعوز المشروب، فاعتمدنا فضلك
المعهود، ووردنا بحرك المورود. أنا ومن سامحني الدهر بزيارته من إخواني
وأوليائك وقوفٌ بحيث يقف بنا اختيارك من النشاط أو الفتور، ويرتضيه لنا إيثارك من
آلهم أولسرور، لأنَّ الأمر في ذلك إليك، والاعتماد في جمع شمل المسرة عليك،
فإن رأيت أن تكلني إلى أولى الظنين بك فعلت. أطف المنن موقعا، وأجلها
في ألفوس موضعا. ما عمر أوطان المسرة، وطرد عوارض آلهم وأفكرة،
وجمع شمل المودة والألفة. قد انتظمت مع رفقة لي في سمط أثريا، فإن لم
يحفظ علينا النظام، بإهداء المرام، عُذنا كبنات نعشٍ والسلام. فرأيك في
إرواء غُلَّتنا بما ينقعها، وألتطول على جماعتنا بما يجمعها.

آخر كتاب الطعام والشراب والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب وصف النظم والنثر وأصحابها وآلاتها وأدواتها

وصف حسن الخط

خَطٌّ يَجْرِي مَجْرَى السَّحَرِ، وَيَرْتَفِعُ حُسْنُهُ عَنِ النَّعْتِ. رَأَيْتُ مِنْ خَطِّهِ
يَوَاقِيتَ فِي نِظَامٍ، وَصَفَحَاتٍ نُورٍ عَلَيْهَا سَطُورٌ ظَلَامٌ. خَطٌّ أَحْسَنُ مِنْ عَطْفَةِ
الْأَصْدَاغِ، وَبِلَاغَةٍ كَالْأَمَلِ آذَنَ بِالْبَلَاغِ. خَطٌّ كَأَنَّهُ صَبْحٌ مَنْقُشٌ بِظَلَامٍ، كَأَنَّهُ
لَيْلٌ عَلَى صَفَحَاتٍ نُورٍ، كَأَنَّهُ حَدِيقَةُ الْأَحْدَاقِ. خَطٌّ كَالرُّوضِ الْمَمْطُورِ،
وَالْوَشِيِّ الْمَنْشُورِ، وَالْدَّرِّ الْمَشُورِ. خَطٌّ كَمَا يُفْتَحُ الزُّهْرُ غَبَّ الْمَطَرِ، كَأَنَّهُ
خَطُوطُ الْغَوَالِي، فِي خُدُودِ الْغَوَانِي. خَطٌّ أَمْلَحُ مِنْ بَنْفَسَجِ الْخَطِّ، وَأَحْسَنُ
مِنَ الدَّرِّ فِي السَّمُطِ. خَطٌّ أَخَذَ مِنَ الطَّوَاوِيسِ ظُهُورَهَا، وَمِنْ أَلْبَزَاةِ صُدُورَهَا.
خَطٌّ كَالْتَّبَرِ الْمَسْبُوكِ، وَالْوَشِيِّ الْمَحْكُوكِ. خَطٌّ أَمْلَحُ مِنْ صَوْلِجَانِ الْمَسْكِ، فِي
مِيدَانِ الْوَرْدِ، أَحْسَنُ مِنْ بُدُورِ الْغُرْرِ، فِي لِيَالِي الطَّوَرِ. فَلَانٌ يُغْرِسُ الدَّرَّ فِي
أَرْضِ الْقَرَاطِيسِ، وَيَنْشُرُ عَلَيْهَا أَجْنَحَةَ الطَّوَاوِيسِ. كَأَنَّ يَدَهُ تَنْشُرُ وَشْيًا، أَوْ
تَنْظِمُ دُرًا. كَأَنَّهُ مَطَرُزٌ بِالظَّلَامِ رِدَاءُ الصَّبَاحِ. خَطٌّ كَأَنَّ الْقَلْبَ يَشْعُرُ مِنْهُ نُورًا،
وَالْعَيْنُ تَجْنِي نُورًا. خَطٌّ يَبْهَرُ الطَّرْفَ، وَيَفُوتُ الْوَصْفَ. خَطٌّ كَالرِّيَاضِ،
وَالْمَقْلِ الْمَرَاضِ، وَالْإِقْبَالِ بَعْدَ الْإِعْرَاضِ. أَمْتَعْتُ طَرْفِي مَا شَتَّتُ بِمَحَاسِنِ
خَطِّهِ وَلَفْظِهِ، وَأَخَذْتُ مِنْهُمَا بِأَوْفَرِ قِسْطِ الْمُسْتَفِيدِ وَحِظِّهِ. تَحِيرْتُ بَيْنَ ظَلَامٍ
وَصَبَاحٍ، وَعَقْدٍ وَوَشَاحٍ. خَطُّهُ خُطَّةُ الْحُسْنِ.

في سرعة الكتابة

يَدُهُ ضَرَّةُ الْبَرْقِ، وقلمه فلكيُّ الْجَرِيِّ. يَدُهُ ظَرُّ الْبَلَاغَةِ، وَأُمُّ الْكِتَابَةِ،
وَضَرَّةُ الْرَّيْحِ، وَيَنْبُوعُ الْفَضْلِ. كَانَ يَدُهُ عَلَى الْقِرْطَاسِ جَنَاحُ طَائِرٍ فِي سَرَابٍ
مَائِرٍ. فَلَانُ أَنْامِلِهِ الرِّيحُ، وَخَوَاطِرُهُ الْبَحَارُ. فَلَانُ سَرِيعُ الْبَنَانِ، بِدِيعِ الْبَيَانِ.
لَا يَحْبِسُ عَنَانُ قَلَمِهِ، أَوْ يَنْثُرُ الدُّرَّ فِي كَلِمِهِ. قَلَمُهُ يَهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ، غَادِرًا
رَأْسَهُ فِي دَرَجِهِ. أَخْفَ مِنْ حَسَاةِ طَائِرٍ، وَلَمْعَةٍ بَارِقٍ، وَخَلْسَةِ سَارِقٍ.

وصف النثر بما يشتمل عليه من الالفاظ والمعاني

أَلْفَاظٌ كَغَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ، وَمَعَانٍ كَأَنهَا فَكْ عَانَ. أَلْفَاظٌ كَمَا نَوَّرَتْ
الْأَشْجَارُ، وَمَعَانٍ كَمَا تَنْفَسَتْ الْأَسْحَارُ. أَلْفَاظٌ قَدْ آسْتَعَارَتْ حَلَاوَةَ الْعَتَابِ،
بَيْنَ الْأَحْبَابِ، وَآسْتَرْقَتْ تَشَاكِي الْعُشَّاقِ، يَوْمَ الْفِرَاقِ. حَسِبْتُ أَلْفَاظَهُ دُرَّ
السَّحَابِ، أَوْ أَصْفَى قَطْرًا وَدِيمَةً، وَمَعَانِيَهُ دُرَّ السِّخَابِ، بَلْ أَوْفَى قَدْرًا وَقِيمَةً.
كَلَامٌ قَرِيبٌ شَاسِعٌ، وَمُطْمَعٌ مَانِعٌ. كَالشَّمْسِ تَقَرَّبَ ضِيَاءُ، وَتَبَعَدَ عِلَاقُ،
وَكَالْمَاءِ يَرُخِّصُ مَوْجُودًا، وَيَغْلُو مَفْقُودًا. كَلَامٌ يَصْعَبُ عَلَى التَّعَاطِي،
وَيَسْهَلُ عَلَى الْفِطْنَةِ. كَلَامٌ لَا تُمَجِّهُ الْأَذَانُ، وَلَا يُبْلِيهِ الزَّمَانُ. أَلْفَاظٌ كَالْبَشْرِ
مَسْمُوعَةٌ، وَأَزَاهِيرُ الرِّيَاضِ مَجْمُوعَةٌ، وَمَعَانٍ كَأَنْفَاسِ الرِّيحِ، تَعَبُّقُ بِالرَّيْحَانِ
وَالرَّاحِ. كَلَامٌ مُسْتَهْلٌ مُتَسَلِّسٌ كَالْمَدَامِ بِمَاءِ الْغَمَامِ، يَقْرُبُ إِذْنَهُ عَلَى الْأَفْهَامِ.
مُلَحٌّ كَنُوفِذِ السِّحْرِ، وَفَقْرٌ كَالْغَنَى بَعْدَ الْفَقْرِ. كَلَامٌ كَبَّرْدِ الشَّرَرَابِ، عَلَى أَكْبَادِ
الْجَرَارِ، وَبُرْدِ الشَّبَابِ، فِي خَلْعِ الْعَذَارِ. كَلَامٌ كَثِيرُ الْعُيُونِ، سَلَسُ الْمَتُونِ
رَقِيقُ الْحَوَاشِي، سَلِسُ النُّوَاحِي. كَلَامٌ هُوَ السَّحَرُ الْحَلَالُ، وَالْمَاءُ الزَّلَالُ،
وَالْبُرُودُ وَالْجَبَرُ، وَالْأَمْثَالُ وَالْعِبَرُ، وَالنَّعِيمُ الْحَاضِرُ، وَالشَّبَابُ النَّاضِرُ. نَظَرْتُ
مِنْهُ إِلَى صُورَةِ الظَّرْفِ بَحْتًا، وَسُورَةِ الْبَلَاغَةِ سَبْكَأُونَحْتًا. أَلْفَاظٌ هِيَ خُدْعُ
الْأَدْهَرِ، وَعُقْدُ السَّحَرِ. أَلْفَاظٌ تَسَّرُ الْمُحْزُونَ، وَتَسْهَلُ الْخُزُونَ، وَتَعَطَّلُ الدُّرَّ

المعززون. كلامٌ بعيدٌ من الكُلف، نقيٌّ من الكَلَف. كلامٌ كما تنفس السحر عن نسيمه، وتبسم الدر عن نظيمه. ألفاظٌ تأتق الخاطر في تذهيبها، ومعانٍ عني الطبع بتهذيبها. ألفاظٌ حسبها في رقتها منسوخة من صحيفة الصبي، وظننتها لسلامتها مكتوبةً عن إملاء الهوى. كلامٌ كالبشرى بالولد الكريم، قرع بها سمع الشيخ العقيم. كلامٌ قَرَبَ حتى أطمع، وبُعدَ حتى امتنع، ودنا حتى صار قاب قوسين أو أدنى، ثم سما حتى صار بالمنظر الأعلى. كلامٌ حَسَنُ الديباجة، صافي الزجاجة، رقيق المزاج، حلو المَسَاغ، نقي السمك، مقبول اللفظ، قرأت جلياً، حوى معنى خفياً، وكلاماً قريباً، رمى غرضاً بعيداً. لو أن كلاماً أذيب به صخر، أو أطفئ به جمر، أو عوفي به مريض، أو جبر به مهبط، لكان هذا. كلامه يقود سامعيه إلى السجود، ويجري في القلوب كجري الماء في العود. فلان ألفاظه أنوار، ومعانيه ثمار. كلامه أنس المقيم الحاضر، وزاد الراحل المسافر. كلامٌ تسعى إليه الفُور، ويتنفض إليه العصفور. كلامٌ يقضي حق البيان، ويملك رق الحسن والإحسان. كلام منه يُجتنى الدر، وبه يُعقد السحر، وعنده يُعتب الدهر، وله يُشرح الصدر. كلامٌ يقرب جناه، ويبعد مداه، ويونس مسمعه، ويؤيس مصنعه.

ذكر البلاغة والبلغاء

ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنان، ويُسَطر رهان القول أو ميدانه، بل هو أن يبلغ أمد المراد، بألفاظ أعيان ومعانٍ أفراد، من حيث لا مزيد على الحاجة، ولا إخلال يفضي إلى ألفاقة. البلاغة ميدانٌ لا يُقطع إلا بسوابق الأذهان، ولا يُسلك إلا ببصائر البيان. فلان يعبت بالكلام، ويقوده بالين زمام، حتى كأن ألفاظه تتحاسد في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتغير في الانثيال على أنامله. فلان مشرفي المشرق، وصيرفي المنطق، البيان أصغر صفاته، والبلاغة عفو خطراته. كأنه أوحى بالتوفيق إلى صدره،

وَحُبْسُ الصَّوَابِ بَيْنَ طَبْعِهِ وَفِكْرِهِ. فَلَا يُحْزُ مَفَاصِلُ الْكَلَامِ، وَيَسْبِقُ فِيهَا إِلَى دَرْكِ الْمَرَامِ، كَأَنَّمَا جَمَعَ الْكَلَامَ حَوْلَهُ حَتَّى انْتَقَى مِنْهُ وَأَنْتَخَبَ، وَتَنَاوَلَ مِنْهُ مَا طَلَبَ، وَتَرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَذْنَاباً لَا رُؤُوساً، وَأَجْسَاداً لَا نَفُوساً. فَلَا يُبْلَغُ الْمَعْنَى وَيَرْضَى بَعْفُ الطَّبْعِ، وَيَقْنَعُ بِمَا يَخْفُ عَلَى السَّمْعِ. يُوجِزُ فَلَا يُخْلُ، وَيُطَنِّبُ فَلَا يُمِلُّ. اللَّهُ فَلَانُ أَخَذَ بِأَزْمَةِ الْقَوْلِ يَقُودُهَا كَيْفَ أَرَادَ وَيَجْذِبُهَا أُنَى شَاءَ، فَلَا يَعْصِيهِ بَيْنَ الصَّعْبِ وَالذَّلُولِ، وَلَا يَسْلِمُهُ عِنْدَ الْحُزَنِ وَالْإِسْهَوْلِ. كَلَامٌ يَشْتَدُّ مَرَّةً حَتَّى تَقُولَ الصَّخْرُ أَلَا مِلْسَ، وَيَلِينُ تَارَةً حَتَّى تَقُولَ أَلْمَاءُ أَوْ أَسْلَسَ. يَقُولُ، فَيَصُولُ، وَيَجِيبُ، فَيَصِيبُ، وَيَكْتَبُ فَيَطْبِقُ الْمَفْصِلَ؛ وَيَنْسِقُ أَلْدُرَّ أَلْمَفْصِلِ. يَرِدُ مِشَارِعُ الْكَلَامِ وَهِيَ صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرَقْ، وَجَامَّةٌ لَمْ تَرْنَقْ.

في سرعة الخاطر ونفاذ الطبع

خَاطِرُهُ أَلْبَرَقُ أَوْ أَسْرَعُ لَمْعاً، وَأَلْسِيفُ أَوْ أَحَدُ قِطْعَاءِ، وَالْمَاءُ أَوْ أَسْلَسُ جَرِيّاً، وَالْفَلَكُ أَوْ اقْوَمُ هَدِيّاً. هُوَ مِنْ يَسْهَلِ الْكَلَامِ عَلَى لَفْظِهِ، وَتَتَزَاحَمُ أَلْمَعَانِي عَلَى طَبْعِهِ، فَيَتَنَاوَلُ أَلْمَرْمَى أَلْبَعِيدَ بِقَرِيبِ سَعْيٍ، وَيَسْتَنْبِطُ أَلْمَشْرُوعَ أَلْعَمِيقَ بِسِيرِ جَرِي. كَلَامُهُ عَفْوُ اللِّسَانِ، وَفَيْضُ أَلْيَدِ، وَمَسَاوِقَةُ أَلْقَلَمِ، وَمَسَابِقَةُ أَلْيَدِ لِلْفَمِ، وَجَمْرَاتُ الْحِدَّةِ، وَثِمَرَاتُ أَلْمُدَّةِ، وَمَجَارَاةُ الْخَاطِرِ لِلنَّازِرِ، وَمُبَارَاةُ أَلطَّبْعِ لِلسَّمْعِ.

زلاقة اللسان والفصاحة

لِسَانُهُ يُغِيضُ أَلْبُحُورَ. وَيَقْلِقُ أَلصَّخْرَ. وَيُسَمِعُ أَلصَّمَّ، وَيَسْتَنْزِلُ أَلْعُصْمَ. خَطِيبٌ لَا تَنَالُهُ حُبْسَةٌ، وَلَا تَرْتَهِنُهُ لُكْنَةٌ، وَلَا تَتَمَشَّى فِي خُطَابِهِ رُتَّةٌ، وَلَا تَتَسَلَّطُ عَلَى جَوَارِهِ فِتْرَةٌ، وَلَا يَتَحِيفُ بَيَانُهُ عُجْمَةٌ، وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عُقْدَةٌ. فَلَانٌ رَقِيقُ أَلْأَسْلَةِ، عَذْبُ أَلْعَدْبَةِ. لَوْ وُضِعَ لِسَانُهُ عَلَى أَلشَّعْرِ حَلَقَهُ، أَوْ عَلَى أَلصَّخْرِ فَلَقَهُ، أَوْ عَلَى أَلْجَمْرِ أَحْرَقَهُ، أَوْ عَلَى أَلصَّفَا خَرَقَهُ. أَمَا تَرَى، فَلَاناً

وَلَسَنَهُ؟ وكيف يجرّ في الفصاحة رسنه. كأن لسانه ثعبان ينساب بين رمال، أو ماء يتغلغل بين جبال. كأن لسانه مخرق لالعاب، أو غرار سيف قاضب. قد أحسن السيفارة، وأستوفى العبارة، وأدى الألفاظ وأستغرق الأغراض، وأصاب شواكل المراد، وطبق مفاصل السداد. لسانه كلسان ابن الحمرة، أو سينان عنبرة.

ذكر الاطناب

بَسَطَ عِنانَ الخطاب، ومَدَّ أَطنابَ الإطناب، وطلب الأمد في الإسهاب. قال حتى قال الكلام لو أعفيت، وكتب حتى قالت الأقلام قد أحييت. قد اتسع به مشرع الإطناب، وأنفجر مسلك الإسهاب، أرسل لسانه في ميدانه، وأرخی من عنانه. نفّض ما في راسه، وفرغ جعبة وسوابه. تصرّفت في كذا فأطلت وأطبت، وقلت فأطنبت. قال فأطال، وجال في بسط المقال كل مجال. إذا أسحنّقر في الكلام طفح آذيه، وسال أتيّه، انثال عليه الكلام، أنثيال الغمام، وأستجاب له الخطاب، ولا صوب الرّباب.

وصف النثر والنظم معاً

نثرٌ كثر الورد، ونظمٌ كنظم العقدة. نثرٌ كالسحر أو أدق، ونظمٌ كالماء أو أرق. رسالة كالروضة الأنيقة، وقصيدة كالمدبرة الرشيقة. رسالة تقطر ظرفاً، وقصيدة تمزج بها الراح لطفاً. نثره سحر البيان، ونظمه قطع الجنان. نثرٌ كما تفتح الزهر، ونظمٌ كما تنفس السحر. نثرٌ ترق نواحيه وحواشيه، ونظمٌ تسحر ألفاظه ومعانيه. نثرٌ كالحديقة تفتحت أحداق وردها، ونظمٌ كالخريدة توردت أشجار نهدها. رسالة تضحك عن زهر وغرر، وقصيدة تنطوي على جبر ودرر، لم ترض في برك بأخوات النثرة من نثر، حتى وصلت بها نبات الشعري من

شعرك . كلامٌ كما هب نسيمُ السَّحَرِ عَلَى صَفَحَاتِ الزَّهَرِ، وَلَدَّ طَعْمَ الكَرَى
بعد برح السَّهَرِ، وشعُرٌ في نفسه شاعرٌ، تُوسِّمُ بهِ المَواسِمُ والمِشاعِرُ. كلامٌ
أنسى حلاوةَ الأَولادِ بحلاوتهِ، وطلاوةَ الرَّبيعِ بطلاوتهِ، شعُرٌ من حُلَّةِ الشَّبابِ
مسروقٌ، ومن طينةِ الوِصالِ مخلوقٌ.

وصف الشعر

قصيدةٌ في فنِّها فريدةٌ. قصيدةٌ أُخْلِصَتْ عَلَى قِصْدٍ، وفريدةٌ أَتَتْ مِنْ فَرْدٍ.
هي صَوْبُ العقولِ، تَغْبِرُ فِي نَوَاصِي الفُحُولِ. عروسٌ كَسَتْهَا القَوَافِي، وَحَلَّتْهَا
المَعَانِي. شعُرٌ يَتَرَقَّرُ فِيهِ مَاءُ الطَّبْعِ، وَيَرْتَفِعُ لَهُ حِجَابُ القَلْبِ والسَّمْعِ. شعُرٌ
مَلَكَني العُجْبُ بِهِ، وَبَهَرَنِي التَّعَجُّبُ مِنْهُ. شعُرٌ لَا مِزِيَةَ الإِيجَازِ أَخْطَأَتْهُ، وَلَا
فَضِيلَةَ الإِعْجَازِ تَخْطِئَتْهُ. شِعْرٌ رَوَيْتُهُ، لَمَّا رَأَيْتُهُ، وَحَفَظْتُهُ، لَمَّا لَحِظْتُهُ. أَبْيَاتٌ
لَوْ جُعِلَتْ خِلْعَةٌ عَلَى الزَّمَانِ لَتَحَلَّى بِهَا مُكَائِرًا، أَوْ تَجَلَّى فِيهَا مَفَاخِرًا. رَاقِي
الشَّعْرِ حَتَّى شَاقِنِي، فَإِنَّهُ مَعَ قُرْبِ لَفْظِهِ بَعِيدُ المَرَامِ، مُسْتَمِرُّ النِّظَامِ. قَوِيٌّ
الْأَسْرَ، صَافِي النَّحْرِ. قَدْ أَلْبَسَ مِنَ البِدَاوَةِ فِصَاحَتَهَا، وَغَشَى مِنَ الْحَضَارَةِ
سِجَاحَتَهَا، فَإِنْ شِئْتَ قَلْتَ عَبِيدًا وَلَبِيدَ، وَإِنْ شِئْتَ قَلْتَ حَبِيبًا وَوَلِيدَ. شعُرٌ
يَخْتَلِطُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ لِنَفَاسَتِهِ، وَيَكَادِ يَعِينُ كَانِبَهُ مِنْ سِلَاسَتِهِ. قَصِيدَتُهُ تُجَنِّتُنِي
بِالْأَفْكَارِ، وَنَقْلُ يُتَنَاوَلُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ، وَنَقْلُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، أَلَدُّ مِنْ نَقْلِ
الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ. وَفَاكِهَةُ الْكَلَامِ، أَطْيَبُ مِنْ فَاكِهَةِ الطَّعَامِ. نَظْمٌ كَنَظْمِ
الْجُمَانِ، وَرَوْضُ الْجَنَانِ، وَأَمْنُ الْفَوَادِ، وَطِيبُ الرُّقَادِ. لَمْ أَرْ غَيْرَهَا بَكَرًا
أَسْتَوْفَتْ أَقْسَامَ الْحُنْكَةِ، وَأَسْتَكْمَلَتْ أَحْكَامَ الدُّرْبَةِ، فَعَلِيهَا رَوْنَقُ الشَّبابِ،
وَلَهَا قُوَّةُ الْمَذَكِّيَاتِ الصِّلَابِ. رُوحُ الشَّعْرِ، وَتَاجُ الدَّهْرِ. مَقْدَمَةُ عَسَاكِرِ
السَّحَرِ. كُلُّ بَيْتٍ شِعْرٍ، خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ يَبْرُ. شِعْرٌ يُحْكَمُ لَهُ بِالْإِعْجَازِ وَالتَّبَرِيزِ،
وَيُشَبَّهُ فِي صَفَاءِ سَبْكَهِ بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ. شعُرٌ تَأْتَلِفُ الْقُلُوبُ عَلَى دُرِّهِ أَتْلَافًا،
وَتَصِيرُ آذَانُهَا أَصْدَافًا.

وصف الشعراء

لله ذرّه ما أحلى شِعْرَه، وأنقى دُرّه، وأصفى قَطْرَه، وأعجب أمره. قد أخذ برقاب القوافي، وملك رِقّ المعاني. فضله برهان حقّ، وشعره لسان صدق. أجمع أهل جلدته، على أنه معجز بلدته. فلان يغرب، بما يجلب، ويدع بما يبضع. حسن السبك، محكم الرّصف، بديع الوصف. مرغوب في شعره، متنافس في سحره. فلان ضارب في قول الشعر بأعلى السهام، أخذ من عيون الفضل بأوفى الأقسام. ماء أشعار وطيتها، وكثر القوافي ومديتها. شِعْرُه، أشعاره، ودأبه، آدابه. فلان ممن يبتدعه فيبتدع. فلان يجمع بين الإسراع، والإبداع. طبعه يمل عليه، ما لا يمل الاستماع إليه. قريحه غير قريحة، وطبع غير طبع، وخيم غير وخيم. لبيد عنده بليد، وعبيد وأقرانه له عبيد. ألفرزدق عنده أقل من فرزدقة خمير، وجريز، يقاد إليه بجريز. قد نسج حلاً لا يلي جدتها الجديدان، ولا تزداد حسناً إلا على مرور الزمان.

في نعت الشعر السائر

نظمه قد نظم حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب. أشعاره قد وردت ألمياه، وركبت الأفواه، وسارت في البلاد، ولم تسر بزاد، وطار في آفاق، ولم تمش على ساق. شعره أسير من الأمثال، وأسرى من الخيال. سار مسير الرياح، وطار بغير جناح. أشعار سارت مسير الشمس وهبت هبوب الريح، فطبقت تخوم الأرض، وانتظمت الشرق إلى الغرب. قد كادت الأيام تُشدها، والليالي تحفظها والجن تدرسها، والطير تتغنى بها.

في ذكر شعر الاكابر والملوك

قرأت آلايات التي أسفر عنها طبع المجد فعلمت كيف يتكسر الزهر على صفحات الحداثق، وكيف يغرس الدُر في رياض المهارق. شعر قد احتبس

جريه عَلَى فكره، ووقف كيف شَاء عند أمره. شعرُ يُعلَقُ في كعبة المجد،
وَيُتَوَجُّ به مَفْرَقُ الدَّهر. جاءت القصيدة ومعها غُرَّة المُلْك، وعليها رُواء
الصِّدْق، وفيها سيما العلم، وعندها لسان المجد، ولها صيال الحق، لا غُرْو
إذا فاض بحرُ العلم عَلَى لسان الشعر أن ينتج ما لا عينٌ وقعت عَلَى مثله،
ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ بشبهه. شعرُ يكتب في غُرَّة الدَّهر، ويُشَدَّخ في جبهتي
الشمس والبدر.

وصف الكتب البليغة الغزيرة وحسن موقعها

كتابُ كتب لي أماناً من الدَّهر، وهنَّاني أيام العمر. كتابٌ أوجب من
الاعتداد، أوفر الأعداد، وأودع بياض الوداد، سوادَ ألفؤاد. كتابُ الظُّفرُ به
نعيم، والظُّفرُ فيه فتحٌ عظيم. كتابُ آرحتُ لعيانه، وأهتزرتُ لعنوانه. كتابُ
هو من كُتُب الميامين، التي تأتي من قِبَل اليمين. كتابُ عدَّدته من حُجول العمر
وغُرره، وأعتدته من فرص العيش وغرره. كتابُ أنس مَسْموعاً ومَلْحوظاً،
وكاد مُودَعُهُ يكون مدروساً ومَحْفُوظاً. كتابُ هو أنفُس طالع، وأكرم مُتطلع،
وأحسن واقع. كتابُ لو قُرئ عَلَى الحجارة لانفجرت، أو عَلَى
الكواكب لانتثرت. كتابُ كدَّتْ أبلية طياً ونشرا، وقبَلته ألفاً ويد حامله
عَشرا. كتابُ نسيْتُ لحسنه الرّوض والزَّهر، وغفرتُ للزمان ما تقدم من ذنبه
وما تأخر. كتابُ قد أملتُه مزية المجد عَلَى بنانك، ونطق به لسان الفضل
عَلَى لسانك، أما النقط عَلَى كل حرفٍ نذيرة أناملك بحقه، وأخذ من كل
سطرٍ تتجشم تخطيطه نزهة. (كذا) إذا قرأت من خطك حرفاً، وجدت عَلَى
قلبي خفّاً، وإذا تأملت من كلامك لفظاً، ازْدَدْتُ من أنسي حظّاً.

تشبيهات هذه الكتب

كتابُ كَتَبَ لي أماناً من الزَّمان، وتوقيعٌ وَقَعَ عندي موقع الماء من العطشان.

كتابٌ هو تَعَلَّةُ المسافر، وأنسة المستوحش، وزبدة الوصال، وعُقْلَةُ المستوفز. كتابٌ هو رُقيَّةُ القلب السليم، وغُرَّةُ العيش البهيم. كتابٌ هو سَمَرُ بلا سَهَر، وصَفْوُ بلا كَدَر. كتابٌ تَمَتَّعْتُ منه بالنعيم الأبيض، والعيش الأخضر، وأستلمته أستلام الحجر الأسود، وكلت طرفي من سُطوره بوشي مهلل، وتاجٍ مكلَّل، وأودعتُ سمعي من بدائعه ما أنساني سماع الأغاني، من مطربات الغواني. نشأتُ سحابةً من روضك غيُمها نعمةٌ سابغة، وغيثها حكمةٌ بالغة. سَقَتْ رَوْضَةَ القلب، وقد جهدها يدُ الجذب، فأهترَّت ورَبَّت، وأكتست مما أكتسبت. كتابٌ حسبته ساقطاً إليَّ من السماء اهتزازاً لمطلعه، وأبتهاجاً بحسن موقعه. تناولته كما يُتناول الكتابُ المرقوم، وفضضته كما يُفضُّ الرِّحيقَ المختوم. كتابٌ كالْمَشْرِقِ شرق به الَمسير وقميصُ يوسف جاء به البشير. هو في الحسن رَوْضَةٌ حَزَنٌ، بل جَنَّةٌ عَدَنٌ، وفي شرح النفس، وبَسَطُ الأَنس، بردُ الأَكباد والقلوب، وقميصُ يوسف في أَجفان يعقوب. قد أَهْدَيْتَ إليَّ محاسن الدنيا مجموعة في وَرَقه، ومباهج الحُلل والحُلِي محصورة في طبقه. كتابٌ ألصقته بالقلب والكبد، وشممته شَمُّ الولد. ورَدَ منه المِسك ذَكِيًّا، والزهر جنيا، وآماء مريا، والعيش هَنيا، واليسحر بابليا. كتابٌ مطلعه مطلع أهلة الأعياد، وموقعُهُ موقع نيل المُرَاد.

وصف قصر الكتب

كتابٌ وَجَدْتَهُ قصير العمر، كليالي الوصول بعد الهجر. لم أبدأ به حتى استكمل، وقارب الآخر الأول. كتابٌ منتَقَصُ الأطراف، مقتطع الأكناف، أَبْثَرُ الجوارح، مُضْطَرِبُ الجوانح. كأنه تعريض متحرِّز، أو توقيع مُبرز. كتابٌ يلتقي طَرَفاه، ويتقارب مُفْتَتِحُه ومُنْتَهاه. كتابٌ آتفق طَرَفاه صِغْرا، واجتمعت حاشيتاه قِصْرا، ما أَظُنُّني ابتداءً، حتى ختمته، ولا افتتحته حتى استتممتُه، ولا لمحتُه، حتى استوفيتُه، ولا نَشَرْتُهُ، حتى طَوَيْتُهُ، وأحسبني لو لم اجود

ضبطه ولم ألزم يدي حفظه لطار حتى يختلط بالجو فلا أرى منه إلا هباءً
مُنثورًا، وهواءً مَنشورًا. كتابٌ حسبته يطيرُ من يدي لخفته، ويلطف عن حسي
لِقَلته. عَجِبْتُ كيف لم تحتمله الريح قبل وصوله إليّ، وكيف لم يختلط
بالهواء عند حصوله لدي. كتابٌ قصُّ الاختصار أجنته فلم يدع قوادمَ ولا
خوافي، وأخذ الاختصارُ جدته فلم يُبق ألفاظاً ولا معاني، كتابك كإيماءٍ
بطرفٍ، أو وحيٍ بكفٍّ، لم أفتحه حتى استوفيته ولا نشرته حتى طويته.

في ذم الخط والقلم

خطه مُضطرب الحروف، متضاعف الضعف والتَّحريف. خطٌ مُمجمج،
ولفظ مُلجلج. خطٌ سقيم، وخاطرٌ عقيم. خطٌ مجنون، لا يُدرى ألف أم
نون، وسطور، فيها شطور. خطٌ يُقذي العين، ويشجي الصدر. خطٌ منحطٌ،
كأرجل البط، على الشط، وأنامل السرطان، على الحيطان، قلمه لا يستجيب
بريه، والمدادُ لا يُساعد جريه. قلم كالولد العاق والأخ المشاق إذا أدركته
استطال، وإذا قومته مال، وإذا بعثته وقف، وإذا وقفته انحرف. قلمٌ أحدل
الشيء، مُضطرب الشق. متفاوت البري، معدومُ الجري. مُحرفٌ القَط، مشج
الخط. قلمٌ لم يُقلم ظفره فهو يَخْدش القُرطاس، ويُنفُسُ الأنفاس، ويأخذ
بالأنفاس. فلم لا ينبعث إذا بعثته، ولا يَقِف إن وقفته. قد وقف اضطراب
بريه، دُون استمرارِ جريه، واقتطع تفاوت قَطه، عن تجويد خطه.

في ذم الكلام

كلامٌ تنبو عن قبوله الطباع، وتتجافى عن استماعه الأسماع. ألفاظٌ تنبو
عنها الأذان فتُمجُّها، وتنكرها الطباع فتزجُّها. كلامٌ لا يرفع السَّمع له حجاباً،
ولا يفتح القلب لوفده باباً. كلامٌ يُصدي الرِّيان، ويُصدي الأذهان. كلامٌ قد
تعملُ فيه حتى تبدل، وتكلف، حتى تعسف. طبعٌ جاسي، ولفظٌ قاسي. لا

مَسَاغٌ لَهُ فِي سَمْعٍ، وَلَا وُصُولُ لَهُ مَعَ خُلُوعِ ذَرَعٍ. كَلَامٌ لَا أَلْرُويَةُ فِيهِ ضَرِبَتْ
بِسَهْمٍ، وَلَا أَلْفِكْرَةُ أَجَالَتْ فِيهِ بِقَدَحٍ، كَلَامٌ تَتَعَثَّرُ الْأَسْمَاعُ مِنْ حُزُونَتِهِ،
وَتَتَحَيَّرُ الْأَفْهَامُ فِي وُجُودَتِهِ. كَلِمَاتٌ ضَعِيفَةٌ أَلَاتِفَاقٌ، قَلِيلَةٌ أَلْأَعْيَانُ،
مُضْمَحَلَةٌ عَلَى أَلْمَتْحَانِ. أَلْفَاظٌ تُسْتَعَارُ مِنَ أَلْرِبَاجِيِّ، وَمَعَانٍ تَقْدُ مِنَ أَلْأَثَافِيِّ.
كَلَامٌ كَأَنَّهُ ثَمَرٌ قُطِفَ قَبْلَ أَوَانِهِ، وَشَرَابٌ نَزَلَ دَنَّهُ قَبْلَ إِبَانِهِ. كَلَامٌ بِمِثْلِهِ يَتَسَلَّى
أَلْأَخْرَسُ عَنْ بَكْمِهِ، وَيَفْرَحُ أَلْأَصْمُ بِصَمِّهِ. بِمِثْلِ ذَلِكَ أَلْكَلامُ رُزْقِ أَلْصَّمْتِ
أَلْمَحَبَّةِ، وَأُعْطِيَ أَلْإِنْصَاتُ أَلْفَضِيلَةُ. كَلَامٌ أَمْلَسَ أَلْمَتُونَ، قَلِيلُ أَلْعَيُونِ. أَثْقَلَ
مِنْ أَلْجَنْدَلِ، وَأَمْرٌ مِنْ أَلْحَنْظَلِ. لَفْظٌ أَخْلَاطٌ، فَلَا يُدْرِكُهُ اسْتِنْبَاطٌ، وَلَا يُفْسِرُهُ
بُقْرَاطٌ. لَفْظُهُ هَذِيانُ أَلْمَحْمُومِ، وَسُودَاءُ أَلْمَهْمُومِ. كَلَامٌ رَثٌّ، وَمَعْنَى غَثٌّ. لَا
طَائِلَ فِيهِمَا، وَلَا حَلَاوَةَ عَلَيْهِمَا.

فِي ذَمِّ الْكَاتِبِ

أَلْخَرَسُ أَحْسَنُ مِنْ كَلَامِهِ، وَأَلْجِي أَبْلَغُ مِنْ بَيَانِهِ. خَاطَرُهُ يَنْبُو، وَقَلَمُهُ يَكْبُو،
يَسْهُو وَيَغْلَطُ، وَيُخْطِي وَيَسْقُطُ. هُوَ فِي أَلْأَدَبِ، دَعِيَ أَلْنَسَبِ، ضَيَّقُ
أَلْمُضْطَرَبِ، سِيءُ أَلْمُنْقَلَبِ. قَصِيرُ بَاعِ أَلْكِتَابَةِ، قَاصِرُ سَعْيِ أَلْبَلَاغَةِ. كَتَبَهُ
مُضْطَرِبَةُ أَلْأَلْفَاظِ، مُتَفَاوِتَةُ أَلْأَبْعَاضِ، مُنْتَشِرَةُ أَلْأَوْضَاعِ، مُتَبَايِنَةُ أَلْأَغْرَاضِ.
أَلْجَلَمُ، أَوْلَى بِكَفِّهِ مِنْ أَلْقَلَمِ، وَأَلطَّاسُ، أَلْيَقُّ بِهَا مِنْ أَلْقُرْطَاسُ.

فِي الشَّاعِرِ وَالشَّعْرِ

أَبْيَاتٌ لَيْسَتْ مِنْ مُحْكَمِ أَلشَّعْرِ وَجِجَمِهِ، وَلَا مِنْ أَحْرَارِ أَلْكَلامِ وَغُرَيْرِهِ. شِعْرٌ
لَا حَلَاوَةَ فِيهِ وَلَا طَلَاوَةَ. شِعْرٌ ضَعِيفُ أَلصَّنْعَةِ، رَدِيءُ أَلصِّيغَةِ، بَغِيضُ
أَلصَّبْغَةِ. قَدْ جَمَعَ بَيْنَ إِقْوَاءٍ وَإِطْأَاءٍ، وَإِخْطَاءٍ وَإِطْأَاءٍ. مَا قَطَعَ شَعْرَةً، وَلَا سَقَى
قَطْرَةً. لَوْ شَعَرَ بِأَلنَّقِيضِ مَا شَعَرَ. فَلَانٌ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ خَبِيثِ أَلْقَوْلِ وَطَيِّبِهِ، وَلَا
يُفَرِّقُ بَيْنَ بَكْرِهِ وَنَبِيهِ. فَلَانٌ مُنْقَادٌ لِسَازِجِ أَلْكَلامِ يَسْتَعْمَلُهُ، نَفُورٌ مِنْ بَدِيعِهِ

يُهمله. شاعر بارد العبارة، ثقیل الاستعارة، بغیض الإشارة. هو من بین الشعراء، مَنبوذ بالعرأ. لم یلبس شعره حُلَّةً آحلاوة. شعرٌ لا یطیب دَرسه، ولا یخفُ سرده.

أوصاف أدوات الكتاب وآلات الكتاب

الدَّوَاةُ من أنفع الأدوات. هي للكتابة عتاد، وللخاطر زناد. غديرٌ لا یَرِدُهُ غیرُ الأفهام، ولا یمتَح بغیر أرشية الأقلام. أنيقة الصَّبغة، رَشِيقَةُ الصَّیغة. مسكية الجلد، كافورية الحلیة. غديرٌ تفيض ینابیع الحِكمة من أقطاره، وتنشأ سُحُبُ البَلاغة من قراره. دَوَاةٌ تُداوي مرض عُفَاتک، وتُدوي قلوب عداک، عَلى مرفعٍ یُوذَن بدوامِ رفعتک، وارتفاعِ النوائب عن ساحتک.

في نعت المداد

مدادٌ کسواد العین، وسُوداء القلب. مدادٌ کجناح الغداف ولُعب اللیل، وألوان دُهم الخیل. مدادٌ ناسب خافية الغراب، واستعار لونه شعرَ الشبَاب. مدادٌ هو أبهى لَدَيَّ من ألف فرسٍ بهیم، وأشهى إلی من مُلکِ الأقالیم.

في نعت القلم

أقلامٌ جَمَّةُ المحاسن، بعيدةٌ عن المطاعن. تُعاصي الکاسِرَ المُعاصر، فتُمانِعُ الغامرَ القاصر. صُلْبَةُ المعاجم، لَذَنَةُ المقاطع. أنابیبُ ناسبتِ رِماح الخطِّ في أجناسها، وساکنتُ أسود الغیل في أخیاسها، وشاکلتِ الذَّهَبَ في ألوانها، وضاهتِ الحریر في لمعانها، كأنها الأمیال استواءً، والآجال مَضَاءً. بطیَّةُ الحفی، قَویةُ القَوی. لا یُسْظِیها أَلْقَطٌ، ولا یتشعث بها الخط. أقلامٌ ثَجَرِیةٌ مَوْشِیَّةُ اللب، راثقةُ التخطیط، کلُّ مُعتدلِ الکُعب، قَوی الأنبوب. باسقُ الفروع، رَویُّ الیَنبوع. هو أولى بالید من البنان، وأنس بخفی السر من

اللِّسَانُ . هو للأنامل مطيَّة ، وَعَلَى الكِتَابَةِ مَعُونَةٌ مَرَضِيَّة . نِعَم النُّجْدَةُ الْقَلَمُ .
يُقَلِّمُ أَظَافِيرَ الدَّهْرِ ، فَيَمْلِكُ الْأَقَالِيمَ بِالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ . إِنْ أَرَدْتَ كَانَ مَسْجُونًا لَا
يَمِلُ إِلَّا سَارًا ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ جَوَادًا لَا يَعْرِفُ الْعَثَارَ . لَا يَنْبُو إِذَا نَبَتَ الصِّفَاحُ ،
وَلَا يَحْجَمُ إِذَا أَحْجَمَتِ الْقَلَفُوحُ . الْقَلَمُ مَطِيَّةٌ تَمْشِي بِرَاكِبِهَا رَهْوًا ، وَتَكْسُو
الْأَنَامِلَ رَهْوًا .

فِي نَعْتِ السَّكِينِ

سَكِينٌ كَأَنَّ الْقَدَرَ سَائِقُهَا ، وَالْأَجَلَ سَابِقُهَا . مُرَهَّقَةٌ الصَّدْرُ ، مُخْطَفَةٌ
الْخَصِرُ . يَجُولُ عَلَيْهَا فِرْنَدُ الْعِتْقِ ، وَيَتَرَقَّرُقُ فِيهَا مَاءُ الْجَوْهَرِ . كَأَنَّ أَلْمَنِيَّةَ تَبْرُقُ
مِنْ حَدِّهَا ، وَالْأَجَلَ يَلْمَعُ فِي مَتْنِهَا . رُكِبَتْ عَلَى نِصَابِ أَبْنَوْسَ ، كَأَنَّ الْحَدَقَ
نَفَضَتْ عَلَيْهِ صَبْغَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبِ كَسْتَهُ لِبَاسَهَا . أَخَذَ لَهَا حَدِيدَهَا الْأَنَاصِعَ
بِحِظٍّ مِنَ الْرُومِ ، وَضَرَبَ لَهَا نِصَابُهَا الْحَالِكَ بِسَهْمٍ مِنَ الزَّنْجِ . فَكَأَنَّهَا لَيْلٌ مِنْ
تَحْتِ نَهَارٍ ، أَوْ فَحْمٌ أَبْدَى سَنَا نَارٍ ، ذَاتُ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٍ قَاضٍ ، وَمِنْسَرٍ
بَازِيٍّ ، وَجَوْهَرٍ هَوَآئِيٍّ ، وَنِصَابٍ زَنْجِيٍّ ، إِنْ أَرْضِيَتْ وَلَّتْ مَتْنًا كَالِدِهَانِ ، وَإِنْ
أَسْخَطَتْ اتَّقَتْ بِنَابَ الْأَفْعَوَانِ . سَكِينٌ أَحْسَنُ مِنَ التَّلَاقِ ، وَأَقْطَعُ مِنَ الْفِرَاقِ .
تَفْعَلُ فَعْلَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْضَى مِنَ الْقَضَاءِ الْمَبْرَمِ ،
وَأَنْفَذُ مِنَ الْقَدَرِ الْمَتَاحِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ ظُبَّةِ الْحَسَامِ ، وَالْمَعُ مِنْ الْبَرْقِ فِي
الْغَمَامِ . جَمَعَتْ حُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَكَرَّمَ الْمَخْبَرَ ، فَتَمَلَّكَتْ عِنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرَ ،
وَلَمْ يَحُوجْهَا عِتْقُ الْجَوْهَرِ ، إِلَى إِمْهَاءِ الْحَجَرِ .

آخر كتاب النظم والنثر والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الممادح والأثنية

وما يجري مجراها، ويأخذ مأخذها

المدح بشرف الاصل وكرم النسب

فلان من سِرِّ الْعُنْصُرِ الْكَرِيمِ، وَمَعْدِنِ الشَّرَفِ الصَّمِيمِ. أَصْلُ رَاسِخٍ،
وَفَرْعٌ شَامِخٌ، وَمَعْجَدٌ بَاذِخٌ، وَحَسْبُ شَادِخٍ. طَيِّبُ الْعُنْصُرِ وَالْمَرْكَبِ، كَرِيمُ
الْمَنْصَبِ وَالْمُنْتَسَبِ. فلان كَرِيمُ الطَّرْفَيْنِ، شَرِيفُ الْجَانِبَيْنِ. قَدْ رَكَّبَ اللَّهُ
دَوْحَتَهُ فِي قَرَارَةِ الْمَجْدِ، وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَحَلِّ الْفَضْلِ. أَصْلُ شَرِيفٍ، وَعِرْقُ
كَرِيمٍ، وَمَغْرَسٌ عَظِيمٍ، وَمَغْرَزٌ صَمِيمٍ. الْمَجْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ، وَالشَّرْفُ نَسَبُ
أَسْلَافِهِ. نَسَبٌ فَخْمٌ، وَشَرَفٌ ضَخْمٌ. يَسْتَوْفِي شَرَفُ الْأُرُومَةِ، بِكَرَمِ الْأَبْوَةِ
وَالْأُمُومَةِ. مَا أَتَتْهُ الْمَحَاسِنُ عَنْ كِلَالَةٍ، وَلَا ظَفَرَ بِالْهَدَى عَنْ ضَلَالَةٍ، بَلْ تَنَاولَ
الْمَجْدُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، وَأَخَذَ الْفَخْرَ بَيْنَ أُسْرَةٍ وَمَنَابِرٍ، وَآكْتَسَبَ الشَّرْفَ عَلَى
الْأَصَاغِرِ وَالْأَكَابِرِ.

ما يختص من ذلك بأبناء النبوة

اسْتَقَى عِرْقُهُ مِنْ مَنَبَعِ النُّبُوَّةِ، وَرَضِعَتْ شَجَرَتُهُ مِنْ نَدَى الرِّسَالَةِ، وَتَهَدَّلَتْ
أَغْصَانُهُ عَنْ نَبْعَةِ الْإِمَامَةِ، وَتَجَحَّبَتْ أَطْرَافُهُ فِي عَرِصَةِ الشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ،
وَتَفَقَّاتَ بَيْضَتُهُ عَنْ سُلَالَةِ الطَّهَارَةِ. قَدْ جَذَبَ الْقُرْآنُ بَضْبِعَهُ، وَشَقَّ الْوَحْيُ عَنْ
بَصَرِهِ وَسَمِعَهُ، مَخْتَارًا مِنْ أَكْرَمِ الْمَنَاسِبِ. مُمْتَحَبٌ مِنْ أَشْرَفِ الْعَنَاصِرِ.

مرتضى من أعلى المحاتد. مؤثر من أعظم العشائر. قد وِثَّ جامعاً عن جامع، وشهد له نداء الصوامع. هو من مُضر في سُوداء قلبها، ومن هاشم في سواد طَرفها، ومن الرسالة في مهبط وحيها، ومن الإمامة في موقف عِزّها.

في المدح بجمع بين شرفي الأصل والنفس وفضلي الإنتساب والإكتساب فلان يَنزِع إلى المحامد بنفس وعرق، ويحن إلى المكارم بوراثه وخلق، يتناسب أصله وفرعه، ويتناصف نَجْره وطَبْعُه. هو الطيب أصله وفرعه، الزكي بذره وزرعه، يجمع إلى عِزِّ النصاب، مزية الآداب. لا غرو أن يجري الجواد على عرقه، وتلوح مخايل أليث في شبلة، ويكون النجيب فرعاً مشيداً لأصله، له مع نباهة شرفه، نزاهة ظلفه، ومع كرم أرومته وجذمه، مزية أدبه وعلمه. لن تخلف ثمرة غرسٍ آرتيد له من المنابت أزكاها، ومن المغارس أطيبها وأغذاها، عُصبة خيرة فضلها زاهرٌ وشرفها على شرف النماء. وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. قد جمع شرف الأخلاق، إلى شرف الأعراق، وكرم الآداب، إلى كرم الأنساب. له في المجد أولٌ وآخر، وفي الفضل قديمٌ وحديث، وفي الكرم تليدٌ وطريف. ليس كلُّ من شَرُف عِرْقُه، شرف خُلُقُه. ولا كلُّ عودٍ طاب منجمه، طاب معجمه. لا غرو أن يغمر فضله وهو نجل الصيد الأكارم، أو يغزُر علمه وهو فيض البحور الخضارم. دوحة ضرب عرقها وسمق فرعها، وطاب عودُها، وأعتدل عَمودُها، وتفيأت ظلالها، وتهدلت ثمارُها، وتفرعت أغصانُها، وبرد مقيلاًها.

المجد والشرف والعلی

مجدٌ يلحظ الجوزاء من عال، ويطولُ النجوم كلَّ مطالٍ. شرفٌ تضع له الأفلاكُ خدودها وجباهها، وتُلثمُ النجومُ أرضه أفواها وشفاها. نسبُ المجدُ به عريق، وروضُ الشرف به أنيق، ولسانُ الثناء بفضله نطوق. مجدٌ

يشير إليه النجم الثاقب، وشرفٌ تحفظ طرفيه المناقب. فلكُ المجد عليه يدور، ويدُ العلى إليه تشير، يأنس ربع المجد إذا استوحش من استيلاء النقص، ويسكن إليه جاش الفضل. سما من المجد إلى رواسي الأعلام، حين رضي بمواطىء الأقدام، محله سامق، ومجده باسق، وشرفه نجم طارق.

الجود والكرم

فلانٌ رفيقُ الجود وخليله، وزميل الكرم ونزيلة، وغرة الدهر وتحجيلة، مواهبه الأنواء، وصدره الدهناء. بحرٌ لا يظماً وارده، ولا يُمْنع بارده. غوثه موقوفٌ على اللهيف، وعونه مبذولٌ للضعيف. يطغى جوده على وجوده، وهمته على قدرته. يوجب الصلات، كوجوب الصلاة. بابه غير مرتج، لكل مُرتج. ينايع الجود تتفجر من أنامله، وربيع السماح يضحك عن فواضله. هو أوحّد في الكرم، وغرة في وجه العالم. هو الكرم أنشيء نفساً، والفضل تمثل شخصاً. لو أن البحر مدّده، والسحاب يده، والجبال ذهبه، لقصرت عما يهبه. إن طلبت كريماً في جوده، مت قبل وجوده، أو ماجداً في أخلاقه. مت ولم ألاقه، صدره بحر ووعده نذر، قد حكم الآمال في أمواله، واستبعد الأحرار بفعاله. يهتزُّ عند المكارم كالغصن، ويثبت عند الشدائد كالركن. يد حاتم كبنانه من شماله. لا يبلغ كعب في الجود كعبه. له في كل مكرمة غرة الأوضاح، وقادمة الجناح. كريمٌ ملٌ لباسه، موفقٌ مر أنفاسه. صدره تضيق عنه الدهناء، وتفزع إليه الدهماء. لا مكارم إلا ما صدّر عن خلائقه، ولا مناجح إلا ما شيم من بوارقه. غمائم كرمه تفيض، ومآثر جوده تستفيض. يرى تحمل المغارم، من أعظم المغانم. مخلوقٌ من طينة كريمة، ومجبولٌ على أحسن شيمة. خوار العنان في ميدان المكارم.

الجمال وحسن الصورة

قمرى التصوير، شمسى التأثير. خلقة سوية صحيحة، وصورة مقبولة صبيحة. منظرٌ يملأ آلعين، ويملك النفوس. منظرٌ ما أحوجه إلى عيب يصرف عين كماله، عن جماله. طلعةٌ يطلع منها النيران؛ ويسجد لها الثقلان. مبرقع الغرة بالجمال، مسفر الطلعة بتباشير الإقبال. للعين في محاسن وجهه مرتع، وللأرواح بها مُستمتع. خلقٌ وُضِي وخلقٌ رضى، وفضلٌ مضي.

البشر والبشاشة

طلعةٌ عليها للبشاشة ديباجة خسروانية، وفيها للطلاقة روضة ربيعية. غرةٌ يجول فيها ماء الكرم، وتقرأ منها صحيفة حسن الشيم. وجهٌ كأن بشرته قشر البشر، ومواجهته أمان من الدهر. فلانٌ يصل ببشره، قبل أن يصل ببره، ويحيي القلوب بلقائه، قبل أن يُميت الفقر بعطائه. شمتٌ من وجهه بارقة المجد، ورأيت في بشره تباشير النجح. قد لحظت من وجهه الأنوار، ومن بنانه الأنواء. أنا من كرم عشرته، وطلاقة أسرته، في روضةٍ وغدير، بل في جنةٍ وحرير.

العلم والادب

هو بحرٌ من العلم ممدود بسبعة أبجر، ويومه في الأدب كعُمُر سبعة أنسر. العلم حشو ثيابه، والأدب ملء إهابه، هو شخص الأدب ماثلاً، ولسان العلم قائلاً. شجرةٌ فضل عودها أدب، وأغصانها علم، وثمرتها عقل، وعروقها شرف. تسقيها سماء الحرية، وتغذيها أرض المرأة. هم ملح الأرض إذا فسدت، وعماراة الدنيا إذا خربت، ومعرض الأنام إذا احتشدت. هم جمال الأيام، وخواص الأنام، وفُرسان الكلام، وفلاسفة الإسلام. فلانٌ

غُصْن طبعه نضير، وليس له بحمد الله نظير. قد جمع الحفظ الغزير، وآلفهم الصحيح، والآدب القوي القويم. ما يُؤنسه عن الوحشة إلا الدفاتر، ولا تصحبه في الوجدة إلا المحابر. همه مُهرة فكرة يستفيدها، وشروء من الكلّم يصيّدُها. فلانٌ يحلُّ دقائق الأشكال، ويزيل معترض الإشكال.

حسن الخلق

خُلِقَ لو مزج به البحر لنفى مُلوحته، وصفى كُدُورته. خُلِقَ كنسيم الأسحار، على صفحات الأنوار. خُلِقَ كالماء صفاءً، والمسك ذكاءً. أخلاقٌ قد جمعت المروءة أطرافها، وحرس الحرية أكنافها. أخلاقٌ تجمع الأهواء المتفرقة على محبته، وتؤلف الآراء المتشتتة في مودته. أخلاقٌ أعذب من ماء الغمام، وأحلى من ريق النحل، وأطيب من زمن الورد. أخلاقٌ أحسن من الدُرِّ والعقيقان في نحور الجِسان، وأزكى من حركات الريح بين الورد والريحان.

الظرف واللباقة وحسن العشرة

فلانٌ يستحط العُصم بظرفه، ويستنزل النجم بلطفه. ما هو إلا غذاء الحبرة، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأنس، وشمامة الظرفاء، وريحانة الندماء. فلانٌ حلو المذاق، عذب المساغ، أعلى الناس في جد وأحلاهم في هزل. يتصرّف مع القلوب، كتصرّف السحاب مع الجنوب. ذو جدٍ كعلو الجَدِّ، وهزلٍ كحديقة الورد. قد طابت عِشرته إذ عاشرته، ولانت قِشرته، وواصلته فأستحسنّت وصاله، وأحمدتُ خصاله. له عشرةٌ مأوَّها يقطر، وصحوها من الغضارة يمطر. هو ريحانة على القدح، وذريعة إلى الفرح. عِشرته لطف من ريح نسيم الشمال، على أديم الماء الزلال، وألصق بالقلب، من علائق الحب. إن أردت فهو سُبحة ناسك، أو أحببت فهو تفاحة

فائك، أو اقترحت فهو مدّرعة راهب، أو آثرت فهو تحية شارب.

طيب الخبر

فلان أخباره ذكية، وآثاره زكية. أخباره تأتينا كما وشت بالمسك رياه، ونم على الصّبح مُحياه. قد أنتشر من طيب أخباره ما زاد على المسك الفتيق، وأوفى على الزّهر الأنيق. مناقب تشدخ في جبينها غرة الصّباح، ويتهادى أنباءها وفود الرّياح. فلان أخباره آثاره، وعينه فراؤه. قد حصل له من حميد الذّكر، وجميل النّشر، ما لا تزال الرّواة تدرسه، والتّواريخ تحرسه. سألت عن أخباره فكأنني خرّجت المسك فتيقا، وصّبحت الروض أنيقا. أحبته بالخبر، قبل الأثر، وبألوصف، قبل الكشف. أخباره متضوعة كتضوع المسك الأذفر، ومشرقة إشراق الفجر الأنور. أخباره أرجة، وصفحاته بهجة.

حسن العهد وكرم الود

هو من يثقل ميزان وده، ويحصيف ميثاق عهده. فلان كريم العهد، صحيح العقد. سليم الصّدر في الود، حميد الصّدر فيه والورد. هو لإخوانه عدة يشدهم ويقوّيهم، ونور يسعى بين أيديهم. هو ثابت ركن الإخاء، صافي شرب الوفاء. حافظ على الغيب ما يحفظه على اللقاء. هو من لا تدور المداينة في عرصات قلبه، ولا تحوم المواربة على جنبات صدره. فلان يسري إلى كرم العهد، في ضيآء من الرّشد. عهده نقش على صخر، ووده نسب ملآن من فخر. يقبل من إخوانه العفو، كما يوليهم من إحسانه الصّفو. في وده غنى للطالب، وكفاية للرّاعب، ومراد للصّحب، وزاد للرّكب. هو في جبل الوفاء حاطب، وعلى فرض الإخاء مواظب.

اصابة الرأي

النّجح معقود بنواصي آرائه، واليأس معتاد في مذاهب أنحائه. له الرأي الثاقب الذي تخفى مكائده، وتظهر عوائده، والتدبير النافذ الذي تنجح

مبادئه، وتبهج تواليه. رأي كآلسهم أصاب غرة الهدف، ودهاء كآلبحر في بُعد الغور وقرب المغترف. لا يضع رأيه إلا مواضع الإصابة، ولا يصرف تدبيره إلا إلى مواقع السداد والأصالة. له فكر عميق، ورأي وثيق. يعرف من مبادئ الأفعال، خواتم الأعمال، ومن صدور الأمور، أعجاز ما في الصدور. رؤيته رأي طبيب، وبديته قدر مصيب. يسافر رأيه وهو دان لم ينزح، ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح. له رأي لا يخطيء شاكلة الصواب، ولا يخشى عليه بادرة العثار. فلان يُخمر الرأي ويُجيلة، ويُجيد الفكر ويطيئه، حتى يحصل على لب الصواب ومحض الرأي. إذا أذكى سراج الفكر أضواء الظلام. هو قطب الصواب تدور به الأمور، ومستنبط صلاح يرد إليه التدبير، يرى العواقب في مرآة عقله، وبصيرة ذكائه وفضله. رأي يرد السيف مثلما، والرمح مقلما. آراؤه سكاكين في مفاصل الخطوب. له رأي لا تغيب كواكبه. رأي طبيب داء المملكة. رأي منير، وللأعداء مُبِير. كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، ويطالعه بعين الإلهام والتوفيق. فلان يرى بأول رأيه آخر الأمر، وأصاب شاكلة الصواب في رأي محضه، وتدبير مخضه. عجباً لرأيه الذي يستنبط دفائن القلوب، ويستخرج ودائع الغيوب. قد سرينا من مشورته في ضياء ساطع، ومن رأيه الصواب في حكم قاطع.

التجربة والحكمة

قد وضعت كثرة التجارب، في يده مرآة العواقب. قد نجدته مصارف الدهور، وحكته مصائر الأمور. قد أرضعته الحنكة بابانها، وأدبته الدربة في إبانها. فلان بازل، التجارب حنكته، والآيام عركته. لا تكاد الآيام تريه من أفعاله عجيبا، أو تسمعه من أحواله غريبا. فلان عارف بتدبير الزمان، عالم بتصاريف الآيام. آخذ ببرهان التبريز، نافذ في مجال التحصيل والتمييز. قد صحب الآيام، وتولى النقض والإبرام. هو آبن الدهر حنكة وتجريبا، وعوداً

على الغمزِ صليياً. قد أدبهُ الليل والنهار، ودارت على رأسه الادوار، واختلفت، به الأطوار. قد ارتضع أفويق الزمان وحلب أخلاف الليالي والآيام. قد ركب ظهري البر والبحر. ولقى وفدي الخير والشر، وصافح صفحتي النفع والضرب، وبلا طعمي الحلو والمر، ورضع ضرعي العرف والنكر، وضرب إبطي العسر واليسر.

في المهمة العالية

له همّة على هامة النجم. فلان رفيع مناط الهمّة. فسيح مجال الفضل. له همّة تعزل السيماك الأعزل سُموا، وتجر ذيلها على المجرة علوا. همّة حلق جناحها إلى عنان النجم، وأمتد صباحها من شرق إلى غرب. لا يتعاضمه أنتراف البحر إذا أخطره بفكره، ولا أنتساف الصخر إذا ألقاه في وهمه. همته أبعد من مناط الفرقد، وأعلى من منكب الجوزاء، وأوسع من الأرض، ذات العرض.

الشهامة والنفاذ والجدة والجلادة

فلان حي القلب، مُنشرح الصدر. ذكيّ الذهن، سجاج الطبع. ليس بالنوم، ولا السووم. فذ فرد، وأسد ورد. كان له في كل جارحة قلبا، كان قلبه عين، وكان حسه سمع. شهاب مقدّم، وقذح مقوم مشدود النطاق، قائم على ساق. لا يحفّ ليد، ولا يستريح قلمه، ولا تسكن حركته. قد جدّ وأجتهد، وحشر وحشد. شمر عن ساق الجدة ما أطاق، وشد له النطاق. قد ركب الصعب والدلول، وتجشّم الحزون والشهول، وقطع البر والبحر، وأعمل السيف والرُمح، وأسرج الدهم والشهب.

التقى والزهد

فلان عَذْبُ المشرب، عَفُّ الْمَطْلَب. نَقِيُّ السَّاحَةِ مِنَ الْمَأْتَمِ، بَرِيءُ الدَّيْمَةِ مِنَ الْجَرَائِمِ. إِذَا رَضِيَ لَمْ يَقُلْ غَيْرَ الصَّدَقِ، وَإِنْ سَخِطَ لَمْ يَتَجَاوَزْ جَانِبَ الْحَقِّ. يَتَّبِعُ أَفْضَلَ الطَّرِيقِ، وَأَرْشِدَ الْخُلُقِ. يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِ أَمَارَةٍ بِالْخَيْرِ، بَعِيدَةٍ مِنَ الشَّرِّ، مَدْلُولَةٍ عَلَى سُبُلِ الْبِرِّ. أَعْرَضَ عَنْ زِبْرِجِ الدُّنْيَا وَخُدْعِهَا، وَأَقْبَلَ عَلَى اكْتِسَابِ نِعَمِ الْآخَرَى وَمُتْعِهَا. كَفَّ عَنْ زُخْرَفِ الدُّنْيَا وَنُضْرَتِهَا، وَغَضَّ طَرَفَهُ عَنْ مَتَاعِهَا وَزَهْرَتِهَا، وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَقَدْ عَرَضَتْ لَهُ بِزِينَتِهَا، وَصَدَّ عَنْهَا وَقَدْ تَصَدَّدَتْ لَهُ فِي حَلِيَّتِهَا. فَلَانَ لَيْسَ مِمَّنْ يَقِفُ فِي ظِلِّ الطَّمَعِ، فَيُسْفَ إِلَى حَضِيضِ التَّضَعِ. نَقِيٌّ جَبِيْهُ، وَسَلِمٌ غَبِيْهُ، وَلَمْ يَدْنُسْ ذَيْلَهُ، وَأَسْتَوَى فِي النِّزَاهَةِ نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ. فَلَانَ جَلِيٌّ الصَّفْحَةِ، نَقِيٌّ الصَّحِيفَةِ، عَفٌّ الْإِزَارِ، طَاهِرٌ مِنَ الْأَوْزَارِ. قَدْ عَادَ لِإِصْلَاحِ الْمَعَادِ، بِإِعْدَادِ الزَّادِ. اعْتَزَلَ الدُّنْيَا وَأَفْرَجَ عَنْ كُلِّ مَا زَادَ عَلَى الزَّادِ الْمَبْلَغِ، وَالْقَوْتَ الْمَقْنَعِ.

الكمال والانفراد عن النظراء

فلانٌ مَوْلُودٌ فِي طَالِعِ الْكَمَالِ، وَهُوَ جُمْلَةُ الْجَمَالِ. قَدْ أَصْبَحَ عَيْنَ الْكَمَالِ، وَصُحِّحَ الْمَحَافِلُ، وَزِينَ الْمَحَاضِرِ وَالْمَجَالِسِ. فَرِيدَ دَهْرِهِ، وَشَمْسَ عَصْرِهِ، وَزِينَةَ بَصَرِهِ. فَلَانَ عِلْمُ الْفَضْلِ، وَوَاسِطَةُ قِلَادَةِ الدَّهْرِ، وَنَادِرَةُ الْفَلَكَ، وَنَكْتَةُ الدُّنْيَا، وَغُرَّةُ الْعَصْرِ. قَدْ بَايَعْتَهُ يَدُ الْمَجْدِ، وَمَالَتْ فِيهِ الشُّورَى إِلَى النَّصِّ. كَيْفَ يُدَمُّ زَمَانٌ هُوَ عَيْنُهُ الْبَصِيرَةُ، وَلَمَعَتُهُ الثَّاقِبَةُ الْمُنِيرَةُ.

التفضيل والترجيح

فلانٌ يَزِيدُ عَلَيْهِمْ زِيَادَةَ الشَّمْسِ عَلَى الْبَدْرِ، وَالْبَحْرِ عَلَى الْقَصْرِ. هُوَ رَاشٍ نَبْلِهِمْ، وَبَقِيَّةُ فَضْلِهِمْ. وَجَمَّةُ وَرْدِهِمْ، وَوَاسِطَةُ عِقْدِهِمْ. هُوَ صَدْرُهُمْ وَبَدْرُهُمْ، وَمَنْ عَلَيْهِ يَدُورُ أَمْرُهُمْ. يُنِيفُ عَلَيْهِمْ إِنْافَةَ صَفْحَةِ الشَّمْسِ عَلَى كُرَّةِ

الأرض، كأنهم فلَكٌ هو قطبه، وجسَدٌ هو قلبه، ومملوكٌ هو رَبُّه. هو مشهورٌ بسيادتهم، وواسطة قلاذتهم. هو بيتُ القصيدة، وأولُ الجريدة، وعينُ الكتيبة، وواسطة القلادة، وإنسانُ الحَديقة، ودُرَّةُ التَّاج، ونَقْشُ الْفَصِّ. مَوْضِعُهُ من أهل الفصل، مَوْضِعُ الواسطة من العِقد، وليلِ أَلَمٍ من الشهر، كَلَّا بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر.

ما يليق ببعض هذه المدائح
من حكاية أفعال المحسنين، وحُسن آثار المنعمين
والألفاظ التي تقع في الشكر، ونشر البرِّ

ذكر الافضال والانعام والاحسان والاصطناع

أفضل وأنعم، وأسدى في الإحسان وألحم، وأسرج في الإكرام وألجم. قسم له من إحسانه ما يسع أمما، ويلقي السعادة أمما. أهدى إليه من كرائم البر ما لا يساق مهوَّره إلا من كرائم النفوس ومخايل الصدور. أعطاه عنان الاهتمام، حتى استولى على قصب المرام. ردَّ عنه الدَّهر أحصَّ الجناح، وملَّكه مقادة النجاج. أولاه من معهود البر ومألوفه، ما يُربى على مثيه وألوفه. أولاه إسعافاً سَمَحاً، وعطاءً سَحاً، ومنناً صفواً، وعَفْواً عفواً. أفاض عليه شعاب البر ومسالیه، وجمع له شُعُوب الجميل وقبائله. هطلت عليه سحائب عنايته، ورَفَرَفَتْ حوله أجنحة رعايته، قد فكه بكرمه من قيد السؤال، ومَعَرَّة الاختلال. راشه بعد ما حصه الفقر، وأرضاه وقد أسخطه الدَّهر، وربما نمنا أملاءً الجفون، وسهر دوننا لتحقيق الظنون. قد شِمْتُ من كرمه أصدق سَحَاب، وحصلت من إنعامه في أنحصب جناب. قد سدَّ ثُلْمة حالي، وأدر حلوبة مالي.

حسن آثار المنعم

ما أخلو من طَلِّ إحسانه ووابله، وعام إنعامه وقابله. قد آستمطرت بنوءٍ

غزير، وسريت منه في ضو قمر مُنير. لم يرض بأول آلسقيا حتى أتى
 آلانسكاب بعد ألقطر، وطلعت الشمس في أعقاب الفجر. قد كرعُ من بره
 في مشاريع تغزر، ولا تنزُر، ورَفَلت من طوله في ملابس تطول ولا تقصر. أنا
 منه في ظلٍ ظليل، وفضلٍ جزيل، وريحٍ بليل، ونسيمٍ عليل، وماءٍ روي،
 ومهادٍ وطيٍّ، وكَن كنين، ومكان مكين. أنا آوي إلى ظله كما يَأوي الصيدُ
 إلى الحرم، وأواجه منه وجه المجد وصورة الكرم. انا من إنعامه بين خيرٍ
 مستفيض، وجاهٍ عريض، ونعمٍ بيض. قد استظهرت على جور الأيام
 بعدله، واستترت من دهري بظله. جميعُ ما أُرَد فيهِ طرفي وأعدّه من خاص
 ملكي مُنتسبٌ إلى عطائه، أو مكتسبٌ بجميل رأيه. مسافةٌ بصري تبعدُ إن
 سافرتُ بها في مواهبه، وركائبُ فكري تطُحُ إن أنصيتها في استقراء
 صنائعه. جمالي مقروُن بجماله، وحالي قطعةٌ من حاله.

وصف النعم

نعمةٌ عممتُ الأمم، وسبقت النعم، وكشفت الهموم ورفعت ألهمم. نعمةٌ
 قد سطع صباحها مُستنيرا، وطنب شعاعها مُستطيرا. قد غرقتني نعمه حتى
 استنفدت شكر لساني ويدي وأثقلت ظهري، وتملأت صدري. نعمةٌ عندي
 مُشرقةٌ ألبو، مُغدقةٌ أَلنو، نُيرةُ الضوء. تتابعت نعمة تتابع ألقطر، على البلد
 ألقفر، وترادفت مِنه ترادُفُ أَلغنى إلى ذي الفقر. نعمةٌ أشرقت لها أرضي،
 ومُطر بها روضي، ووري بها زندي، وعلا معها جدِّي، وأتاني الزمان يعتذر
 من إساءته بي، وجآني الدهر ينتظر أمري. نعمةٌ أنعمت البال، وقوت النفس
 وألحال. نعمةٌ تُعمُّ عموم المطر، وتزيد عليه بإفراد النفع والضّرر. نَعْمُ
 تَضَعُفُ الخواطر عن ألتماحها، وتَصْغُرُ القرائح عن اقتراحها.

وصف الأيادي والمنن

له مع كلِّ صباحٍ يدٌ كالصباح أو اشدُّ وضوحاً، وكألنهار أو أصدق ظهوراً.

قد عمت الآفاق، ووسمت الأعناق. أيادٍ قد حبست الشكر وأستعبدت لك
الحر. مِنُّ توالى توالي القطر، وآتست سعة البحر، وأثقلت كاهل العبد
والحر. عندي قلادة منتظمة قد جعلتها وقفاً على نحور الأيام وجلوتها على
أبصار الأنام. أيادٍ يقصر عن عفوها جهد القول، وتزهر بينها سواطع الإنعام
والطول. أياديه أطواقٌ في أجياد الأحرار، وأفلاكٌ تدور على ذوي الأخطار. مِنُّ
تضعف لحملها عواتق الاطواد، ويتضاعف حملها على السبع الشداد. لو تحمل
الثقلان، ثقل هذا الامتنان، لأثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم. أيادٍ يفرض
الشكر لها ويختم، ويفتح الذكر بها ويختم. أيادٍ تثقل الكاهل، ومنُّ تتعب
الأنامل. مِنُّ تضعف متن الشكر، وتُنشر معها قوى النشر. مِنُّ هي أحسن
أثراً من الغيث في ازاهير الربيع، وأحلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع.

ذكر وفورها وكثرتها

مِنُّ لا تُحصى، أو تحصى الحصى، إذا اطمعت نفسي في تعداد مننه
وحصرها، فأطمعتها في إحصاء السحاب وقطرها. أيادٍ لا تحصى حتى تحصى
محاسن النجوم، ومنُّ لا تحصر أو تحصر قطارات الغيوم، وذلك مُعوّز عمر
النسور، باقٍ إلى يوم النشور. أياد كعدد الرمل والنمل أعيت على العد، ولم تقف
على حدّ. زادت أياديه حتى كادت تجهّد الإعتداد. وتسبق الاعداد أياديه عندي
أغزر من قطر المطر، وعوارفه أسرع من ملح البصر.

التشريف والتنويه

رفعه من قعر التراب، إلى سمك السحاب. استنبطه من حضيض الدّلة،
وأنهضه من محط الدناءة والضيعة. جذب بضبعه من أخس مطارح الأتباع،
وأخفض منازل الرّعاع، إلى أعلى المنازل، وأرفع المراتب. استنبطه من
الحضيض الأوهْد، إلى البناء الأجد. قد نبهه عن خمول، وأجرى الماء في عوده

بعد دُبُول. رقاہ إلى ذروة من المجد تَزَلْ أقدام النجوم لو وطئتها، وتقصر همم
الأفلاك إن طلبتها. ثبت قدمه في المحل المنيف، ومكنه من جوامع التشريف.
جذب بضبعه من المسقط المنحط، إلى المرفع المشتط. رفع خسيسته، وجبر
نقيضته.

ذكر الشكر

الشكر ترُجْمَانُ النية، ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص، وعُنوان
الاختصاص. الشكر نسيم النعم، وهو السبب إلى الزيادة، والطريق إلى
السعادة. الشكر قيد النعمة، ومفتاح المزيد، وثمر الجنة. من شكر قليلا
استحقّ جزيلا. شُكر المولى، هو الأولى. أَشْكُرْ لمن أنعم عليك، وأنعم على من
شكرك. الشكرُ قِيدُ النِّعمِ وشِكاها وعقاها، وهي مشبهة بالوحش التي لا تقيم
مع الإيحاء، ولا تريم مع الإيناس. موقع الشكر من النعمة موقع القرى من
الضيف، إن وجده لم يرم، وإن فقدته لم يقم. الشكر غرسٌ اذا اودع سَمْعُ
الكريم أثمر الزيادة، وحفظ العادة، الشاكر يعرض المزيد البالغ والبَّعِيمِ
السابع.

العجز عن الشكر لتكاثر الانعام والبر

عندي من يده ما ملك أاعتدأدُ أَرِمته، وقبضُ أمراء الكلام وأُثْمَتَه. عندي
له مَبَارٌ أعجزني شكرها، كما أعوزني حصرها. شكره شأؤٌ بعيدٌ لا تبلغه
أشواطِي، ولا أُنْلافي ألتفريط في حقه بإفراطِي. إحسانه يعيد العربُ عَجْبا،
والفصحاءُ بُكْما. إذا سلم المرءُ مُقرأً بالعجز فقد خرج عن تَبِعَةِ التقصير،
وبريء من عُهدَةِ المعاذير. قد زحمني من مكارمه ما يحصر آلميين، ويصحبُه
العجز وبُشُ القرين، عندي من إنعامه، وخاصّ بره وعامّه. ما يستغرق مُنَّةُ
الشكر، ويستنفد قُوَّةَ النشر. لو أسترعت ألدهر لسانا، وآتخذت الرِّيحَ ترُجْماناً،
لُثِّيعا شُكر إنعامه حقُّ الإشاعة، لقصرت بهما يدُ الاستطاعة.

حسن الافصاح عن الشكر والثناء

شكره شكرَ الأسير لمن أطلقه، والمملوك لمن أعثقه. شكره شكرَ البَلَدِ الْقَفْرَ، لألمامة القَطْرِ. أثنى عليه ثناء الرُّوض الممحل، عَلَى الغيث المسبل. أثنى عليه ثناء لسان الزَّهَر، عَلَى راحة المطر. أثنى عليه ثناء الْعِطْشان الوارد، عَلَى الزُّلال البارد. شكره سُكْر الرُّوض للذَّيْم، وزهير لَهْرَم. بسط لسان الثَّناء والدعاء، وبلغ عِنانُ الشكر عِنانَ السَّماء. شكرًا ترتاح له المكارِم، وتهتَزُّ له المواسم. لأشكرنه شكرًا تتسع أنواعه، وتنسبط أبواعه، ويلدُّ ذكرُه وسَماعه. شكرٌ مِلُّ القلب واللسان، وكشكر حَسَن لال غَسَّان. أطال عِنان الشكر وفسح مجاله، ورفع أعمدته، ومَدَّ أروقتَه. شكرٌ كأنفاس الأَحباب أو أنفاس الأسحار، بل أنفاس الرياض غب الأمطار. فلانٌ يتلو فضائلك تلاوة القرآن، ويسرُّد محامدك سرد الفرقان.

دلالة الحال على ما وراءها

لو سكت الشاكر، لنطقت المآثر، ولو صمت المخاطب، لأثنت الحقائق. لقد شهدت شواهد حاله، عَلَى صدق مقاله، أما تفضله فقد نطقت به جوارحي، ولو سكتُ لأثنت حقايتي، لئن جحدت ما أولانيه، وكندتُ ما أعطانيه، نطقت آثاره أياديه عليّ، ولعت أعلام عوارفه لدي. جوارحي انطق بالشكر من ألسنة خطباء إِياد، وشعراء مُراد.

أدعية تليق بهذه الاحوال بهذا الباب

أطال الله له البقاء، كطول يده بالعطاء، ومدَّ له في العمر، كامتداد ظلّه عَلَى الحرّ. أدام الله له المواهب، كما أفاض به الرغائب، وحرس لديه الفواضل، كما عوَّذ به البرّ الشامل. تولى الله عني مكافاته، وأعان عَلَى الخيز نياته، وأصحب بقاءه عزاً ييسط يديه لأوليائه، وَعَلَى أعدائه، وكَلَّاه تَذَبُّب عن ودائع مِنْه

عنده، وزاد في نعيمه وإن عظمت، وبلغه آماله وإن انفسحت. لا زال الفضل يأوي منه إلى ركنٍ منيع، وجناب مريع. لا زالت الألسُن عليه بالثناء ناطقة، وألقلوب على مودته متطابقة، والشهادات له بالفضل متناسقة. لا زال يعطف على الصادر والوارد، عطف العم والوالد. أبقاه الله للجميل يُعلي معالمة، ويُحيي مكارمهُ، ويعمر مدارجه، ويثمر نتائجه. أدام الله أيامه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها، وأزمان المآثر وتواريخها. أدام الله له المواهب، سامية الذوائب. مُوفيةً على مُنية الراجي وبُغية الطالب. أبقاه الله للعطاء يفرضه بين خدمه، والجمال يفيضه على إنشاء نعمه. والله يتابع له أيام العلاء والغبطة، والنماء والبسطة، لترتع انواع الخدم في رياض مواهبه، وتكرع أصناف الحشم في حياض فواضله، والله يبقية طويل الذراع، مديد الباع، مَلِيّاً بالإفضال وآلاصطناع. جزاه الله عن نعمةٍ هناها، بعد أن أسبغها، وعارفةٍ ملاها، بعد أن سوغها. أفضل ما جُزي به مبتدي إحسان، ومُحيي إنسان. لا زال مكانه معاناً للنعم لا تريمه المواهب، ولا ترومه النوائب. بسط الله بالُعلاء يده، وقرن بالسعادة جده، وجعل خير يوميه غَدَه، ولا زالت الأيام والليالي مطاياهُ إلى أمانيه وآماله، وصرف الله صروف الغير عن إصابة إقباله وكماله.

آخر كتاب المدائح والآثنية، والله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب المساوىء والمقابح وما يدانيها

اللؤم والخسة

فلانٌ عُصارة لؤم، في قرارة خُبث. ألامٌ مُهَجَّة، في أسقط جُثَّة. حديثُ
النعمة، خبيث الطَّعْمة. هو كالكُمأة لا أصل ثابت، ولا فرعُ نابت، فلانٌ
خبيث المركب، لثيْمُ المكتسب. يكاد من لؤمه يُعدي من جلس إلى جنبه، أو
تُسمى بأسمه. فلانٌ قد أُرْضع بلبان اللؤم، ورُبِّي في حجر الشر والشؤم، وفُطم
عن ثدي الخير، ونشأ في عَرْصة الخُبث. قد طُلِقَ الكرم ثلاثاً ولم ينطق فيه
استثناء، واعتق المجد بتاتاً لم يستوجب عليه ولاء. فلانٌ أتى من اللؤم بنادر لم
تهتد له فطنة مادر. فلانٌ قصير الشَّبر، صغيرُ القدر، قاصرُ القُدْر،
ضيقُ الصدر. لو قذف الليل بلؤمه، لطمس أنوار نجومه رُدَّ إلى قيمة مثله في
خُبث أصله وفرط جهله. فلانٌ لا أمس ليومه، ولا قديم لقومه.

في البخل

سائله محروم، وماله مكتوم. لا يميز إنفاقه، ولا يحلُّ خناقه. خُبْزه كالأروى
يُسمع بها ولا تُرى. خُبْزه في حائق، وأدمه في ساهق. غناه فقر، ومطبخه فقر.
يملاً بطنه وألجار جائع، ويحفظ ماله والعرض ضائع. قد أطاع سلطان البخل
بجهده، وأنخرط كيف شاء في سلكه. فلانٌ لا يبض حجره، ولا يُثمر شجره.

ما هو إلا حجرٌ لا يُروى، وزندٌ لا يوري. فلانٌ لا يجلب إلا من ضرع بكى،
ولا يسقى إلا من أنضب رُكي. قد جعل ميزانه وكيله، وأسنانه أكيله، وكيسه،
أنيسه، ورغيفه، أليفه، وممينه، أمينه، ودرهمه شقيقه، ومفتاحه رفيقه، وخاتمه،
خادمه، وصناديقه، صديقه.

القبح والدمامة والحقارة

وجهٌ كهؤل المطلع، وزوال النعمة، وقضاء السوء، وموت الفجأة، ما هو إلا
قذى العين، وشجى الصدر، وأذى القلب، وُحى الروح. وجهٌ كأنه تبرقع
بالخنادس، وأكتسى قشور الخنافس. كأن النحس تطلع من جبهته، وأخل
يقطر من وجته. وجهٌ مسترق بالحسن، مُنتقب بالقبح. وجهه طلعة أهجر،
ولفظه قطع الصخر. وجهه يشق على العين، وكلامه لا يسوغ في الأذنين. وجهٌ
كحضور الغريم وحصول الرقيب، وكتاب العزل وفراق الحبيب. خلقة
الشيطان، وعقل الصبيان. قد لا يزيد فيه القيام. بيدق الشطرنج في القيمة
وآلقامة. له من الدينار قصره، ومن الورد صفرته، ومن السحاب ظلمته، ومن
الأسد نكهته.

الثقل والبغض والبرد

فلانٌ ثقیلٌ الطلعة، بغیضٌ التفصيل والجملة. باردٌ السكون والحركة، قد
خرج عن حدِّ الاعتدال، وذهب ذات اليمين وذات الشمال، يحكي ثقل
الحديث العاد، ويمشي على العيون والأكباد. لا أدري كيف لم تحمل الأمانة
أرض حملتة، وكيف اجتاحت إلى الجبال بعد ما أفلته. كأن وجهه أيام
المصائب، وليالي النوائب، وكأنما قربته فقد الحبائب، وسوء العواقب،
وكانما وصله عدم الحياة، وموت الفجأة، وكانما هجره قوت المنة. وريح

الجنة. يا عجبني من جسم كالخيال، وروح كالجبال، كأنه يُقل الدّين، على وجع العين. ما الحمام على الإصرار، ومواصلة الصّوم في الأسفار، وحلول الدّين على الاقتار، بأثقل من لقاء فلان. هو ثقل السكون بغيض الحركة، كثير الشوم قليل البركة. هو بين الجفن والعين قداة، وبين النعل والأخمص حصاة. ما هو إلا غداة الفراق، وكتاب الطلاق، وموت الحبيب، وطلوع الرقيب. ما هو إلا الأربعاء الأخير في الصّفر، والكابوس في وقت السحر. هو أثقل من خراج بلا غلة، ودواء بلا غلة، وأبغض من مثل غير سائر، وأبرد من خشيف على خيشوم ميزاب، وأجمع للعيوب من بغل أبي دلامة، وحمار طياب، وطيلسان ابن حرب*.

البخر وترك التنظف

لا يُدرى أفسا أم تنفس، وأحدث أم حدث. مدخل أكله أخبث من مخرج نُقله. لا فرق بين مجشاه، ومفساه، أنتن من هذله ميت مكفن، في جورب عفن. مالي أرى الأباط حاشنة، والآناف مُعشبة، وألعيون منورة، والأزرار مرعى، والأظفار جيى، واللقى لبودا، والأسنان خضراً وسودا.

الجهل والخرق والسخف

جهل كفيف، وعقل سخيف، قالب جهل مستور بثوب. فلان جاهل لا يميز، وأهوج لا يتحرز، أخرق متخلف، أهوج متعجرف. لا يستتر من العقل بسجف، ولا يشتمل إلا على سُخف. يمد يد المُجون فيعرك بها أذن الحزم، ويفتح جراب السُخف فيصفع بها قفا العقل. لا تزال الأخبار تورّد سفاتيح جهله وخرقه، وآلنباء تنقل نتائج سُخفه وحُمقه، قد ظلّ يتعثر في فضول جهله، ويتساقط في ذيول خرقه. قد أتى ما دلّ على خرقه، وركاكة خُلقه.

الخسة مع الثروة والإقتصار من الانعام والافضال على التمتع والتجمل

وجمع المال وترك التطول

فلانٌ سمينُ أَمالٍ، مَهْزُولُ أَلْئوالٍ. عَظِيمُ الرُّواقِ، صَغيرُ الأَخلاقِ. يَصُونُ فِلسه، وَيَبْذُلُ نَفسه. الدَّهْرُ يَرِفَعُه، وَنَفْسُه تَضَعُه. ثَروَةٌ في الثَرياءِ، وَهَمَّةٌ في الثَري. لا يَكْذَحُ إِلَّا لِتَطْيِيبِ الطَّعَمِ، وَتَنعِيمِ الجِسمِ، ثُمَّ يَرى المَكارِمَ، مِنَ المَحارِمِ. قَدْ وَفَّرَ هَمَّهُ عَلَى مَطْعَمِ يُجودُه، وَمَلْبَسِ يُجددُه، وَمَرْقَدِ يَمهدُه، وَبُنيانِ يُشيدُه، ثُمَّ يُنْجِدُه، فَمَا يَشُدُّ لِلْمَكارِمِ رَحْلاً، وَلا يَحْمِلُ لِلْفَضْلِ كَلاً، هَمُّهُ أَنْ يَتَشَبَعَ وَيَتَضَلَّعَ، وَيَكْتَسِيَ وَيَتَمَشَّقَ، وَيَتَجَلَّلَ وَيَتَبَرَّقَّ، وَيَتَرَفَّعَ، وَقُصَّاراهُ أَنْ يَنْصُوبَ تَخْتَه، وَيُوطِئَ آسَتَه دَسَتَه، وَحَسْبُهُ مِنَ الشَّرَفِ أَنْ يُصْهَرَجَ أَرْضُها، وَيَزْبَرَجَ بَعْضُها، وَيَكْفِيه مِنَ الْكَرَمِ أَنْ تَعْدُو الْحَاشِيَةُ أَمامَه، وَتَحْمِلُ الْغَاشِيَةُ قُدَّامَه، وَيَجْزِيه مِنَ الْفَضْلِ أَلْفاظُ فُقاعِيه، وَثِيابُ مَشْقاَعِيه. يَلْبَسُها مَلُوماً، وَيَحْشُوها لُوماً. ما أَتَسَعَتْ دُورُهُم، إِلَّا ضاقَتْ صُدُورُهُم، وَلا أُوقِدَتْ نارُهُم، إِلَّا انْطَفَأَ نورُهُم، وَلا هَمَلَجَتْ عِناقُهُم، إِلَّا قَطَفَتْ أَخلاقُهُم، وَلا صَلَحَتْ أحوالُهُم، إِلَّا فَسَدَتْ أفعالُهُم، وَلا كَثُرَ مالُهُم، إِلَّا قَلَّ جَمالُهُم.

القلة والذلة

رَيْحٌ صَيفٌ، وَطارِقٌ طَيفٌ. فَوْتُهُ غَنيمَةٌ، وَالظَّفَرُ بِهِ هَزيمة. هُوَ أَلْعَوْدُ المَرْكُوبِ، وَالزَّنْدُ المَضْرُوبِ، يَطأُ أَلْخَفْ وَالْحافِرُ، وَيَسْتَضِيئُهُ أَلْوارِدُ وَالصَّادِرُ. هُوَ كَالْعُصْفُورِ إِنْ تَرَكَتْه فَاة، وَإِنْ قَبِضَتْ عَلَيْهِ مَاتَ. يَغْمُضُ عَنِ الذِّكْرِ، وَيَصْغُرُ عَنِ الفِكرِ. ذِلَّةٌ لا تُوسِّمُ أَغْفالَها، وَضَعَةٌ لا تُنْفِرُجُ أَقْفالَها. نُهْزَةُ الطَّالِبِ، وَفُرْصَةُ المَغالِبِ، وَعَرَضَةُ القاذِفِ وَالْحاذِفِ. أَقَلُّ مِنَ تَنبَهٍ، فِي

لبنة، ومن قُلامة، في قُمامة.

خبث الطوية ومخالفة الباطن للظاهر

قَلْبٌ نَغِلٌ، وصدرٌ دَغِلٌ. طويةٌ معلولة، وعقيدةٌ مدخولة. ظاهرٌ يسُرُّ الناظر، وباطنٌ يسوِ الخابر. صديقٌ أَلِيان، عدُوُّ المغيب. ما أكذب سَرابَ اخلاقه، وأكثر أسراب نفاقه. صَفوه رَنق، وبرُّه مَلَق، ووُدُّه مَذَق. هو لابس من الغش ثوباً لا ينضوه، ولازم من الفعل سَمْتاً لا يعدوه، ينتهز الفرصة كيف ينشر أجنحة الاحتيال، وكيف يُعمل أسلحة الاغتيال. يدب الخمر، ويمشي الضَّرَاء، ويسُرُّ حَسواً في ارتغاء. قد ملئ قلبه رينا، وشحن صدره مينا. خبيث النية، فاسدُ الطوية، مقلب لسان الملق، سائرٌ بالتخلق وجه الخُلُق. عند الرِّجاء موجود، عند البلاء مَفقود. يمشي الضَّرَاء في الغيلة، ويتنفق بالِنفاق والحييلة. يبُتُّ حباثل الزُّور، وينصب أشراك الغرور، ويدعي ضُروب الباطل، ويتحلى بما هو منه عاطل. يدَّعي أَلفضل وهو فيه دَعي. يُبدي وجه المطابق أَلموافق، ويخفي نظر أَلمسارق المنافق. دأبه بُتُّ الخدائع، وأَلنَّفُث في عُقد المكاره والمكائد. ضميره خُبُث، ويمينه جُنُث وعهده نَكُث.

ما يختص من هذا الباب بالمراثين من الفقهاء والعدول والقضاة

بَيِّضٌ لحيته لِيُسَوِّدَ صحيفته، وأَظهر وَرَعه، ليخفي طمعه، وقَصَّرَ سباله ليطيل يده، وتغشى محرابه، ليملاً جرابه. ما ظنك بذئاب طُلُس، في ثياب ملس. قومٌ يحملون أَلأمانة على متونهم، ليأكلوا أَلنارَ في بطونهم، حتى تغلظ قَصراتهم من مال أَليتامى، وتسمن أكفالههم من غزل أَلأيامى. عَدُلٌ يبرُز في ظاهر أهل السمات، وباطنٌ أَصحاب أَلسَبْت. فعله أَلظلم البحت، وأَكَله الحرام أَلشُحْت، سوسٌ لا يقع إلّا في صوف أَلأيتام، وجراذٌ لا يسقط إلّا على الزُّرع أَلحرام، وكُرديٌّ لا يغير إلّا على أَلضِعاف، ولِصٌّ لا يَنْقِبُ إلّا على

خزانة الأوقاف، وذئب لا يفترس عبادَ الله إلا بين الرُّكُوع والسُّجود،
وحارب لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود. قاض لا شاهد عنده أعدل من
السلة والجام، يُدلي بهما إلى الحكام، ولا مزيك أصدق لديه من الصُّفر،
الذي يرقص على الظُّفر، ولا وثيقة أحب إليه من غمزات الخصوم، على
الكيس المختوم، ولا كفيل أوقع بوفاقه من خُبنة الذيل، وحمال الليل، ولا
خليل أعزُّ إليه من المنديل والطبق، في وقت العشاء والفلق، ولا حكومة
أبغض إليه من حكومة المجلس، وخصومة المفلس، ثم الوليل للفقير إذا
ظلم فما يُنجيه مجلس القضاء، إلا بالنار من الرَّمضاء، وأقسم أن أليتم إذا
وقع إليه فقد وقع بين مخالف الأسود، وأنياب الحبات السوداء.

الكذب والبهتان

فلان مُنغمسٌ في عيبه، يكذب لذيله على جيبه. يقول بُهتًا، وزورًا بهتًا.
قد ملئ قلبه زينا، وقوله مينا، يدين بالكذب مذهبا، ويستلين الزور مركبا،
الفاخته عنده أبو ذر. لا أصغي إلى ما يلفق وينمق، ويخلق ويُزوق. أقاويل
يتمشى الزور في مناكبها، ويتردد البهتان في مذهبها. حسب الكاذب بفعله
شتمًا، وبقلبه خصما، أما يخاف الكدوب، أن يذوب؟

خبث اللسان والفعل

لسانه مقرض، للأعراض. فلان يأكل خُبزه بلحوم الناس. عرضٌ دني،
وفمٌ بدّي. لا يزال تخرج من فمه كلمة يقطر منها دمه، ويتبرأ منها لسانه
ويده، وتطلقه نفسه. من أعمد فيه سيف آريية، انسل منه لسان الغيبة، ومن
طعن عجاناه، طعن لسانه، ومن وارى سوء أخيه صغيرا، تنقل بأعراض
الكرام كبيرا. فلان مقصورُ الهمة على ما يستهجن ذكره، فكيف ارتكابه
وفعله. فلان فيه بغى مُشتق من البغاء، وبه وجعٌ في الوجعاء. فلان لسهام

الغائبين مُستهدف، ولعصي ألفاسقين مُتلفف. فلانٌ يَخْبَأُ الْعَصَا، فِي
الْدَهْلِيزِ الْأَقْصَى. هُوَ أَبْغَى مِنْ إِبْرِ الْخِيَاطِينَ، وَمَحَابِرِ الْوَرَّاقِينَ.

الاستهداف لسهام الغائبين

فلانٌ غَرَضٌ يُرْشَقُ بِسَهَامِ الرِّيَّةِ، وَعَلَمٌ يُقْصَدُ بِالْوَقِيعَةِ. قَدْ تَنَاوَلَتْهُ الْأَلْسُنُ
الْعَاذِلَةُ، وَتَنَاوَلَتْ حَدِيثَهُ الْأَنْدِيَةُ الْحَافِلَةُ، قَدْ لَزِمَهُ عَارٌّ لَا يُمَحِي رَسْمُهُ، وَلَزَبَهُ
شَنَارٌ لَا يَزُولُ وَسْمُهُ. قَدْ قَلَّدَ نَفْسَهُ عَارًّا لَا يَرْحُضُهُ الْإِعْتِذَارُ، وَلَا يُغْنِيهِ اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ. قَدْ أَصْبَحَ نَقْلُ كُلِّ لِسَانٍ، وَضُحْكَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَحَمَلَتْ أُمَهَاتُهُ سَفَاتِجَ
إِلَى الْبُلْدَانِ. قَدْ صَارَ دَوْلَةُ الْأَلْسُنِ، وَمُثَلَّةُ الْأَعْيُنِ. قَدْ عَرَّضَ عِرْضَهُ لِسَهَامِ
الْغَائِبِينَ، وَالْبَيْسَةِ الْقَاذِفِينَ وَالْحَاذِفِينَ. قَدْ قَلَّدَ نَفْسَهُ عَظِيمَ الْعَارِ وَالشَّنَارِ،
وَالْبَسَهَا أَلْبِسَةَ الْخَالِدَةِ عَلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

التيه والكبر

قَدْ أَسْكَرَتْهُ خَمْرَةُ الْكِبَرِ، وَأَسْتَهْوَتْهُ غُرَّةُ التَّيْهِ. كَأَنَّ كَسْرَى حَامِلٌ غَاشِيَتَهُ،
وَقَارُونَ وَكَيْلٌ نَفَقَتِهِ، وَبَلْقِيسٌ إِحْدَى دَايَاتِهِ، وَكَأَنَّ يَوْسُفَ لَمْ يَنْظُرْ إِلَّا بِمَقْلَبَتِهِ،
وَلَقِمَانٌ لَمْ يَنْطِقْ إِلَّا بِحِكْمَتِهِ. كَأَنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ جِبْهَتِهِ، وَالْغَمَامَ يَنْدِي
مِنْ يَمِينِهِ. كَأَنَّهُ أَمْتَطَى السِّمَّاكِينَ، وَأَتَعَلَ الْفَرْقَدِينَ، وَتَنَاوَلَ النَّيِّرِينَ بِيَدَيْنِ،
وَمَلِكُ الْخَافَقِينَ، وَأَسْتَعْبَدَ الثَّقَلَيْنِ. كَأَنَّ الْخَضِرَاءَ لَهُ عُرْشَتٌ وَالْغُبْرَاءَ بِاسْمِهِ
فُرْشَتٌ.

الحسد

قَدْ دَبَّتْ عَقَارِبُ الْحَسَدَةِ، وَكَمَنْتْ أَفَاعِيهِمْ بِكُلِّ مَرْصَدَةٍ. فَلَانٌ مَعْجُونٌ مِنْ
طِينَةِ الْحَسَدِ وَالْمَنَافَسَةِ. مَضْرُوبٌ فِي قَالِبِ الضِّيقِ وَالْمَنَاقَشَةِ. قَدْ وَكَلَ بِي
لِحْظًا يَنْتَضِلُ بِأَسْهَمِ الْحَسَدِ. فَلَانٌ جَسَدٌ، كُلُّهُ حَسَدٌ، وَعَقْلٌ كُلُّهُ حَقْدٌ.

الحاسد يعمى عن محاسن الصبح، بعينٍ تدرك فائق الفتح. الحسود، لا يسود. الحسد، آفة الجسد.

دناءة النفس مع شرف الأبوة

فلانٌ من الطأؤوس رجله، ومن الورْدِ شوكة، ومن الماءِ زَبْدُه، ومن النارِ دُخانُها، ومن الخمرِ خُمَارُها، ومن الدارِ كنيفُها. يا عجباً أيلدُ البهيم، وولد آزر إبراهيم.

النميمة

لعنَ الله من يُفسدُ ذاتَ البين، ويسعى بالنميمة بينَ المحبين. النَّمام يُحاربُ بسيفٍ كليلٍ إلا أنه يقطع، ويضربُ بعضُدهِ واهنٍ إلا أنه يوجع. فلانٌ لا يزال ينمنم حلةَ النَّمام، وينفثُ في عُقدِ المكاره. قد هبتَ سماءُهم نمائمُه ودبتَ عقاربُ مكائده. النميمةُ من سلاحِ النساءِ، وحصون الضعفاء.

الجبن

ليست البراعة الجوفاء إلا أثبتَ منه قوّة، وأشدُّ مُنة. فهو يحسب كلَّ صيحةٍ عليه، وكلَّ هيلةٍ عدواً يقبض على يديه. فلانٌ تمثالُ الجبن، وصورةُ الخوف، ومقرُّ الرعب، ومن لو سُميت له الشجاعة لخاف لفظها قبل معناها، وذكرها قبل فحواها، وأسمها قبل مُسمّاها. هو من تُخوفُه أضغاثُ الأحلام، فكيف مسموعُ الكلام. إذا ذكرتِ السيوفَ لمسَ رأسه هل ذهب، وإذا ذكرتِ الرماحَ مسَّ جنبه هل ثقب. كانه أسلمَ في كتابِ الجبنِ صبيّاً ولقنَ كتابَ الفشلِ أعجمياً.

خلف الوعد وكثرة المطل

يا له من وعدٍ أخذ من البرق الخُلبَ خُلُقاً، وتناول من العارضِ الجهم

طبعاً، وتركني أرعى رياض رَجَاء لا تنبت، وأجني ثمرَ أَمَلٍ لا يُورق. هو في ضمائر الانتظار، وإسارِ عِدَّةِ ضِمَار. جعل يلوذ بِدَمَةِ أَلْمَطَل، ويُرجي يوماً إلى غد. وعُدّه بَرَقٌ خُلِب، ورَوغان ثعلب. غيَمُ وعده جَهَام، وسيف بذله كَهَام. وعُدّه مُقَرَّمَط، ومطله مفرط. حصلتُ معه عَلَى مواعيدَ عُرقوبية، وأحزان يعقوبية. قد حَرَمَه ثمرة أَلْوَعْد، وجَرَّه على شوك المَطَل. أنبت بوعده روضَ أَلْأَمَال، ثم حَصَدَه بِأَلْخَلْفِ وَأَلْمَطَال. وَعَدُّ كَالْوَعِيد، بمطل شديد، يُشِيب أَلْوَلِيد. ولاية فلانٌ وَعَدٌ وَصَرَفَه أَعْتَذَار. وعده ضِمَارٌ لا يَنْجِز، وسحابه جَهَامٌ لا يَسْكَب. لا وَعَدٌ نَجِيج، ويَأْسُ مُرِيح. سَحَابُ أَلْصَيْف أثبت من قوله، وَأَلْخَطُّ في صفحة أَلْمَاء أقوى من عهده، ومواعيدُ عُرقوب أقرب إلى أَلْإِنْجَاز من وعده. خُلِفَ الوعد، خُلِقَ الْوَعْد. فلانٌ يرسل برقه، ولا يسيل ودقه، وَيُقَدِّم رَعْدَه، ولا يمطر بعده. وعده الْخَطُّ في بسط الهَوَاء، والرقم عَلَى بساط الْمَاء.

صعوبة الجانب

صخرةٌ خَلَقَاء لا تستجيبُ لِلْمُرْتَقِي، وَحِيَّةٌ صَمَاء لا تسمع للراقي. كَأَنِّي أَسْتَفْزُ مِنْهُ بِأَلْحُدَاءِ عوداً، وأَهْزُ بِأَلْدُعَاءِ طوداً. كَأَنِّي أَنَادِي صخرةً وأرقي حِيَّةً. فلانٌ ثاني الْعِطْف، نائي الْعِطْف. فلانٌ صعب أَلْمَعْطَف، بعيدُ المَرْجِع، زُحَلِي خَطُو أَلْعِطْف، جمادي حركة الصَفْح. لا تنحلُّ عُقْدَه، ولا تتحافى عن فريسة يَدُه.

العجز

فلانٌ عاجز أَلْمُنَّة، قاصرُ الْقُوَّة. يتعلق بِأَذْنَابِ المَعَاذِير، ويحيل عَلَى ذُنُوبِ المِقَادِير. ما قطع في ذلك شعرة، ولا سقى قطرة، ولا فاه فيه بفصيح ولا أعجم. هو كَالنَّعَامَةِ يكون جملاً إذا قيل طيري، وطائراً إذا قيل سيري. الطَّيْرُ

تغدو خماصاً، وتروح بطاناً، وهو عاجزٌ عما يقتاتهُ، قاصرٌ عما تتماسكُ به حياته. يُقام له نُزل، ولا يُفوض إليه شغل، ويُملأ له وَطْب، ولا يُرفع إليه خطب، وهذا والله عيشُ العجائز، والزَّمن العاجز.

آخر كتاب المساوىء والمقايح، والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العيادة وما يجانسها

ذكر التشكي والمرض

عَرَضَ لي مرضٌ أساءَ بالنجاة ظنِّي، وكاد يصرف وجه الإفاقة عني. لو
رَأَني لرَأَني خِلالاً، ولو شئتَ لطرقته خيالاً. هو شوري بين أمراض أربعة:
حُمى لا تُغَبِّ، وصداع لا يَخْفُ، وزكام يَكُد، وسُعال لا يَكْفُ. عِلَّةٌ هُوَ في
أَسْرَها مُعْتَقِل، وبقيدها مُكْبِل. أُمراضٌ تَوالت عليَّ، وأساءت بي وإليَّ، فأنا
أَشْكُوها وأشكر الله تعالى إذ جعلها عِظَةً وتذكيراً، ولم يبق منها حتى الآن إلا يسيراً.
أَحْسِبُ الأمراض قد أَقْسَمْتُ عَلَى أن تجعل أعضائي مَرابِعها، وآلت عَلَى أن
تصير جوارحي مراتعها. علَّلَ لا يصدر منها آتٍ إِلَّا لتكريرٍ وَرَدٍ، ولا يُعْزَل
فيها والٍ إِلَّا بولي عهد. قد كَرَّتْ تلك العلة فَعادت عِللاً، وسقاني بعد نهل
عِللاً، حليفٌ عِلَّةٌ أَقْعَدتني عن الحركة، وألْزمتني من المنزل عَرِصَةَ الْعَجْزَةِ.
عِلَّةٌ بَرَّتْه بري الأخله، ونقصته نقص الأهله. تركته حَرَضاً، وأوسعته مرضاً،
وغادرته وآلخيال أكتف منه جُثَّةً، والطيف أوفر منه قوة.

اشتداد العلة وسوء الظن بها

عَرَضَ له من المرض ما صار له القُنُوط يُغَاديه ويُراوجه، واليأس يُخاطبه
ويُصافحه، وَرَدَ من سوء الظن أَوْخَمُ المناهل، ويات من حُسن الرِّجاء

على مراحل. طالعتُ الكرمَ يترجح نجمه بين الإضاءة والآفول، وتتمثل شمسُه بين الإشراف والغروب؛ أصبحُ فلانٌ لا ينقلُ رأسه، ولا يجرُّ ظله. ويدُ ألمنيّة تفرعُ بابه. ما هو إلا حَرَض، وَلَسَهُمُ أَلْمَنِيّةُ غَرَض. شاهدتُ نفسي وهي تخرُجُ، وَلَقِيْتُ رُوحِي وهي تَعْرُجُ، وَعَرَفْتُ كيف تكونُ السَّكرة، وكيف تقعُ أَلْغَمرة، وكيف طَعِمَ أَلْبُعدُ والفراق، وكيف يلتفُ السَّاقُ بالسَّاق.

الانزعاج لعارض العلة

مَرِضٌ فُلِحَتْنِي رَوْعة، وملكتني لوعة. وجذتُ في نفسي أَلْمًا مما مسه، وتحوّنُ أُنسه، بلغني من شكاته ما أوحش جناب الأُنس، وأراني الظُّلْمَة في مَطْلَعِ الشَّمْس. بلغني ما عرض له من المرض، وألم به من الألم، فتحامل عَلى سَواءِ صَدْرِي، وأقذى سَواءِ طَرَفِي. قد آستنفد أَلْقَلُّقُ لَعَلَّتْكَ ما أعدّه الصَّبْرُ من ذَخيرة، وأضعف ما قَوَّاهُ الْعَزَاءُ من بصيرة. أَثْقَلَبَ عَلى حَدِّ السَّيْفِ إلى أن أَعْرِفَ أُنْكَشَافَ الْعَارِضِ وزواله، وأتَحَقِّقَ انْحِسَارَهُ وانتقاله. أَنهِي إلى من خَبَرَ الْعَارِضَ حَسَمَ اللهُ مَادَّتَهُ، وقَصَّرَ مُدَّتَهُ. ما أراني أَلَا فِقْ مُظْلَمًا، وطريقُ الْعَيْشِ مُبْهِمًا.

تهوين أمر العارض بحسن الرجاء

هذه أَلْعَوَارِضُ قد تكون، ثم تزول بإِذْنِ اللهِ وتهون. إِنَّ الذي يبلغني من ضَعْفِهِ قد أضعف المُنَّة، وإن لم يُضْعَفِ الظَّنُّ بِاللَّهِ وَالثَّقَّة. قد آستشفَّ أَلْعَافِيَة من ورَاءِ ثَوْبٍ رَقِيق، وبات منها عَلى وَعْدٍ قَرِيب، رُبَّمَا يُشْفِي من أَشْفَى، وحسبنا اللهُ وكفى، ما أَكْثَرَ ما رأينا هذه أَلْعِلَّ جَلَّتْ ثم جَلَّتْ، وتوالت ثم تولَّت.

ذكر المشاركة في العلة

خبرني فلانٌ بعلتك فأشركني فيها همًّا وقلقًا، ولا أعلُ اللهُ لك جسمًا ولا

حالاً، وردَّ إليك آلِافية وأدامها لك . ليست نكايةُ الشَّغل في قلبي بأقل من نكايةِ الشَّكاية في جسدك، ولا استيلاء القلق على نفسي بأيسرَ من اعتراض السَّقام لبدنك، ومن ذا الَّذي يَصِحُّ جسمه إذا تألمت إحدى يديه، ومن يحلُّ محلَّها في القُربِ إليه . ما كنتُ أعلم خبرَ العارض لك حتى تحققت ذلك من مُشاركتي إياك في عِلَّتكَ وصِحَّتكَ . ما أنفرد جسمك بألمِ العلة دون قلبي ولا اختصت نفسك بمعاونة المرض دون نفسي . ليعلم سيدي أنني سقيمٌ بسقمه، وواجدٌ بقلبي ما يجده بجسمه .

الاهتمام لليلة ثم الاستبشار بزوالها

أنا مُنزِعج لشكااتك، مُبتهجٌ لمعافاتك . إن كانت عِلَّتكَ قد قرحت وجرحت، فإن صِحَّتكَ قد أُستِ وأنست . بلغني شكااتك فأرتعت، ثم عرفتُ خفَّتها فأرتحت . الحمدُ لله على قُربِ المدة بين المِحنة والمنحة، والبلوى والنعمة، على أنا لم نتهالك بأيدي المخافة، حتى تداركنا الله بحسن الرافة، ولم نستسلم لحُطة الحذر، حتى سلَّم من ورطة القدر.

شكاة أهل الفضل والسؤدد

شكااته التي تتألم لها المروءة والفضل، ويسقط لها الكرم المحض . شكااته التي غصَّت بها حُلوق المجد، وخرَّجت لها صدورُ الأدب، وبدا الشُّحوب معها على وجه الحُرِّية، وحرُمَ عندها البِشْرُ على غرة المروءة، عِلَّتُه التي أعلَّتْ أكثرَ القلوب، وطيرت الأرواح عن جُلِّ النفوس، قد اعتلَّ بعِلَّتِه الكرم، وشكا بشكايته السيف والقلم . شكاة عرضت منه لشخص الكرم الغض، والشرف المحض، لو قبلت مُهجتي فديةً دون وعكة تجدها، وساعة أنس تفقدها، لبدلتها علماً بأني أفدي الكرم لا غير، والفضل ولا صير .

أدعية العيادة

أغناك الله عن البَلِّ والأطباء، بالسَّلامة والشفاء. كفاك الله بالسَّلامة، وشفاك بالطافه الخاصه والعامة. جعله الله عليك تمحيصا، لا تنغيصا، وتذكيرا، لا تنكيرا، وأدبا، لا غضبا، والله يُدرِّلك صَوْبَ العافية، ويُضفي عليك ثوب الكفاية ألوافية. أذن الله في شفائك، وتلقى داءك بدوائك، ومَسَحَكَ بيد العافية، ووجه إليك وافد السَّلامة، وجعل علتك ماحيةً لذُنُوبك، مُضاعِفَةً لثوابك. أوصل الله إليك من برد الشفاء، ما يكفيك حرَّ الأدواء.

تنسم الاقبال بعد اليأس

قد شِمتُ بارقةً العافية، وشممت رائحة الصحة. أقبل صنع الله من حيث لم أرتقب، وجاءني لطفه من حيث لم أحتسب، وتدرجت إلى الإبلال وقد حسبته حُلما، ورضيتُ به دون الاستقلال غُنما. قد تخلصتُ إلى شط العافية، وصافحتُ كف حُسن العاقبة. كما تداركني الله بلطفيةٍ من لطائفه، نوجعل هبة الروح عارفةً من عوارفه. تنسمت روائح الحياة بعد أن أشفيت على الوفاة، وثَّبت وجهي إلى الدُّنيا، بعد مواجعتي الدار الأخرى. تداركني صنع الله ولطفه فأقالا عثرة ما خلَّتني أقالها، وأزالا علةً لم يُحتسب زوالها.

ذكر الابلال وحمد الله عليه والدعاء عنده

قد صافح الإقلال والإبلال، وقارب ألنهوض والإستقلال. سيُرويك الله من العافية التي ذُوقك ويسبغ ثوبها عليك، ولا يُعيد مكروهاً إليك. المرض قد آنحسر، والألم قد آنحسم. قد استقل استقلال السيف حُودث حده، وأُعيد فِرْنْدُه، والقمر آنكشف سراه، وذاعت أسرارُه. حين استقلت يدي بالقلم، بشرتك بآنحسار الألم. قد أقال الله بالسَّلامة ألفائضة، وأدال من الشكاية

العارضة، فأنشِرت الصدور، وشَمِل السرور. أبلِ فَعادت به الصُّدور
 مثلوجة، وألْكَرِب مفروجة. الحمدُ لله الَّذي حرس جِسْمك وعافاه، ومحا عنه
 أثر السُّقْم وعَفَّاه. الحمد لله الَّذي جعل الْعافية عَقْبِي ما تشكيت، وَالسلامة
 عوضاً مما عانيت. الحمد لله على أَنَّ أعفاك من مُعانة الألم، وعافاك للفضل
 وَالكرم، ونظمني معك في سلك النعمة، وضمَّنني إليك في مسلك الصِّحة،
 وَالله يجعل السلامة ثوبك الَّذي لا تنضُّوه، وأسفعك في كل ما تأمله وترجوه،
 وَالله يجعل السلامة أطول بُرْدِك، وأشدَّهما سُبوغاً عليك، ويدفع في صدور
 المكاره دون ربعك، وفي نحور المحاذر قبل الْانتهاء إلى ظلك. لا زالت
 العافية شعارك، ما وَصَل ليلك نهارك. سَوْغَك الله الْعافية وهَنَّاك الْعيشة
 الرَّاضية.

الاستشفاء بكتب العيادة

كلامك قد أدى روح السلامة في أعضائي، وأوصل برد الْعافية إلى
 أحشائي، تركني كتابك وَالظلم ينتسب إلى صحتي بعد أمراض اكتنفت،
 وأسقامٍ اختلفت. قد آستبق كتابك وَالْعافية إلى جسمي، حتى كأنهما فرسا
 رَهانٍ تباريا، ورَسِيلا مضمار تجاريا. أبدلني كتابك من حُزون الشِّكاة،
 سهول المعافاة، ومن شِدَّة التَّألم، رخاء التَّنعيم، ومن ضيق الصِّدْر بأضطراب
 البدن، سَعَة الصِّدْر باستقرار الجسد، حتى كأنَّه مُسْحَة مَلَك منزل، أو سبحة
 نبيٍ مُرسَل.

آخر كتاب العيادة، والله الحمد والمِنَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التهاني والتهادي وما ينخرط في سلكها، ويأخذ مأخذها

ألفاظ التهئة بمولود

مرحباً بالفارس المحقق للظنون، المقيّر للعيون. المقبل بالطالع السعيد،
والخير العتيد. أنجب الأبناء، لأكرم الآباء. أنا مُستبشّر بطلوع النّجم الذي
كُنّا منه على أمل، ومن تطاول أسراراه على وَجَل. إن يشأ الله يجعله مُقدمة
إخوة في نسق، كالفرد المتسق. قد طلع في أفق الحرية أسعد نجم، ونجم
في حدائق المروءة أزكى نبت. يا بُشراي بطلوع الفارس الميمون جدّه،
المضمون سعدّه. عليه خاتم الفضل وطابعه، وله سهم الخير وطالعه. الحمد
لله على طلوع هذا الهلال الذي نراه إن شاء الله بداراً لا يُضمّر السرار ضياه،
ولا يبلغ المحاق سَناءة وسناه. قد بشرت قوابله بالإقبال وعلو الجَدّ، وأقترن
قدومه بالطائر السعد. هنّاك الله قوّة الظهر، واشتداد الأزر، بالفارس المكثّر
لسواد الفضل، الموفر لجمال الأهل، المستوفي بشرف الأرومة، كرم الأبوة
والأمومة، وأبقاه حتى نراه، كما رأينا جده وأباه. عرفت أنفاً ما كثر الله به
عده، وشد عضده، بطلوع الفارس الذي أضاء له أفق النجابة، وطال به باع
السعادة. بُشرت بالنور الساطع في أفق النجابة، والبدر الطالع في فلك
السعادة، فعظمت النعمى لديّ، وأوردت البُشرى غاية المُنَى عليّ.

ما يختص منها بالملوك

مرحباً بالفارس القادم، بأعظم المغانم. سوي الخلق، سامي العرق. تلوح عليه سيما المجد، وتتجاذبه أطراف الملك. وردت البُشرى بالفارس الذي أوسع رِباع المجد تاهلاً، وأطراف الملك تحصناً، ومناكب الشرف ارتفاعاً، وأعضاء العز اشتداداً. أتنني بُشرى البشائر، وآلنعمى المحروسة عن النظائر. في سُلالة العز وسليله، وأبن منبر الملك وسريره. الأمير القادم، بغُرة المكارم. الناهض إلى ذروة العُلَياء، بآباء أمره وملوك عظماء. مرحباً بالفارس المأمول لشدّ الظهور، المرجو لسدّ الثغور. الحمد لله الذي شدّ أزر الدولة، ونظم قلادة الأمر، وعمر سرير العزّ، ووطد منابر المملكة، بالقمر السعد، وشبل الأسد الورد. قد تبسمت المكارم والمعالي، وتباشرت الخطب والقوافي، بالفارس المأمول لشدّ أزر الملك، وسدّ ثغر المجد، وتطاول السرير شوقاً إليه، وأهتزت المنابر حرصاً عليه. قد آفتر جفنُ العالم عن العين البصيرة، واستغرب مضحكه عن اللمعة المنيرة. أما الأمير المولود فالتاج بجبينه يبهى، والركاب بقدمه يُزهى.

الادعية للمولود والوالد

اللهم أرني هذا الهلال بدرًا، قد علا آلاقران قدرا. بلغه الله فيه مُناه، حتى يراه وأخاه، مُنيقَيْنِ على ذروة المجد، آخذين بأوفر الخطوط من علو الجَد، والله يمتعه به، ويرزقُ الخير منه، ويُحقق الأمل فيه. عرّف الله مولاي بركة المولود المسعود، وعُضد الفضل بالزيادة في عدده، وأقر عين المجد بالسيادة من ولده، عرّفه الله من سعادة مقدّمه، ما يجمع أعداءه تحت قدمه. عمرك الله حتى ترى هذا الهلال قمراً باهراً، وبدرًا زاهراً. يكثر به عددُ حَفَدَتِكَ، وتَعْظُم منه عُصّة حَسَدَتِكَ، من حيث لا تهتدي النواشب إلى

عِرَاصِكُمْ، وَلَا تَطْمَعِ الْحَوَادِثَ فِي انْتِقَاصِكُمْ. مَتَّعَكَ اللَّهُ بِالْوَلَدِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَقْوَى الْعَدَدِ، وَوَصَلَهُ بِإِخْوَةٍ مُتَوَافِرِي الْعَدَدِ، شَادِّينَ لِلْأَزْرِ وَالْعُصْدِ. هُنَّاكَ اللَّهُ مَوْلَدَهُ، وَقَرْنَ بِالْيُمْنِ مَوْرَدَهُ، وَأَرَاكَ مِنْ بَنِيهِ أَوْلَاداً بَرَّةً، وَأَسْبَاطاً وَحَفْدَةً. عَرَفَكَ اللَّهُ بِرَكَّةٍ قَدَمَهُ، وَنَجَّحَ مَقْدَمَهُ، وَسَعَادَةَ طَالَعَهُ، وَيُمْنَ طَائِرَهُ، وَعَمَّرَكَ حَتَّى تَرَى زِيَادَةَ اللَّهِ مِنْهُ، كَمَا رَأَيْتَهَا بِهِ.

ما يختص منها بالملوك والسادة

اللَّهُ يُبَلِّغُهُ أَفْضَلَ مَا تَقْسِمُهُ أَلْسُنُ الْعُودِ، وَتَعْلُو بِهِ الْجُدُودِ، حَتَّى يَسْتَغْرُقَ مَعَ إِخْوَتِهِ مَسَاعِيَ الْفَضْلِ، وَيُشِيدُوا قَوَاعِدَ الْفَخْرِ، وَيَزَحُمُوا صُدُورَ الْدَهْرِ، وَيَضْبُطُوا أَطْرَافَ الْأَرْضِ، وَاللَّهُ يَحْرُسُهُ مِنْ نَوَاطِرِ الْأَيَّامِ أَنْ تَرْتُو إِلَيْهِ، وَأَطْمَاعَ اللَّيَالِي أَنْ تَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ، حَتَّى يَسْتَقِلَّ بِأَعْبَاءِ الْخِدْمَةِ، وَيَنْهَضَ بِأَثْقَالِ الدَّوْلَةِ، وَيَخْفَ فِي الدَّفْعِ عَنِ الْبَيْضَةِ، وَيَتَسَرَّعَ إِلَى حِمَايَةِ الْحَوْزَةِ، وَاللَّهُ يُدِيمُ لِمَوْلَانَا مِنَ الْعَمْرِ أَكْلَاهُ، وَمِنْ الْعَزَاهُنَّاهُ، لِيُطَبَّقَ الْعَالَمُ بِفَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، وَيُدَبَّرَ الْأَرْضُ بِالنُّجَبَاءِ مِنْ نَسْلِهِ.

ذكر المولود العلوي

غُصِّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَجَرُهُ، حَقِيقٌ أَنْ يَحْلُو ثَمَرُهُ، وَفَرَعٌ بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالْإِمَامَةِ مُنْتَهَاهُ. خَلِيقٌ أَنْ يَحْمَدَ بِدَوِّهِ وَعُقْبَاهُ. مَرْحَباً بِالطَّالِعِ بِأَيْمَنِ الطَّالِعِ، وَمِنْ أَشْرَفِ الْمَنَاصِبِ وَالْمَنَابِعِ. حَيْثُ الرِّسَالَةُ وَالْإِمَامَةُ، وَالْخِلَافَةُ وَالزُّعَامَةُ. أَبْقَاهُ اللَّهُ حَتَّى تَتَهَنَّأَ فِيهِ سَوَابِغُ الْمَنَنِ، وَيُعَدَّ حَسَنَةً فِي بَنِي الْحَسَنِ.

ذكر التوأمين

تَسَرَّتْ مِنْحَتَانِ فِي مَوْطِنٍ، وَانْتَضَمَتِ مَوْهَبَتَانِ فِي قَرْنٍ. طَلَعَ فِي أَفْقِ الْمَلِكِ نَجْمًا سَعْدًا، وَشَهَابًا عِزًّا، وَكَوْكَبًا مَجْدًا، فَتَاهَلَتْ بِهِمَا رِبَاعُ الْمَحَاسَنِ، وَوُطِّئَتْ لَهَا أَكْنَافُ الْمَكَارِمِ، وَاسْتَشْرِفَتْ إِلَيْهِمَا صُدُورُ الْأَسْرَةِ وَالْمَنَابِرِ. عَرَّفَهُ

الله السَّعادة في طلوع بدرين انبعثا من نُوره، واستنارا في دُوره. بلغني خبر
الموهبة المشفوعة بمثلها، والنعيم المقرونة بَعْدِهَا، في الفارسين المقبلين
رضيحي العزّ والرّفة، وقربي المجد والمنعة، فشملني من الاغتباط ما يوجبه
ازدواج البُشرى، واقتران عارِفَةٍ بأخرى.

في التهنة بالبنت

هنا الله سيدي وُرود الكريمة عليه، وثمر بها أعداد النسل آطيب لديه،
وجعلها مؤذنة بإخوة بَرّة، يَعمرون أندية أفضّل، ويُعمرون بقية الدهر.
اتصل بي خبر المولودة كَرَم الله عُرَّتْهَا، وانبثا نباتاً حسناً، وما كان من تغيرك
عند أتصاح الخبر، وإنكارك ما اختاره ما سابقُ القَدَر، وقد علمت
أنهن أقرب من القلوب، وأن الله بدأ بهنّ في الترتيب، فقال جلّ من قائل:
﴿يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾، وما سَمَاءُ الله هبةً فهو بالشكر
أولى، وبُحْسَن التّقبل أخرى. أهلاً وسهلاً بعقيلة النِّساء، وأمّ الأبناء، وجالبة
الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

فلو كان النِّساء كَمثل هَذي لَفُضِّلَتِ النِّساء على الرجال
وما التّائيت لاسمِ الشَّمس عَيْبٌ ولا التّذكيرُ فخرٌ للهلال
والله يُعرفُك البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فادّرع اغتباطاً، واستأنف
نشاطاً، والدُّنيا مؤنثة والنّاس يخدمونها، والنار مؤنثة والذكور يعبدونها،
والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية، وفيها كُثرت الدُّرية، والسَّماء مؤنثة وقد
رُئيت بالكواكب، وحُليت بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة، وهي قِوَام الأبدان،
وملاك الحيوان. والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا عُرف الأنام،
والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون، وفيها ينعم المرسلون، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت،
وأوزعك الله شكر ما أعطيت، وأطال بقاءك ما عُرف النسلُ والولد، وما بقي

الأبد، وكما عُمِّرْ لُبْد، إنه فعال لما يشاء وهو على كل شيء قدير.

ألفاظ التهئة بالاملاك وما يقترن بها من الأدعية

من أتصل بمولاي سببه، وشرف به منصبه. كان حقيقاً بالرغبة إلى الله في توفيره وتكثيره، وزيادته وتشميره، لتزكو منابت الفضل، وتنمي مغارس الفخر، وتطيب معادن المجد. بارك الله مولاي في الأمر الذي عقده وأحمده إياه وأسعده، وجعله موصولاً بنماء العدد، وزكاء الولد، وأتصال الحبل، وتكثير النسل، والله يخير له في الوصلة الكريمة، ويقرنها بالمنة الجسيمة. قد عظم الله بهجتي، وضاعف غبطتي، بما أتاحه من سرورٍ مههد، بجمع شملٍ مُجدد. فلا زالت النعم به محفوفة، والمسارُ إليه مزفوفة. جعل الله هذه الوصلة وكيدة العقدة، طويلة المدة. سابغة البركة والفضل، طيبة الذرية والنسل. وصل الله هذا الاتصال السعيد، وألعدد الحميد. بأكمل المواهب، وأحمد العواقب، وجعل شمل مسرتك به مُلتئماً، وسبب أنسك مُنتظماً. عرفك الله تعجيل البركات، وتوالي الخيرات، ولا أخلاك في هذه الوصلة من التهاني بنجباء الأولاد، وكبت بكثرة عددك جميع الحساد. هنا الله مولاي الوصلة لتتصل بكثرة العدد، ووفور الولد، وأنبساط الباع واليد، وعلو القدر والجَد.

ألفاظ التهئة بالولايات

عرّفت خير البلد الذي أحسن الله إلى اهله، وعطف عليهم بفضله، إذ أضيف إلى ما يلاحظه مولاي بعين إبالته، وينفي خلله بفضل أصلته. من سر في الولاية يلبس مولاي ظلالها، ويسحب أذيالها، بنعم مُستفادة، ورُتب مُزدادة، فسُروري بما يكتسبه من كل عملٍ يُدبره، وأمرٍ يقدره، من أحداثة جميلة، ومثوبة جزيلة، ويؤثره من إحياء عدل، وإماتة ظلم، وعمارة لسبل

الخيرات، وإيضاح لطرق المبرات. التهئة بالأعمال وأن كبر عنها موقعه، وكان بحمد الله يرفعها ولا ترفعه، فالرُسوم تحفظ تحدثاً يولي الله مسوغاً، ويؤتي مسبغاً. سيدي يوفي على الرُتب التي يهنأ ببلوغها، ويزيد على المنازل التي يدعى له بحلولها. فهنئاً تجملها بولايتها، وتحليها بكفايتها. الأعمال، وإن بلغت أقصى الآمال، فكفاية مولاي تتجاوزها، والرُتب وإن جلت قدراً، وكبرت ذكراً، فصناعته تسبقها وتشأها، غير أن للتهاني رسماً لا بُد من إقامته، وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته. الأعمال، وإن بلغت الآمال، فكفاية سيدي توفي عليها إبقاء الشمس على النجوم، وترتفع عنها ارتفاع السماء عن التخوم. سيدي أرفع قدراً، وأنبه ذكراً، من أن نهته بولاية وإن جل أمرها، وعظم قدرها، لأن الواجب تهئة الأعمال بفائض عدله والرعية بمحمود فعله، والأقاليم بآثار سياسته، والولايات بسمات رئاسته.

ما يختص منها بالوزراء

أنا أهني الوزير بالنعمة التي عمت أهل الأرض، وخصت بني الفضل، وإن كان فوق كل ولاية تُوكل إليه، وراية تخفق عليه. أهني سيدنا بالحال التي جددها الله له كما يهنأ ناشد الضالة إذا وجدها، لا كما يهنأ طالب الغنيمة إذا ظفر بها. قد أعطيت قوس الوزارة منه باريها، وأضيفت إلى كفوها وكافيتها، وفُسخ بها شرط الدنيا الفاسد في إهداء جظوظها إلى اوغادها، ونُقِض بها حكمها الجائر في العدول بها عن نُجباء أولادها. قديماً أَلَقْتُ إليه الوزارة بالمقاليد، ونصت عليه بالتقليد، وتجملت منه تجمل من سواه بها، وسمت إليه سمو غيره إليها. الدنيا أيد الله الوزير مهنةً بانحيازها إلى رأيه وتنفيذه، والممالك مغبوةً باتصالها إلى أمره وتدبيره. قد كانت الدنيا متطلعة لرئاسته، مُستشرفة لوزارته، إلي أن سَعدت بما كانت الآمال عنه مخبرة،

وحظيت بما كانت الظنون به مبشرة. وانحيازها إلى جنته واضحة الفجر،
وتوشحها من كفايته بغرة سائرة إلى وجه الدهر. الحمد لله الذي أقر عين
الفضل، ووطأ مهاد المجد، وترك الحساد يتعشرون في ذيول الخيبة،
ويتساقطون في فضول الحسرة، وأراني الوزارة، وقد استكمل الشيخ خلالها،
ووفاء جمالها

فلم تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

ما يختص منها بالقضاة

القاضي عَلِمُ العلم شرقاً وغرباً، ونجم الفضل غوراً ونجداً، وشمسُ
الأدب بَرَأَ وبحراً، فسبيل الأعمال أن تهناً إذا رُدَّتْ إلى نظره الميمون،
وعُصِبَتْ برأيه أَلَمَامُونَ. أسعد الله القاضي بما جدد له من رأي مولانا
وآرتضائه، واعتماده لأجل أمور الشريعة وآنتضائه، وأسعد المسلمين والدين
بما أصاره إليه، وجعل زمامه بيديه.

الأدعية التي في التهاني بالأعمال والولايات

عرّف الله سيدي من سعادة عمله، أفضل ما ترقّاه بأمله، ولقّاه من مناجح
أمره أبلغ ما أنتحاه بفكره. خار الله له فيما تولّاه وتطوّقه، وبلغه في كلّ حال
أمله وحقيقه. عرفه الله من يُمْنٍ ما باشره تدبيره الخير والخيرة، وألبركات الحاضرة
وآلمتظرة، وجعل المنائج إليه أرسالا، لا تَمَلُّ تواليّاً واتصالاً. أسعده الله أفضل
سعادة قُسمت لوالي عمل، وأحضر بركة أسهمت لمُسامي أمل. أحضر الله السداد
عزمه، وألزم الإرشاد همه، وكَنَفَه بالعصمة وأيده، وقرن به التوفيق ولا أفرده. هُنا
الله الموهبة التي ساقها إليه، ومدّ رواقها عليه إذ كانت من عقائل الموهب، مُسفرة
عن خصائص المراتب، وحلّت منه محل الإستيجاب، لا الإيجاب،
والإستحقاق، دون الإتفاق. هُنا الله نعمة الفضل التي الولاية أصغر آلاتها

والرئاسة بعض صفاتها.

ذكر الخلع والأحذية ووصفها

أهنيء سيدي بمزيد الرفعة، وجديد الخلعة، آلتى تخلع قلوب المنازعين، واللواء الذي يلوي أيدي المنابذين، والحُمْلان الذي لو امتطاه إلى الأفلاك لحازها، أو سامى به الجوزاء لجازها. بلغني خبر ما تطوّعت به سماء المجد، وجادت به أنواء الملك، فتضمن من الخلع اسناها، ومن السيوف أمضاها، ومن الأفراس أجراها، ومن المراكب أبهاها، ومن الإقطاعات أنماها. لبس خلعتة متجللا منها ملابس العزّ، وامتطى فرسه فارعا ذروة المجد، وتقلد سيفه حاصداً بحده طلى أعدائه، وغامطي نعمائه، واعتنق طوقه متطوقاً عزّ الأبد، واعتصم بالسوارين المؤذنين بقوة الساعد والعضد، وساس أولياءه ولوآؤه عليه خافق، ولسان النصر والظفر ناطق. قد لبس عبده خلعتة، التي تعتمد بها رفعتة، وامتطى حُمْلانه، الذي واصل به إحسانه، وتنطق بحسامه، الذي ظاهر أثواب انعامه، وتختم بخاتميته، اللذين بسطا من يديه، ووقع من دَوَاتِهِ، التي أعلا بها من دَرَجَاتِهِ، وتمهد له آلدست المحمول إليه. فدرت سماء الشرف عليه. الخلعة التي تتراءى صفحات آلْعَزَّ عَلَى أعطافها، وتمتري مرايا المجد من أطرافها، والحُمْلان الذي تتناول قاصية المُنَى من ناصيته، والمركب الذي تستجدي حُلِي الثريا بحليته، وآلسيفُ والمِنْطَقَةُ الناطقان عن نهاية الإكرام، الناظران قلائد الإنعام. خَلَعُ تخلع قلوب الأعداء عن مقارها، وتغمر نفوس الأولياء بمسارها، وسيفُ كالقضاء مضاءً وحدًا، وكلاقدار غراراً وحدًا، ولوآءُ تخفق قلوب المنازعين إذا خفق، وحُمْلان يصرم منكب الدهر إذا انطلق.

في التهنة بالقدوم

أهنيء نفسي وسيدي لما يسره الله من قدومه سالمًا، وأشكر الله على ذلك

شكراً دائماً. قد أعفيت ظهور ركابه، وآبت البركة بإيابه. جعل الله قدومك مقروناً بالخيرة الثائمة العامة، والكفاية الشاملة الكاملة. غيبة المكارم مقرونة بغيبتك، وأوبة النعم موصولة بأوبتك، فوصل الله قدومك من أكرامه، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة. هناك الله إياك وبلغك محابك، ما زلت أيام غيبتك - لا أوحش الله ربك منك - بذكرك مُستأنساً، وللشوق إليك مجالساً، إلى أن من الله من أوبتك بما عظمت عليّ به النعمة، وجئتُ لذي معه المنحة. ما زلت معك بالنية مُسافراً، وباتصال الفكر وبالذكر مُلاقياً، إلى أن جمع الله شَمْلَ سُروري بؤبتك، وسكنَ نافر قلبي بعودتك، فأسعدك الله بمقدمك سعادة تكون بها للإقبال مُقابلاً، وبالأمانى ظافراً، ولا أوحش منك أوطان الفضل، ورباع المجد، بمنه.

ألفاظ في التهئة بالحج وتفخيم أمر الحج وتعظيم المناسك
والمشاعر

وما يتصل بهما من الأدعية

قَصَدَ البيت العتيق، والمقام الكريم، والمطاف الشريف والملتزم النبيه، والمستلم النزيه، ووقف بالمُعَرَّف العظيم، وورد زمزم والحطيم. حرَّم الله الذي أوسع كرامته، وجعله للناس مثابة، وللخليل خطة، وللذبيح جلّة، ولمحمد ﷺ قبلة، ولأُمته الهادية كعبة، ودعا إليها حتى لبي من كلِّ طَرَفٍ سحيق، وتسرع نحوه من كلِّ فجٍّ عميق. يعود عنه من وُفُق وقد قُبِلَت توبته، وغفرت حَوْبته، وسعدت سفرته، وأنجحت أوبته، وحُمد سَعْيُهُ، وزكا حجه، وتُقْبَل عَجْه وتُجْه. انصرف مولاي عن الحج الذي انتضى له عزائمه، وأنضى فيه رواحله، وأتعب نفسه بطلب راحتها، وأنفق ذخائره، يشتري سعة الجنة وساحتها، قد زُكِيت إن شاء الله أفعاله، وتُقْبَلت أعماله، وشُكر سَعْيُهُ، وبلغ

هَدِيهِ . قَدْ أَسْقَطْتَ عَنْ ظَهْرِكَ الثَّقْلَ الْعَظِيمَ ، وَشَهِدْتَ الْمَوْقِفَ الْكَرِيمَ ،
وَمَحَضْتَ مِنْ نَفْسِكَ بِالسَّعْيِ مِنَ الْفَجِّ الْعَمِيقِ ، إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ . حَمْدًا لِمَنْ
سَهَّلَ لَكَ قَضَاءَ فَرِيضَةِ الْحَجِّ وَالْمَشْعَرِ وَالْمَقَامِ وَبَرَكَةَ أَدْعِيَةِ الْمَوْسَمِ ، وَسَعَادَةَ
أَفْنِيَةِ الْحَظِيمِ وَزَمَزَمَ . قَصْدَ أَكْرَمِ الْمَقَاصِدِ ، وَشَهِدَ أَشْرَفَ الْمَشَاهِدِ . فَوُرِدَ
مَشَارِعَ الْجَنَّةِ ، وَخِيَمَ بِمَنَازِلِ الرَّحْمَةِ . قَدْ خَصَصْتَنِي مَوَاهِبُ اللَّهِ لَدَيْكَ فِي الْحُجِّ
أَدَيْتَ فُرْضَهُ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ وَطْئَ أَرْضِهِ ، وَآلَمَقَامَ الْكَرِيمِ قُتْمَتَهُ ، وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ
اسْتَلَمْتَهُ ، وَزَرْتَ قَبْرَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشَافَهُاً لِمَشْهَدِهِ ، وَمَبَاشِرًا لِمَسْجِدِهِ ،
وَمَشَاهِدًا لِمَبْدِئِهِ وَمَحْضَرِهِ ، وَمَاشِيًا بَيْنَ قَبْرِهِ وَمِنْبَرِهِ ، وَمُصَلِيًا عَلَيْهِ حَيْثُ صَلَّى ،
وَمُتَقَرِّبًا إِلَيْهِ بِالْقَرَابَةِ الْعُظْمَى ، وَعُدَّتْ وَثَوَابُكَ مَسْطُورًا ، وَذَنْبُكَ مَغْفُورًا ،
وَتَجَارَتُكَ رَابِحَةً ، وَالْبَرَكَاتُ إِلَيْكَ غَادِيَةٌ رَائِحَةٌ . تَلَقَى اللَّهُ دَعَاءَكَ بِالْإِجَابَةِ ،
وَاسْتَغْفَارَكَ بِالرِّضَا ، وَأَمْلَكَ بِالنَّجْحِ ، وَجَعَلَ سَعْيَكَ مَشْكُورًا ، وَحَجَّكَ مَبْرُورًا .
عَرَّفَ اللَّهُ مَوْلَايَ مِنْ مَنَاجِحِ مَا نَوَاهُ وَأَتَاهُ ، وَقَصْدِهِ وَتَوَخَّاهُ ، مَا يُسَعِدُهُ فِي دُنْيَاهُ ،
وَيُحْمَدُ عُقْبَاهُ .

فِي أَلْفَاظِ التَّهْنِئَةِ بِالْإِطْلَاقِ مِنَ الْعَبَسِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ الْإِخْلَاصِ ، عَلَى حُسْنِ الْخُلَاصِ . قَدْ فَكَّ مِنْ حَلْقِ الْإِسَارِ
وَأَنْقَذَ مِنْ حَدِّ الشِّفَارِ ، وَأَقْضَى مِنْ ذَلَّةِ رِقِّ ، إِلَى عِزَّةِ عِتْقٍ . مِنْ تَصْلِيَةِ جَحِيمٍ ،
إِلَى بَنَةِ نَعِيمٍ . خَرَجَ مِنَ الْعِقَالِ ، خَرُوجَ السِّيفِ مِنَ الصِّقَالِ ، خَرَجَ مِنْ
إِسَارِهِ ، خَرُوجَ الْبَدْرِ مِنْ سَرَارِهِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَكَّ أَسْرًا ، وَجَعَلَ مِنْ بَعْدِ
عُسْرِ يُسْرًا . خَرَجَ قَمَرُ الْفَضْلِ مِنْ سَرَارِهِ ، وَأَنَارَ فِي فَلَكِ مَدَارِهِ ، خَرَجَ مِنْ
الْبَلَاءِ ، خَرُوجَ السِّيفِ مِنَ الْجَلَاءِ . أُرْخِيَ عَنْهُ ضَيْقَ الْخُنَاقِ ، وَأَطْلَقَ مِنْ أَسْرِ
الْوَثَاقِ . قَدْ جَعَلَ لَهُ مِنْ مَضَائِقِ الْأَمْرِ مَخْرَجًا نَجِيحًا ، وَفِي مَغَالِقِ الْأَحْوَالِ
مَسْرَحًا فَسِيحًا .

التهنئة باقبال شهر رمضان وما يتصل بها من الأدعية

ساق الله إليك سعادة إلهاله، وعرفك بركة كماله. أسهم الله لك في فضله، ووفقك لفرضه ونفله. لَقَّاكَ الله فيه ما ترجوه، ورَقَّاكَ إلى ما تحب فيما يتلوه. جعل الله ما أظلك من هذا الصَّوم مقروناً بأفضل القبول. مُؤْذناً بِدَرْكِ الْبَغْيَةِ ونُجْحِ المَأْمُولِ، ولا أخلاك من بِرِ مرفوع، ودُعَاءِ مسموع. قابل الله بالقبول صيامك، وبِعَظِيمِ المَثُوبَةِ تهجِّدك وقيامك. عرفك الله من بركاته ما يُرَبِّي عَلَى عددِ الصَّائِمِينَ وَالْقَائِمِينَ، ووفقك لِتَحْصِيلِ أَجْرِ المَتَّهِدِينَ المَجْتَهِدِينَ. أسأل الله أن يُضَاعِفَ يُمنه لك، ويجعله وسيلةً مقبولةً إلى مرضاته عنك. أعاد الله إلى مولاي أمثاله، وتقبَّلَ فيه أَعْمَالَهُ، وأصلح في آلدين والدُّنيا أحواله، وبلغه منها آماله. أسعده الله بهذا الشهر، ووفاه فيه أَجْزَلَ المَثُوبَةِ والأَجْرِ، ووفَّرَ حَظَّهُ من كلِّ ما يرتفع من دُعَاءِ الدَّاعِينَ، وينزل من ثوابِ العاملين، وتقبَّلَ مساعيه وزكاها، ورفع درجاته وأَعْلَاهَا، وبلغه من آمال مُنتَهَاهَا، وأظفَره بآبَعْدَهَا وأَقْصَاهَا.

الأدعية في التهنئة بالعيد

عَاوَدَتْكَ السُّعُودُ، ما عاد عيد وأخضر عود. عاد السرور إليك في هذا العيد، وجعله الله مُبَشِّراً بِالْجَدِّ السَّعِيدِ، والخير العَتِيدِ، والعمر المَدِيدِ، جعلك الله من كلِّ ما دُعي ويُدعى به في الأعياد، آخِذاً بِأَكْمَلِ الحِظُوظِ والأَعْدَادِ، أَفْطَرَ وَأَكْبَادَ أَعْدَائِكَ تَنْفَطِرَ، والدُّنْيَا بِعَيْنِكَ تَنْظُرَ وبِالسُّعُودِ تَبْشُرَ. أسعد الله سيدي بهذا العيد سعادةً تُوفِّرُ من الخير أَقْسَامَهُ، وتَقْصُرُ عَلَى النُّعْمَى أَيَّامَهُ، وتحقِّقَ آماله، وتزكي أَعْمَالَهُ. جعل الله أَيَّامَهُ تَوَارِيخَ وَأَعْيَاداً، وجعل له السَّعَادَاتِ آماداً وأَمْدَاداً.

ما يختص منها بالاضحى

يا أَكْرَمَ من أَمْسَى وأَضْحَى، سَعِدْتَ بِطَلْعَةِ الأَضْحَى. عرفك الله فيه من

السَّعَادَاتِ مَا يُرَبِّي عَلَى عِدَدٍ مِنْ حِجٍّ وَأَعْتَمَر، وَسَعَى وَنَحَرَ، وَمَا يُرَبِّي عَلَى عِدَدٍ مِنْ حِجٍّ، وَعَجَّ وَثَجَّ. أَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِهَذَا الْعِيدِ سَعَادَةً تَجْمَعُ بِهِ حِظُّوهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَمُصَالِحَ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَجَعَلَ أَعَادِيهِ كَأَصْحَابِهِ، وَأَوْلِيَاءَهُ الْمُسْرُورِينَ الْمَحْبُورِينَ فِيهِ، وَقَضَى لَهُ بِكَفَايَةِ الْمَهْمِ، وَالْحَيَاةِ مِنَ السُّوءِ الْمُلَمِّ.

التهنئة بالنيروز وفصل الربيع

هذا اليوم من الأيام، كسيدنا في الأَنَامِ. هذا اليوم غُرَّةٌ فِي وَجْهِ الدَّهْرِ، وَتَاجٌ عَلَى مَفْرَقِ الْعَصْرِ. أَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِنِيرُوزِهِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ، وَأَعَادَهُ كَيْفَ شَاءَ مَا شَاءَ إِلَيْهِ. أَسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدَنَا بِالنَّيْرُوزِ الطَّالِعِ عَلَيْهِ بِبَرَكَاتِهِ، وَأَيَّمَنَ طَائِرُهُ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِ وَمُتَصَرِّفَاتِهِ، وَلَا زَالٍ يَلْبَسُ الْيَوْمَ فُيْلِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ، وَيَقْطَعُ مَسَافَةً سَعْدَهَا وَنَحْسَهَا وَهُوَ سَعِيدٌ. أَقْبَلَ النَّيْرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِراً حُلَّهُ الَّتِي اسْتَعَارَهَا مِنْ شِيْمَتِهِ، وَمُبْدِئاً حُلِّيهِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ، وَمُسْتَصْحَباً مِنْ أَنْوَارِهِ مَا أَكْتَسَاهُ عَنْ مُحَاسِنِ أَيَّامِهِ، وَمِنْ أَمْطَارِهِ مَا أَقْتَبَسَهُ عَنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَمُؤَكِّدَ الْوَعْدِ بِطُولِ بَقَائِهِ حَتَّى يُمَلِّىَ الْعُمُرَ، وَيَسْتَغْرِقَ الدَّهْرَ. سَيِّدُنَا الرَّبِيعُ الَّذِي لَا يَذْبُلُ شَجَرُهُ، وَلَا يَنْقُطِعُ ثَمَرُهُ، وَلَا يُفْلَعُ غَمَامُهُ، وَلَا تُبْتَدَلُ أَيَّامُهُ، فَاسْعَدَهُ اللَّهُ بِهَذَا الرَّبِيعِ الْمُتَشَبِّهِ بِأَخْلَاقِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْلِ قَدْرَهَا وَلَمْ يُحْصَلْ فَضْلُهَا، وَلَمْ يَجِدْ بَدْءاً مِنَ الْإِقْرَارِ لَهَا. سَيِّدُنَا الرَّبِيعُ الَّذِي يَتَّصِلُ مَطَرُهُ، مِنْ حَيْثُ يُؤْمَنُ ضَرَرُهُ، وَيَدُومُ زَهْرُهُ، مِنْ حَيْثُ يُتَعَجَّلُ ثَمَرُهُ. فَلَا زَالٍ أَمراً نَاهِياً، سَامِياً عَالِياً، تَهْنِئاً الْأَعْيَادَ بِمُصَادَفَةِ سُلْطَانِهِ، وَتَسْتَفِيدَ الْمُحَاسِنُ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ. أَسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدَنَا بِهَذَا النَّيْرُوزِ الْحَاضِرِ، وَالْيَوْمِ الْجَدِيدِ النَّاضِرِ. سَعَادَةٌ تَسْتَمِرُّ لَهُ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِ عَلَى الْعُمُومِ دُونَ الْخُصُوصِ، لِتَكُونَ مُشْتَبِهَاتٍ فِي أَكْتِنَافِ الْمَوَاهِبِ لَهَا، وَاتِّصَالِ الْمَسَارِّ فِيهَا، لَا تَفْرُقُ إِلَّا بِمَقْدَارٍ يَزِيدُ الْآتِي، عَلَى الْخَالِي، وَتَدْرُجُ الْآتِي، إِلَى الْمَاضِي.

التهنئة بالمهرجان

عرّف الله سيدنا بركة هذا المهرجان، وأسعده فيه وفي كلّ أوانٍ وزمان وأبقاه ما شاء في ظلّ الأمان والأمان. هذا اليوم من محاسن الدّهور المشهورة، وفضائل الأزمنة المذكورة، فلقى الله سيدنا بوروده، وأجزل حظّه من أقسام سعوده. هذا اليوم من غُرّه الدّهور، ومواسم السُّرور، مُعَظَم في الأصل الفارسي، مستطرف بالملك العربي. فوفّر الله فيه على مولاي السُّعادات، وعرفه في سائر أيامه البركات، على الساعات واللحظات.

اقامة رسم الهدية في الثيروز والمهرجان وغيرهما من الأيام الغر بمثل هذا اليوم الجديد، والأوان السعيد، سنّة على مثلي فيها أن يُهدي ويُلاطف، وعلى مثل سيدنا ولا مثل له أن يقبل ويُشرف. لليوم رسمٌ إن أُخل به الأولياء عُدّ هفوة، وإن منع منه الرؤساء حُسب جفوة، ومولاي يسوغني الدّالة فيما أقترن بالرقعة، ويكسبني بذلك أتمّ التّشرف والرفعة، الهدايا تكون من الرؤساء مكاثرة بالفضل، ومن النظراء مقارضة بالمثل، ومن الأولياء ملاطفة. بالقل، وقد سلكت مع مولاي في إقامة رسم هذا اليوم سبيل أهل طبقتي من الأتباع، مع أهل طبقتي من الأرباب. قد حملت إلى مولاي هدية الملاطف، لا هدية المحتفل، والنفس له والمال منه. العبيد تلاطف ولا تكاثر الموالى في هداياها، والموالى تقبل الميسور منها قبولاً محسوباً في عطاياها. أنا في المودة لمولاي كنفسه، وفي الطاعة كيدّه، وفي الاختصاص به كأحد أهله، وإنما أطفه من فضله، وقد بعثت بما يستخدمه في سفره.

اهداء أهل الدفاتر وآلات الكتاب والآداب والعلوم

حضرة مولاي تجل أن يُهدي إليها غير الكتب التي لا يترفع عنها كبير، ولا يمتنع منها خطير. قد أفكرت فيما أتقرب به مقيماً الرّسم في جملة الخدم،

حافظاً الاسم في غمار الحشَم. فلم أجد إلا الرّق الذي سبق ملكه له،
والمال الذي منحه وخوّله، فعدلت إلى الأدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا
ولا تكسُد، وتهبُّ ريحه في جنبه ولا تركد، وأنفذت كتاب كذا راجياً أن
أشرف بقبوله، ويوقّع إلي بحصوله. لما حظر على ذوي الاختصاص سيدنا
إهداء ما جرت العادة بتسامي الأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه، وجب العدول
في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع ما صدر عنه من الرخصة في ما تسهل كُلفته،
وتجلُّ عند ذوي الاخطار قيمته، وتحلو ثمرته، وهو علم يُقتنى، وأدب
يجتنى.

آخر كتاب ألتهاني والتّهادي وما ينخرط في سلكهما، والله الحمد
وبه الحول والقوة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التعازي

وما يليق بها

وصف الخبر الهائل المزعج

خبرٌ عزَّ عليَّ مَسْمَعُهُ، وأثر في القلب مَوْقِعُهُ. خبرٌ تستك له أَلَمُ سَامِعٍ، وترتجُّ له الأضالع. خبرٌ تسقط منه الحَبَالِي، وتصحو له أَلْسُكَارَى. خبرٌ ما تلتقي شفتاي بذكره، ولا يثبت بالي بخطرهِ. خبرٌ يَهْدُ الرُّوَاسِي، ويفلق الحجر القاسي. خبرٌ كادت له أَلْقُلُوبٌ تطير، وأَلْعُقُولٌ تطيش، والنُّفُوسُ تطيح. خبرٌ يخفض الناظر ويُقْذِيهِ، ويقبض الأمل ويقدح فيه. خبرٌ أخرج الصُّدْرَ، وأحلَّ البُكَاءَ وحرَّم الصُّبْرَ، وأطار واقع السكون، وأثار كَامِنَ الوجوم، وثقلت وطأته على أجزاء النفس، وتآدت مَعَرَّتُهُ إلى سوء القلب. خبرٌ يُشِيب الوليد، ويذيب الحديد.

الكناية عن موت الرؤساء والأعزة

انقضت أيامُهُ، استأثر الله به. انتقل إلى جوار ربِّهِ. انقلب إلى كرامة الله وعفوه. خانه عمره. لم تَسْمَحِ النَّوَائِبُ بِالتَّجَافِي عَنْ مُهْجَتِهِ. أجاب داعي ربِّهِ. نفذ قضاء الله فيه. لحق بالسبيل التي لا احتزار منها، ولا مجاز عنها. قبضه الله إليه. أسعده الله بجواره. دعاه الله فأجاب دُعَاءَهُ، ولَبَّى نِدَاءَهُ. نقله الله إلى دار رضوانه، ومحل غُفْرَانِهِ. ناداه الله فلَبَّاهُ وفارق دُنْيَاهُ. قضت عليه

المشيئة، فارتجعت تفي العطية، وخانتها الأمانة، واستأثرت به المنية. كتبت له سعادة المحتضر، وأنهى به الأمر إلى الأجل المنتظر. علةً ترامت به إلى أنقضاء نَحْبِهِ، ولقاء ربه. طَرَفَهُ طَارِقُ الْمَقْدَارِ، واختار الله له النقلة من دار البوار إلى دار القرار. تداولته العِلَلُ المتطاولة، وآلت به إلى ما كل نفسٍ إليه آيله. أفضى من غضارة هذه الدنيا، إلى قرارة داره بالآخري.

ذكر النعي بالفقد

قد كان من الحق أنه تنقبض الألسن عن هذا النعي لفادح وتخرس، وتقصّر الأيدي عن التّعزية بهذا الرّزء الفادح وتيس، يا سوء صباحٍ أتى فيه الخبر فرأينا الرّجاء قد أنقطع، وأصم به النّاعي وقد أسمع. نعيّ ورد فأكمد وفجع. ناعي الفضائل قائم، وأنف المحاسن راغم. نُعيّ من لا أسميه إكباراً، ولا أكنيه إعظاماً. فحقيقٌ هو بأن تخرس نعاةً فقده، وتحرم رسوم التعازي من بعده.

نعي الملوك والأجلة وذكر سوء آثار المصائب فيهم

أتى الناعي بانهداد الطّود المنيع، وزوال الجبل الرّفيع. قد نَعَتَهُ السَّمَاءُ صائحة، والأرض نائحة. كتبت والأرض راجفة، والشّمسُ كاسفة، للرّزء العظيم، والمصاب الجسيم، في فَلَكِ الْمُلُكِ، ورُكنِ المجد، وقريع الشّرق والغرب. ماعسى أن يقال في أَلْفَلَكِ الْأَعْلَى إذا آنهار من جوانبه، وتهافت من مناكبه. أتى الناعي، ونُذِبَتِ المساعي، وقامت بواكي المجد، وكُسِفَتِ شمس الفضل، وعاد النّهار أسود، وألّعيش أنكد. غرب بموته نجم الفضل، وكسدت سوق الأدب، وقامت نَوَادِبُ السّماحة، ووقف فَلَكُ الْكَرَمِ، وَلَطَمَتِ عليه المحاسن خُدودها، وشقّت عليه المناقب جيوبها. قد كانت الرّزية بحيث مارت السّماء مَوراً، وسارت الجبال سَيراً، حتى شوهدت الكواكب

ظُهِرَا، ثُمَّ تَهَاوَنَتْ شَفَعَاوُتَرَا. قَبَضَهُ اللَّهُ فَارْتَاعَتِ الْأَمَّةُ، وَأَنْبَسَطَتِ الظُّلْمَةُ، وَوَقَفَتِ الرَّحْمَةُ وَأَضْطَرَبَتِ الْمَلَّةُ، وَقَامَتِ نَوَادِبُ الْمَجْدِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مِنْ آلِ الْقِيَامَةِ عَلَى وَعْدٍ. إِنَّ الْمُصَابَ بِهِ فَتَّ الْأَعْضَادَ، وَفَتَّتِ الْأَكْبَادَ. إِنَّ الْمَجْدَ بَعْدَهُ لِحَارِي الدَّمْعِ، وَإِنَّ الْفَضْلَ لِمَزْعَجِ النَّفْسِ، وَإِنَّ الْكَرْمَ لِحَرَجِ الصَّدْرِ، وَإِنَّ الْمَلِكَ لَوَاهِي الظَّهْرِ. كِتَابِي وَأَنَا مِنَ الْحَيَاةِ مُتَذَمِّمٌ، وَبِالْعَيْشِ مُتَبَرِّمٌ. بَعْدَ مَا هَوَى السُّطُودَ الشَّامِخَ، وَزَالَ الْجِبَلَ الْبَاذِخَ، وَنَطَقَتِ نَوَادِبُ الْمَجْدِ، وَأُقِيمَتِ مَا تَمَّ الْفَضْلُ. نُعِي فَلَا نَفْتَنَكَرَ وَجْهَ الدَّهْرِ، وَقُبِضَتْ مُهْجَةُ الْعَزِّ وَالْفَخْرِ. فَلَا قَلْبَ إِلَّا قَدْ تَبَيَّنَ صَدْعُهُ، وَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهِيَ تَرْشَحُ بِالْذَّمِّ.

ما يختص من ذلك بأبناء النبوة

قَدْ نُعِي سَلِيلٌ مِنْ سُلَالَةِ النَّبُوَّةِ، وَفَرَعٌ مِنْ شَجَرَةِ الرِّسَالَةِ، وَعُضْوٌ مِنْ أَعْضَاءِ الرُّسُولِ، وَجُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْوَصِيِّ وَابْتَوَلِ، كَتَبْتُ وَلِيْتَنِي مَا كَتَبْتُ فَإِنِّي نَاعِي الْفَضْلَ مِنْ أَقْطَارِهِ، وَدَاعِي الْمَجْدَ إِلَى شِقِّ ثَوْبِهِ وَصِدَارِهِ، وَمَخْبِرٌ بِأَنْ شَمْسُ الشَّرَفِ كَاسِفَةٌ، وَأَرْضُ الْكَرْمِ رَاجِفَةٌ، وَالْمَأَثَرُ مَوْدَعَةٌ، وَبَقَايَا النَّبُوَّةِ مُرْتَفَعَةٌ، وَأَمَالُ الْإِمَامَةِ مُنْقَطِعَةٌ، وَالْدِّينُ مُنْخَزَلٌ وَاجِمٌ، وَلِلتَّقْوَى دِمْعَانٌ هَامٍ وَسَاجِمٌ. كِتَابِي وَقَدْ شَلَّتْ يَمِينُ الدَّهْرِ، وَفُقِّتْ عَيْنُ الْمَجْدِ، وَقُصِرَ بَاعُ الْفَضْلِ، وَكَسَفَتْ شَمْسُ الْمَسَاعِي، وَخَسَفَتْ قَمَرُ الْمَعَالِي، وَتَجَدَّدَ فِي بَيْتِ الرِّسَالَةِ رُزْءُ جَدِّدِ الْمَصَائِبِ، وَاسْتَعَادَ النُّوَابِثُ، كُلُّ هَذَا لِفَقْدِ مِنْ حَطَّ الْكَرْمُ بِرَبْعِهِ ثُمَّ أُدْرِجَ فِي بُرْدِهِ، وَامْتَزَجَ الْمَجْدُ فَدُفِنَ بِدَفْنِهِ. إِنَّهَا الْمَصِيبَةُ عَمَّتْ بَيْتَ الرِّسَالَةِ، وَغَضِبَتْ طَرْفُ الْإِمَامَةِ، وَتَحَيَّفَتْ جَانِبُ الْوَحْيِ الْمَنْزَلِ، وَأَذْكَرَتْ بِمَوْتِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ. كَتَبْتُ تَنْعِي مُهْجَتَهُ وَالْمَجْدَ يَنْدُبُ بِهَجَّتِهِ، وَمَهَابِطُ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ تَحْنِي ظُهُورَهَا أَسْفًا، وَمَعَادُنُ الْوَصِيَّةِ وَالْإِمَامَةِ تَذْرِي دُمُوعَهَا لَهْفًا، وَذَاكَ لِأَنَّ حَادِثَ قَضَاءِ اللَّهِ آسَتْ أَثَرُ بَفْرِعِ النَّبُوَّةِ، وَعُصْرُ الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ.

ذكر البكاء

كُتِبَتْ وَأَلْحِشَاءَ مُحْتَرَقَةً، وَأَلْجَفَانِ بِمَائِهَا غَرَقَةً. الدَّمْعُ وَاكْفُ، وَالْحُزْنُ عَاكِفٌ. مُصَابٌ أَطْلَقَ أَسْرَابَ الدُّمُوعِ وَفَرَقَهَا، وَأَقْلَقَ أَعْشَارَ الْقُلُوبِ وَأَحْرَقَهَا. مُصَابٌ فَضَّ عُقُودَ الدُّمُوعِ، وَشَبَّ النَّارَ بَيْنَ الضَّلُوعِ. مُصَابٌ أَذَابَ الدُّمُوعَ أَلْجَامِدَةً، وَأَلْهَبَ أَلْهَمُومَ أَلْخَامِدَةً. تَحَلَّبَتْ سَحَابَاتُ الدُّمُوعِ الْغِزَارَ، وَأَنْسَدَتْ مَسَالِكَ أَلْسُكُونٍ وَأَلْأَسْتَقْرَارٍ. كُنِبَتْ عَنْ عَيْنٍ تَدْمَعُ، وَقَلْبٍ يَجْزَعُ. وَنَفْسٍ تَهْلَعُ. قَدْ أَذَلَّتْ حَصُونِ الْبَرَّةِ، وَحَجَبَتْ وَافِدَ الْحَبْرَةِ. قَدْ مَدَّ الْهَمُّ إِلَى جِسْمِي يَدَ السُّقْمِ، وَجَرَّ الدَّمْعُ عَلَى خَدَيَّ ذُبُولِ الدَّمِّ. لَوْلَا أَنَّ الْعَيْنَ بِالدَّمْعِ وَالْأَلَمِ انْطَقَ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ وَقَلَمٍ، لَأَخْبِرْتَ عَنْ بَعْضِ مَا أَوْهَنَ ظَهْرِي، وَأَوْهَى أَرْزِي.

ذكر الاستراحة بالبكاء والمجزع

إِنْ أَلْفَجِيعَةٌ إِذَا لَمْ تُحَارَبْ بِجَيْشٍ مِنَ الْبُكَاءِ، وَلَمْ يُخَفَّفْ مِنْ أَثْقَالِهَا بِالنَّشِيجِ وَالْأَشْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاوُهَا، وَزَادَتْ أَعْيَاوُهَا، وَعَزَّ وَأَعُوزَ دَوَاوُهَا. قَدْ شَفِيتُ غَلِيلِي بِمَا أَسْتَدْرَرْتَهُ مِنْ أَسْرَابِ الدُّمُوعِ الْمُتَحِيرَةِ، وَخَفَّفْتُ عَنِي بَعْضَ أَلْبُرْجَاءِ بِمَا أَمْتَرَيْتَهُ مِنْ أَخْلَافِهَا الْمُتَحَدِّرَةِ. إِنْ فِي إِسْبَالِ الْعَبْرَةِ، وَإِطْلَاقِ الزُّفْرَةِ، وَأَلْأَجْهَاشِ بِالْبُكَاءِ وَالنَّشِيجِ، وَإِعْلَانِ الصِّيَاحِ وَالضُّجُجِ تَنْفِيسًا مِنْ بُرْحَاءِ الْقُلُوبِ، وَتَخْفِيفًا مِنْ أَثْقَالِ الْكُرُوبِ.

وصف عظم المصيبة وثقل وطأتها

أَتَى أَلْدَهْرُ بِمَا هَدَّ أَلْأَصْلَابَ، وَأَطَارَ الْأَلْبَابَ مِنْ أَلْنَازِلَةِ الْهَائِلَةِ، وَأَلْفَجِيعَةِ الْفُطَيْعَةِ. يَا لَهَا مِنْ حَادِثَةٍ كَارِثَةٍ حَسَّنَتْ لِي أَلْغُلُوفِي أَلْأَعْتِمَامَ، وَأَذَكَّرْتَنِي بِفَقْدِ أَلْأَعْزَةِ وَالْأَعْمَامِ. رُزُّهُ أَضْعَفَ أَلْعِزَائِمَ الْقُوَّةِ، وَأَبْكَى الْعَيُونَ الْبَكِيَّةَ، مُصِيبَةً زَلَزَلَتْ أَلْأَرْضَ، وَهَدَمَتْ الْكِرَامَ الْمَحْضَ. مُصِيبَةٌ سَلَبَتْ أَلْأَجْفَانَ كِرَاهَا، وَأَلْأَبْدَانَ قُوَاهَا. فَجِيعَةٌ لَا يُدَاوِي كَلِمَهَا آسٌ، وَلَا يَسُدُّ ثَلْمَهَا تَنَاسٌ. مُصِيبَةٌ

أَلَمْتُ فَالَمْتُ، وَثَمَلْتُ فَكَلَمْتُ، وَتَرَكْتُ النُّفُوسَ مُوَلَّهَةً، وَالْعُقُولَ مُدْلَهَةً. رُزْءُ هَضٍّ وَهَاضٍ، وَأَطَالُ الْانْخِزَالِ وَالانْخِفَاضِ، وَلَمْ يَرْضَ بَأَنْ فَضَّ الْأَعْضَاءَ حَتَّى أَفَاضَ الدِّمَاءَ. رُزْءُ مَلَأَ الصُّدُورَ ارْتِياعاً، وَقَسَمَ الْأَلْبَابَ شِعَاعاً، وَتَرَكَ الْعُقُولَ مَجْرُوحَةً، وَالذُّمُوعَ مَسْفُوحَةً، وَالْقَوَى مَهْدُودَةً، وَطُرُقَ الْعِزَاءِ مَسْدُودَةً، وَرُزْءُ نَكَأَ الْقُلُوبَ وَجَرَحَهَا، وَأَحْرَ الْأَكْبَادَ وَأَقْرَحَهَا. مُصِيبَةٌ أَقْرَحَتْ الْأَكْبَادَ، وَأَوْهَنْتِ الْأَعْضَادَ، وَسَوَدَتْ وَجُوهَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي، وَأَعَادَتْ الْأَيَّامَ فِي صُورِ اللَّيَالِي.

ذَكَرَ الْانْخِزَالَ وَكَسُوفَ الْبَالِ وَالْجِزْعَ وَالتَّوَجُّعَ وَالْاِكْتِثَابَ لِحَادِثِ الْمَصَابِ
كَتَبْتُ عَنْ أَجْفَانٍ شَرِيقَةٍ بِالدُّمُوعِ، وَنِيرَانٍ مُتَّقَدَةٍ بَيْنَ الْأَحْشَاءِ وَالضُّلُوعِ،
وَبِنَانٍ تَوَدُّ لَوْ بَانَتْ قَبْلَ أَنْ تَخْطُ بِذِكْرِ نَازِلِ الْخُطَّةِ، وَنَفْسٍ أَشَاطَتْ بِهَا بِلَابِلُ
الْهَمُومِ الْمُشْتَبَّةِ. كَتَبْتُ وَالنَّفْسُ فِي شِدَّةِ الْانْخِزَالِ وَالْكَمْدِ، وَفَقَدَ الْأَصْطِبَارُ
وَالْجَلْدَ، عَلَى مَا لَا يَسْتَطَاعُ ذَكَرُهُ، فَكَيْفَ يُتَحَمَّلُ ثِقَلُهُ. مَا لِي يَدٌ تَخْطُ إِلَّا
بِكَلْفَةٍ، وَلَا نَفْسٌ تَتَرَدَّدُ إِلَّا عَلَى غُصَّةٍ، وَلَا عَيْنٌ تَنْظُرُ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ قَذَى، وَلَا
صَدْرٌ يَنْطَوِي إِلَّا عَلَى أَذَى. الدُّمُوعُ وَالكِفَّةُ، وَالْقُلُوبُ وَالجَفَّةُ، وَالْهَمُ وَارِدٌ،
وَالْأَنْسُ شَارِدٌ، وَالنَّاسُ مَاتِمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ، ابْنُ مَنِي كُنْدَةٌ تَأْسَفُ عَلَى حُجْرٍ،
أُمُّ الْخِنْسَاءِ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ. كَمْ غُبْرَةٍ وَزَفْرَةٍ، وَأَنْثَةٍ وَحَسْرَةٍ، وَكَمْ تَمَلُّمٍ
وَأَصْطِرَابٍ، وَكَمْ أَشْتَعَالَ وَالتَّهَابِ. مُصِيبَةٌ أَصْبَحَتْ لَهَا وَقِيدُ غُصَّةٍ، وَأَخِيذُ
كُرْبَةٍ، مَا أُمُّ سَبْعَةٍ رَكَبُوا الْجِيَادَ، وَشَهَرُوا السِّيُوفَ الْحَدَادَ نَعُوا إِلَيْهَا قَتِيلًا بَعْدَ
قَتِيلٍ، وَغَرَضُوا عَلَيْهَا صَرِيحاً بَعْدَ صَرِيحٍ، بِأَشَدِّ مَنِي انْخِزَالٍ وَأَضْعَفَ بَالَا،
وَأَصْدَقَ تَقَلُّقًا، وَأَكْثَرَ تَمَلُّمًا. مَلِكُ الْجِزْعِ صَبْرِي وَعِزَائِي، وَجَعَلَ نَازِرِي
فِي إِسَارِ بُكَائِي، فَالْقَلْبُ دَهْشٌ، وَالْبِنَانُ مُرْتَعَشٌ، وَأَنَا مِنْ الْبَقَاءِ مُسْتَوْحِشٌ.
كَتَبْتُ عَنْ قَلْبٍ يَزِيدُ وَلَا يَفْتُرُ، وَجَزَعٍ يَتَضَاعَفُ وَلَا يَضْعَفُ. انْتَهَى بِنُ الْهَلَعِ
إِلَى حَيْثُ لَا النَّاسِي مُصْحَبٌ، وَلَا الْتَنَاسِي مُصَاحِبٌ. انْزِعَاجٌ يَحُلُّ عُقُودَ

الحزم، وأكتئاب يَنْقُضُ شُرُوطَ العزم. قد بلغ الْحُزْنَ مَنِّي مبلغاً لم أَبْذله للنوائب وإن جَلَّتْ وقعاً، وبلغ مني مثلاً لم يُؤمله طُرُوقُ المصائب وإن عظمت فجعاً. كتبتُ عن اضطراب نفس، واضطراب صدر، والتهاب قلب، وأنتهاب صبر.

التأبين والندبة

ما أعظمه مفقوداً، وأكرمهُ ملْهُوداً. إني لأنوح عليه بنوح المناقب، وأرثيه مع النُجوم الثَّواقب، وأبكيه مع المحاسنِ وَالْمَعَالِي، وأثنى عليه بثناء المآثر والمُسَاعِي. ليت يمين الدَّهرِ شَلَّتْ قبل أن فتكت بِمُهْجَةِ الْفَضْلِ، وعين الزمان كُفَّتْ قبل أن رأت مصرع الفخر. لقد رُزْنَا من فلانٍ عالماً في شخص، وأُمَّةً في نفس. مضى وَالْمَحاسن تبكيه، وَالْمناقب تعزى فيه، لَمَّا قَرَّتْ به العُيُونُ، أَسْخَنَتْ فيه المَنُونُ، ولما أنشِرت به الصُّدُورُ، قبضها لفقدته المَقْدُورُ. عَلَى المحاسن من بعده الْعَفَاءُ، ولا أنبت الأَرْضُ ولا جادت السماء. قد ركب الأعناق، بعد الْعِتَاقِ، وعلا الأجياد، بعد الجياد، وفاح فتيتُ المسك من سآثره، كما كان يفوح من مجامره. كان منزله مآلف الأضياف، ومأنس الأشراف، ومنتجع الرُّكبِ، ومَقْصِدُ الْوَفْدِ. فَاسْتَبَدَّلَ بِالْأَنْسِ وحشةً، وبالنضارة عُبرةً، وبالأضيَاءِ ظُلْمةً، واعتاض من تراحم المواكب تلادم المآتم، ومن ضجيج النداء والصهيل، عجيج البكاء والعيول. هذي المكارم تبكي شَجْوَهَا لفقدته، وتلبس حِدادها من بعده، وهذه المحاسن قد قامت نواذبها مع نواذبه، وأقترنت مصائبها بمصائبه. ما أَقْبَحُ الْعِيشِ من بعده، وما أنكر الْعَمْرُ مع بعده.

في أن الفدية لا تغني

لو قُبِلَتْ في فلان ألفدية لَوْفَيْتَهُ بنفسِي، وأيام عمري. علما بأن العيش

بمثله من إخوان الصفاء يصفو، وبظعنه عن الدنيا يَكْدُر ويَجْفو. لو أمكن
آفتدأوه بأنفس الذخائر، وأعز الاملاك والممالك لكنا أحقاء بإرخاص كلّ علق
نفيس، وبذل كلّ مُلك كريم. لو وُقي منه عزيز قوم لعزّته، أو كبيرُ أهل بيت
بولده وأسرته، أو قوي سلطان باستطالته وقُدْرته، أو زعيم دَوْلَة بحشده وعدده
لكان الماضي أولى من فُدي، وأحقّ من وُقي، وكُنّا أقدر الناس على دفع ما
حدث وطرق، وذُبّ ما كَرِث وأرْهق، لكنه الأمرُ المُسوى فيه بين من عزّ جانبه
وذَلّ، وكَثُر ماله وقَلّ، حتى تأسى المفضول بالفاضل، والناقص بالكمال.

ما يقع من كتب التعازي من وصف الدهر

هو الدهر فلا تعجب من طواره، ولا تنكر هجوم بوائقه، عطاؤه في ضمان
الارتجاع، وجبأؤه في قران الانتزاع. الدهر ما عرفت، وعلى ما خبرت، فلا
نُكر إذا فجع بالذخائر، ولا غرّو إذا استأثر بالأخاير. هو الدهر وعلاجه الصبر
لا تهناً فيه المواهب، حتى تتخلّلها المصائب، ولا تصفو فيه المشارب، حتى
تكدرها الشوائب. من عَرَف الزّمان، لم يستشعر منه الأمان، وتصور تصرّف
الحوادث بين المورث والوارث. الدهر مشحون بطوارق الغير مشوب صفو
أيامه بالكدر، مجروح صابئه بالعسل، موصولة حبال الأمل فيه بأسباب
الأجل، يَفْطَم أمام تكامل الرّضاع، ويفرق قبل الامتاع بحُسن الاجتماع. هي
الأيام ترتجع العارية، وتتلقي بالمنية الأمنية.

ما يقع فيها من ذكر الدنيا وذمها

قد جعل الله الدنيا دار قُلعَة، ومحل نُقلَة. فمن راحل ليومه، ومن مدّعٍ
لغده، وكلُّ مُستوفٍ لأجله، وجارٍ لأمّله. ما الدنيا إلا دارُ النقلة، وما المقام
فيها إلا للرحلة. إن المرءَ حقيقٌ إذا طرقه ما يتحيف صبره، ويتطرف صدره أن
يعود إلى علمه بالدنيا، كيف نُصبت على النقلة، وجُنِبَتْ طول المُهلة،

وَأَبْدُنْتُ لِلنَّفَادِ، وَشُفِعَ كَوْنُهَا بِالْفَسَادِ، وَإِنْ الثَّأَوِي بِهَا رَاحِلٌ، وَالْأَيَّامُ فِيهَا
مَرَّاحِلٌ. مَوْهَبُ الدُّنْيَا مَسْلُوبٌ، وَإِنْ أُرْجِىءَ إِلَى مَهَلٍ، وَمَمْهُودَهَا مَحْرُوبٌ،
وَإِنْ أُخِرَ إِلَى أَجَلٍ. لَوْ خَلَدَ مِنْ سَبَقٍ لَمَا وَسَعَتِ الْأَرْضُ مِنْ لَحَقٍ، وَلِذَلِكَ
جُعِلَتِ الدَّارُ الْأُولَى مَنْزِلَ قُلْعَةٍ، وَمَحَلُّ نُجْعَةٍ، وَمَجَازاً إِلَى أُخْرَى تَزِيدُ، وَلَا
تَبِيدُ. خَيْرُهَا عَتِيدٌ، وَعَمَرُهَا تَأْيِيدٌ. نَحْنُ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَفَازٍ، وَمَجَازٍ وَجِدَارٍ
وَأَنْتَظَارٍ. الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَفْرَحْ بِمَوَاهِبِهَا، وَلَمْ يَتَضَاعَلْ لِنَوَائِبِهَا، وَلَمْ يَرِ شِيَاطِلَهَا
(كَذَا) إِلَّا كَالْخِيَالِ الْمِلْمِ، وَالْفِيءِ الْمُنْتَقِلِ، وَالْعَارِيَةِ الْمُرْتَجِعَةِ، وَالسَّحَابِ
الْمُتَشَقِّعَةِ، مَا تَصْنَعُ بِهِذِهِ الْغَدَارَةُ الْغَرَارَةُ؟ وَهِيَ تَرْتَجِعُ أَعَزَّ مَا تُعْطِي، وَتَنْتَزِعُ
أَحَبَّ مَا تُؤْتِي. قَدْ تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبِهَا، وَأَصْغَرَ
ذُنُوبَهَا فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ يَمَنَةً هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً؟ ثُمَّ لِيَعْطِفَ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا
خَسْرَةً؟

الامر بالصبر والنهي عن الجزع

لَوْ كَانَ فِي الْجَزَعِ فَضْلٌ لَمَا تَقَدَّمَتْ فِيهِ ذَوَاتُ الْحُجُولِ وَالْحِجَالِ، عَلَى
الْفُحُولِ مِنَ الرِّجَالِ. مَا تَضَعُ وَالْقَضَاءُ نَازِلٌ، وَالْمَوْتُ حُكْمٌ شَامِلٌ، وَإِنْ لَمْ
نَلِدْ بِعِصْمَةِ الصَّبْرِ، فَقَدْ أَعْتَرَضْنَا عَلَى مَالِكِ الْأَمْرِ. اعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لِلرَّبِّ
مُسْخَطَةٌ، وَلِلْأَجْرِ مَحْبُطَةٌ. عَلَيْكَ عَزِيمَةُ الصَّبْرِ، وَصَرِيمَةُ الْجُلْدِ، فَإِنَّهُمَا فِي
الْعَيْنِ حُتْمٌ، وَفِي الرَّأْيِ حَزْمٌ، وَلَيْسَ فِي خِلَافِهِمَا لِلْحَيِّ انْتِفَاعٌ، وَلَا لِلْمَيِّتِ
ارْتِجَاعٌ. اعْلَمْ أَنَّ الْمَتَوَفَّى لَا تَرْدَهُ نَارٌ تُلْهَبُهَا مِنَ الْهَمِّ عَلَى كَيْدِكَ، وَلَا يُرْجَعُهُ
انْتِزَاعُ تَسْلُطِهِ بِالْحُزْنِ عَلَى جِسْدِكَ، وَخَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ
الدَّاكِرُونَ، وَتَقُولَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ شَوَائِبَ الدَّهْرِ لَا
تُدْفَعُ إِلَّا بِعِزَائِمِ الصَّبْرِ. اجْعَلْ بَيْنَ هَذِهِ اللَّوْعَةِ الْغَالِبَةِ، وَالذَّمَّةِ السَّاكِبَةِ،
حَاجِباً مِنْ فَضْلِكَ، وَحَاجِزاً مِنْ عَقْلِكَ، وَمَانِعاً مِنْ يَقِينِكَ. أَنْتَ أَعْرَفُ بِالدَّهْرِ
وَمَصَارِفِهِ، وَالزَّمَانِ وَمَخَافِهِ، مِنْ أَنْ تَدَعَ التَّمَاسِكَ وَهُوَ مَرْجِعُ اللَّيْبِ وَمَوَاهِ

وتتهالك في الجزع وهو منزع الجهول ومغراه. إن المِحَن إذا لم تُعالج بالصبر، كانت كَالْمَنَح إذا لم تُعالج بالشُّكر. إذا رأيت أن تأتي في توخي الصبر، واحراز الأجر ما يوجب الحجاب؛ فإنه أحرى بك وأحجى، صبراً صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها، كما أن مُتون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها. المرء لا بُدَّ سال، ولو بعد أحوال وأحوال. فما عليك أن تعجل ما يغتنمه البررة، وتقدم ما يؤخره الفجرة؟

ذكر الموت

إن الله قد سوى بين البرية، في ورود حوض المنية، وحملهم فيها على عدل الحكومة والقضية، لنظر كل أحد لنفسه، ويعلم أنه مستثمر ما أنبت من غرسه. ما حيلة الإنسان وقد خانته أمه، وجاءه أجله، فبينما هو في رجاء، فسيح الأرجاء، إذا به قد دُعي فأجاب من دون تعريض على استعداد، ولا تنفيس لأخذ زاد. الموت مَشَرَعٌ لا بدَّ مَرُود، وكلُّ وإن طال المدى مفقود. ما دوام أمرٍ آخره انقطاع، واتصال عطاءٍ عاقبته انتزاع؟ معلومٌ أن الموت كلُّ شارب بكاسه، ومُكتسٍ من لباسه، وإنما هو تقدم أيام، وتأخر أعوام. وكلُّ ذي نهاية يصير كأن قد قطعت مراحل، ولحق بعاجله أجله. الموت خطبٌ عظيم حتى هان، ومس خشن حتى لان، فطُنَّ أنه مؤخر لتمام، ومُنْسَأ لأيام وأعوام، والمُنُون تطلبه حثاً وحضاً، حتى تدركه خيباً وركضاً. هذه سبيل، فيها تعجيل وتأجيل، وإلا فاللَّهْر كله أمس، والنفوس في مُصافحة المنية كنفس، لله ما أغوص الموت على حَبَّات القلوب، وأعرفه بمودات الصدور، وأخلصه إلى مكانم الروح، وأيقظه لأناسي آليون، فإننا لله وإننا إليه راجعون. معلومٌ أن المورد فيه واحد، وسيان فيه ولد ووالد. هذه فرقة محتومة على كلِّ شمل منتظم، ومكتوبة على كلِّ حبل متصلٍ وقديماً نُعيّت على الناس غربانها، وطارت في دُورهم عقبانها.

في الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم لحكمه

ما الحيلة وقد حلّ القضاء، وفُرض العزاء لِقَدَرِ الله، ونزل البلاء الجسيم وكُتِبَ الرضاء والتسليم. لا تَسْخَطُ لِقَدَرِ الله وهو عدل، ولا تكره لقضاء الله وهو فضل. لِيُعْلَمَ أَنَّ حُكْمَ الله عَدْلٌ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ الْأَقْدَارُ، ووقعت من كراهة واختيار. الْقَضَاءُ غَالِبٌ، وَالزَّمانُ مُعْطٍ وسالب، ولا خيار على الْقَدَرِ، ولا إثارة عَلَى الْغَيْرِ. وَاللهُ الْعَدْلُ، وَحُكْمُهُ الْفَصْلُ، وَمِنْ عِنْدِهِ الْفَضْلُ، قَضَاءُ الله ماضٍ، وهو عدلٌ قاضٍ. يُؤْلِي، وَيَتْلِي، وَيَسْلُبُ، وَيُعْطِي، وَيُغَيِّرُ، وَيَرْتَجِعُ، وَيُمْتَعُ، وَيَتَنَزَعُ. لَهُ الْخَلْقُ، وَفَعَلَهُ الْحَقُّ. أَمْرُ الله لَا يُقَابَلُ إِلَّا بِالرَّضَا، وَالصَّبْرُ عَلَى مَا قَضَى وَأَمْضَى.

في حمل قضاء الله على الاصلح لعباده

مولاي أُولَى مَنْ سَلَّمَ، وَقَدْ عَلِمَ مِنْ عَدْلِ الله مَا عَلِمَ، وَأَيُّقِنُ أَنَّهُ يَحْيِي مَا دَامَتِ الْحَيَاةُ أَنْفَعُ وَأَرْوَحُ، وَيَمِيتُ إِذَا كَانَ الْمَمَاتُ أَصْلَحَ. لَوْلَا أَنَّ الْمَوْتَ طَرِيقَ يَسْلُكُهُ الْبَرِيُّ وَالسَّقِيمُ، وَمَشْرَعُ يَرْدُهُ الْبَرُّ وَالْأَثِيمُ، لَمَّا أَنْشَرَحَ بِالْعَزَاءِ صُدْرُ، وَلَا صَجِبَ مَعَ الْبَلَاءِ صَبْرُ. غَيْرَ أَنَّهُ سُنَّةُ الله فِي عِبَادِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ. يَبْقِيهِمْ مَا كَانَ الْبَقَاءُ أَعْمَرُ لِمَكَانِهِمْ، وَيَتَوَفَاهُمْ مَا كَانَتِ الْوَفَاةُ أَصْلَحَ لِأَدْيَانِهِمْ. إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عَلِمْنَا بِأَنَّ مَقَادِيرَهُ لَا تَجْرِي إِلَّا عَلَى مَوْجِبَاتِ الْحِكْمَةِ، وَتَدْبِيرِهِ لَا يَخْلُو مِنْ بَاطِنِ الْمَصْلُوحَةِ، أَوْ ظَاهِرِ النِّعْمَةِ. فِي بَقَاءِ مَوْلَانَا مَا يَوْجِبُ التَّسْلِيمَ لِمَا قَضَى اللهُ وَأَمْضَاهُ، إِذَا كَانَ يُدْبِرُنَا بِأَصْلَحَ مَا يَخْتَارُ وَيُؤْتِرُ، وَأَحْكَمَ مَا يُقَدِّمُ وَمَا يُؤَخِّرُ عَلِمًا مِنْهُ تَعَالَى بِالْعَوَاقِبِ، وَإِحَاطَةً بِالشَّاهِدِ وَالْغَائِبِ. أَحَقُّ النَّاسِ عِنْدَ حَدُوثِ النُّوْائِبِ، وَاعْتِرَاضِ الشُّوْائِبِ، بِقَصْدِ التَّجَلُّدِ، وَتَرْكِ التَّبَلُّدِ، مَنْ عَلِمَ أَنَّ أَقْضِيَّةَ اللهِ جَارِيَّةٌ مَعَ الصَّلَاحِ، مَاضِيَّةٌ عَلَى الرَّشَادِ، يَبْقَى مَا كَانَ الْبَقَاءُ لِلْعَبْدِ أَنْظَرُ، وَيَتَوَفَّى إِذَا كَانَ الْفَنَاءُ فِي الْحَكْمِ

أوجب. معلوم أن الله يُبقي ما كان البقاء أنجح، ويتوفى إذا كان الفناء أصلح، ولذلك قُبض الأنبياء والمرسلون، وأنزل على المصطفى إنك ميت وإنهم ميتون.

ذكر الأعمار والآجال

إن أيام العُمر وساعات الدَّهر كمراحل معدودة، إلى وجهةٍ مقصودة. فلا بد مع سلوكها من أنقضائها، وبلوغ الغاية عند انتهائها. للنفوس مواعيدٌ تطلبُ آجالها، وللموت تغدو الوالدات سخالها. وما نحن إلا كالركب. فمن ذي منهلٍ قصيدٍ يبلغه دانياً، ومن ذي منزلٍ شحط يَلْحَقُه مُتراخيا. مولاي يعلم أن الأعمار مُقدَّرةٌ لامادها، والآجال مؤخرةٌ لميعادها. فلا استزادة ولا استنقاص، ولا فوات ولا مناص. الآجالُ آمادٌ مضروبة، وأنفاسٌ محسوبة ولذلك استأثر الله بوجوب البقاء، وأثر لخلقه صلة الوجود بالفناء. الآجال بيد الله، فإذا شاء مدَّها بحكمةٍ وافية، وإذا شاء قصَّرها بلطفية خافية.

في التسلية ببقاء الباقي عن الماضي

نعمةُ الله في فلانٍ عظيمة. قد جبرت الكسر، وأوجبت الصبر، وأقامت الظَّهر، وألزمت الشكر، والحمد لله الذي أولى كما أبتلى، وأعطى بإزاء ما أقتضى. لئن كانت المُصيبة بمصرع فلانٍ عظيمة، لقد سدَّها الله من سيدي بأفضل خَلَف، لأمجد سَلَف، وأنجب فرع، لأكرم أصل. في بقاء مولاي مسلاةٌ للجازع، وأسوُّ للفرَّاج. يا لها من حادثةٍ كارثة، وفجعةٍ فظيعة. لولا أن الله سدَّ ببقائك ثَلَمَها، ودأوى بالدفاع عن حوائك كلمها. في بقاء مولاي ما يُلزم تخطي الأحزان، إلى شكر الله للإحسان. اللهم لا كُفران فقد أبقيت من فلان من ضمنت به شمل الأمم، وجَلَّوت وجه الكرم. قد أعان الله على الرزية، بحسن البقية، وسهل سبيل التسلية، بعظم المزية، وجعل الموهوب،

أفضل من المسلوب. في بقاء مولاي ما سدَّ ثَلَمَ المرزية، وأغنى عن إطالة التعزية. إذا تحامت ألنوائب جانب مولاي وتوقَّته وبَقَّته، وهبنا ما انتهكت، لما تركت، وتسلينا عما آحتنتك، بما كَفَّت عنه وأمسكت، والشمسُ تسليك عما حلَّ بالقمر. مامات من خلَّفك، ولا غاب عن أهله من آستخلفك. إن تكُ أيدينا بالأمس أمسكت على أَلقُلوب خوف أنصداعها وأنزعاجها، لقد مسحت اليوم على الصدور عند أنشراحها وأنفراجها، ولئن سخنت عيون عند حدوث الحادث، لقد قرَّت عيون عند انتصاب الوارث. تأملت في أثنا الرزية، جزيل العطية. ببقاء مولاي، فرأيت الموهوب، أكبر من المسلوب، والمبقي، أجل من المضي، فعطفت على ألبوى بالصبر، وتلقيت النعمى بالشكر. من كان مثلك القائم من بعده، السادُّ ثلَمه فقده، فهو في حكم الخالد، وإن أصبح فانيا والمقيم في أهله وإن أمسى بالعراء ثاويا. إن الزمان لا بدُّ خائن، والمقدور لا محالة كائن، وإذا وقى الله أكرم النفوس، وحرس أجل محروس. فالرز وإن جلَّ جلل، وما أتى الدهر، وإن كُبر هذر. سيدي يعرف أحكام الليالي والأيام، وتصرفها بين الإعطاء والإخترام. فإذا تعدت أكرم الأنفس، وتجاغت عن الأنفس، وجب تجاوز الصبر، إلى الحمد لله والشكر.

فيما يجمع بين التعزية والتهنئة

قد لزمننا رفع اليدين إلى الله: واحدة تستنزل الصبر، وأخرى تتحمّل الشكر. الحمد لله الذي لمّا ارتجع أكرم العواري، بلغ أفضل الأماني، ولما امتحن بأعظم الأهوال، تطول بأشرف الأبدال. ما آكتأبنا للمنعى إلينا، حتى اغتبطنا بالمستخلف علينا، ولا أجهش باكيا عند الرزية حتى آستهل ضاحكاً للعطية. الفجعية فظيعة وجيعة. كادت تُذهل ألعقول، وتحبس الألسنة عن أن تقول، والأقلام عن أن تجول. إلا أن الله لطف فجعل سيدنا وارث الماضي كابراً عن كابر، وحافظاً بعده لغر الآثار والمآثر. فلم يحسر أظل حتى مدّه،

ولا مَكَّنَ الثَّلَمَ حتى سَدَّه، ولا نقل الإحسان حتى رَدَّه، ولا أوْهَنَ الْعَقْلَ حتى شَدَّه. قد كان الرُّزْءُ أعظم من أن يوصفَ هَذَا لِلْأَرْكَانِ، وإِفاضةً لِلْأَحْزَانِ، في كُلِّ قُطْرٍ ومكان. إلا أن الله بلطفه كَشَفَ الظُّلْمَةَ، وَأَحْيَا الأُمَّةَ، وَأَنْزَلَ الرَّحْمَةَ، وحسم النِّقْمَةَ بَعُودِ مولانا إلى سرير سلطانه، واستقراره في عالي مكانه. لئن كانت الْمُصِيبَةُ أَصَابَتْ سُوبْدَاءَ الْقَلْبِ، فقد تدارك الله الْعَالَمَ بما أَقْرَ سَوادَ الْعَيْنِ. يا لها من رزِيَّةٍ ناحت لها أَلْسِمَاءُ عَلَى الأَرْضِ، وَأَفْلَ معها قَمَرُ الْمَلِكِ والمجد، حتى تلافي الله الملك بمولانا فَأَعَادَ به الشَّمْلَ جميعاً، وآلِ عاصِي مُطِيعاً، فَقَرَّ الأَمْرَ قَرَارَهُ، وَلَزِمَ فَلَكَ التَّدْبِيرَ مَدَارَهُ.

استظهار المشاركة والمساهمة

أنا أَقاسم مولاي الهموم والمسار، وأسأهمه المكاه والمحاب. فلا يعرض له ما يَشْغَلُ فكره إلا أزعج قلبي، كما لا يتفق عنده ما يشرح صدره إلا وفَّرَ أنسي. قد شاركت سيدي في الْمُصِيبَةِ مشاركة من لا يتميز عنه في مِنْحِهِ ومحنه، وسروره وحزنه. كتابي وأنا لا أعلم أعزيك أم نفسي، فليس المصاب عندك بأعظم منه عندي. أنا وإن كنتُ أَقاسمك المسارَّ، وأسأهمك المضارَّ، فَإِنِّي لا أحاسب الأيام إذا تَخَطَّتْكَ، ولا أَناقش سهامها إذا أَخْطَأَتْكَ. لئن فَقَدْتُ من فلان أباً وعمّاً. لقد أوفيتُ عليك أسفاً، وعليه هما. انا أَقاسمك مصارف الأحوال ومجاريها، وعوائد الأيام وعواديها، فأخذ مما شرح صدرك بحظ المبتهج، ومما شغل قلبك بقبسط المنزعج. قد تحملت لمشاركتك أثقالاً من الوحشة تنقص الصبر، وتنقص الظهر، وما أعزيك إلا وَالْعَزَاءَ لي معجز، ولا أسليك إلا وآلسلو عندي معوز، لاشتراكنا في الافراح والأحزان، وتعادل أقساطنا من الزيادة والنقصان.

عظات التعزية

لا مُصِيبَةَ مع الإيمان، ولا مُعْزِي مع القرآن، وكفى بكتاب الله معزياً،

وبعموم الموت مُسلماً. إِنَّ الَّذِي يُخَفِّفُ ثِقْلَ النَّوَائِبِ، وَيُحَدِّثُ السُّلُوَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، تَذَكَّرْ حُكْمَ اللَّهِ فِي سِيَدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ. لِيَذَكَّرَ مَوْلَايَ فَقَدْ أَلْرَسُولَ وَالْوَصِيَّ وَالْبَتُولَ وَالْحَسَنَيْنِ مِنْ مَسْمُومٍ وَمَقْتُولٍ، ثُمَّ لِيُحَصِّنَ الْأَجْرَ الْمَسْجُوقَ إِلَيْهِ وَلِيُحْصِلَهُ، وَلِيَنْصَبَ أَدَبَ اللَّهِ إِزَاءَ قَلْبِهِ وَلِيَمْتَثِلَهُ. أَلْخُلُودُ فِي الدُّنْيَا لَا يُؤْمَلُ، وَأَلْفَنَاءُ لَا يُؤْمَنُ، وَلَا سَخَطٌ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَا وَحْشَةٌ مَعَ خِلَافَتِهِ، وَالْأَنْسُ بِطَاعَتِهِ، فَأَدْمَا أَسْتَرَدَّ صَابِرًا، وَأَسْمَحْ بِمَا اسْتَرْجَعَ مُسْلِمًا. أَنْتَ تَعْرِفُ مِنْ شُرُوطِ الزَّمَانِ وَعَادَاتِهِ، وَتَخْبِرُ مِنْ شَأُونِهِ وَتَارَاتِهِ وَتَمْلِكُ مَعَهُ حَلْمَكَ، وَتَرَاجِعُ لَهُ حَزْمَكَ، مَتَى أَنْتَ اللَّيَالِي بِمَا تَعَاقَبَتِ الْقُرُونُ عَلَى مِثْلِهِ، وَأَعَيْتِ الْحِيلَ دُونَ دَفْعِهِ. حَمْدًا لِلَّهِ بِتَفْضُلِ فِيهِ، وَيَسْتَرُدُّ فَيَأْجُرُ، وَيُبْقَى آثَابُ، وَيُفْنَى آحْزَنُ. كُلُّ مُصِيبَةٍ وَإِنْ عَظُمَتْ فَصَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ ثَوَابِ اللَّهِ، ضَمِيلَةٌ بَيْنَ نَعَمِ اللَّهِ قَبْلُهَا وَبَعْدُهَا.

الادعية للمتوفي

غفر الله ذنبه، وَخَفَّفَ حَسَابَهُ، وَجَعَلَ رَحْمَتَهُ حُسْبَةً تَغْمِدُهُ اللَّهُ بِغُفْرَانِهِ، وَمَهَّدَ لَهُ فِي أَعْلَى جَنَانِهِ. تَغْمِدُهُ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ بِمَا يَفُوتُ آمَالَ الْمُؤْمَلِينَ، وَيُوجِبُ لَهُ مِرَافِقَةَ الْإِنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ. جَعَلَ اللَّهُ فِرَاطَهُ مَغْفُورَةً وَحَسَنَاتِهِ مَشْكُورَةً. قَدَّسَ اللَّهُ ثَرَاهُ، وَأَكْرَمَ مَأْوَاهُ. أَكْرَمَ اللَّهُ مَرْجِعَهُ، وَرَحِمَ مَصْرِعَهُ، وَبَرَّدَ مَضْجِعَهُ. رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ لِلْأَبْرَارِ، وَحَطَّ عَنْهُ ثِقْلَ آلِوَارِ. نَوَّرَ اللَّهُ بُرْهَانَهُ، وَأَلْبَسَهُ رِضْوَانَهُ، وَفَسَّحَ لَهُ جَنَانَهُ. غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَغْفِرَةً تُخَفِّفُ بِالرُّوحِ وَالسَّلَامِ، وَتَفْسَحُ لَهُ فِي دَارِ الْمَقَامِ. جَعَلَ اللَّهُ مَا نَقَلَهُ إِلَيْهِ، خَيْرًا مِمَّا نَقَلَهُ عَنْهُ. قَدَّسَ اللَّهُ ضَرْيَحَهُ، وَبَرَّدَ صَفِيحَهُ، وَأَفَاضَ الرَّحْمَةَ أَلْسَابِغَةً عَلَيْهِ، وَلَقَّنَهُ الْحُجَّةَ أَلْبَالِغَةً بَيْنَ يَدَيْهِ. سَقَى اللَّهُ ضَرْيَحَهُ وَلَقَّى (كَذَا).

ما يختص منها بالملوك

وَاللَّهُ يُبَوِّئُهُ مِنْ جَنَّاتٍ عِدْنِهِ، وَمَقَارَ أَمْنِهِ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ رَفَعَ إِلَيْهِ عَبْدًا مُخْلِصًا

هده، ومؤمناً اجتباها، وولياً مكن له في أرضه، فقام فيها بفرضه، وأصلحها بعدله، وغمر أهلها بفضله. نسأل الله أن يرحمه أتم رحمة وأوسعها، ويلقيه أفضل مغفرة وأفسحها، ويبيئه جنات النعيم التي أعدها لأمثاله داراً، ولأشكاله قراراً، ممن أحسن السيرة في عباده وبلاده، وأنتهى إلى رضاه بوسعته وأجتهاده.

ما يختص منها بالاشراف

اللهم صلّ على شجرة هذا الغصن من كرائم أغصانها، وخصائص أفنانها، صلاة ترفع الذخر، وتعلي القدر، وتمهد في جنة المأوى، والدّرجات العلّى. قدّس الله تلك التربة الزّكية، والأرض المرضيّة. إذ أودعت نفس الشرف والأشراف، وسير هاشم بن عبد مناف، وكيف أستسقي لها الغمام، وبحر المكارم في بطنها، وغيث الأمحال في ضمنها، وثم القبر الذي لو كُتِم لَنَم عليه عرف الكرم، ورّيا حُسن الشّيم. نقله الله إلى خِطّة الغفران، وعَرَصَة الرّضوان، حيث الرّسول، والوصيّ والبتول، والحَسَنان، وسائر شجر الجنان. صلواتُ الله عليهم ما طلع الفَرقدان، وتعاقب الملوان. أقرّ الله عينه في عَرَصَة الموقف المحذور، والصباح المشهود المشهور بقاء جَدّه، وخيرة الله من خلقه، وأمينه علّى وحيه، وأداء حَقّه، ووفّاه من حظوظ شفاعته، ما يزيده في علوّ الدّرجات وسبوغ الكرامات، وشرف الوقوف علّى الحوض المورود، وعزّ النُّشور في اليوم الموعود. رضي الله عن شقيق الكرم والمجد وعقيد الشّرف المحض، وسلالة الرّسالة، وسليل الإمامة، وقدس رُوحه وقد قدّس، وألبسه ثوب الغفران وقد ألبس.

في الدعاء للمعزى بالصبر والاجر

ربط الله علّى قلبك بالتماسك الذي يؤمن من التّهالك في القلق، والتّماليك الذي يدفع عواديّ الحرق. أفرغ الله علّى سيّدي تجلداً يضاهاى اجتماع رأيه

ولَّبه، وتصبراً يحفظ عليه ذخائر حلمه، حتى يمنحه في الثواب ما لم يحتسبه
كما أمتحنه من المصائب ما لم يرتقبه. ورث الله مولاي عمره، وأحضر سلوانه
وصبره، وشرح بالتسليم صدره. أعظم الله لسيدِّي من الذُّخر، وجزيلِ المثوبة
والأجر، وبعده محاسن من فُقِد، ومحامد من عُدِم. وفقَّك الله لما يحصن
الأجر، ولا يُحبطه، ويوفِّر الثواب، ولا يُسقطه. ثَقَّلَ الله به ميزانك، كما
ضاعف بفتوته أحزانك. أحسن الله لك العزاء وأجمله، ولقَّاك من الصبر أكمله.
جَبَر الله مُصائبك، وعظَّم ثوابك. آتاك الله صبراً يأسو كلوم المصائب، ويحلَّ
عُقود الإكتئاب. كتب الله لك من جسيم الثواب، ما يصغر عنده عظيم
المصائب. كتب الله لك من الأجر أفضل ما كتبه لمن سلَّم له أمره وحُكمه، ولم
يتسخط قدره وحتَّمه.

سائر الادعية للمعزى

أطال الله مُدَّتكَ، وجعل الشكرَ في النعمي ما دَّتكَ، والصبر على البلوى
عُدَّتكَ. حرس الله مُهْجَتَكَ، وحرَّم على الحوادث أعزَّتَكَ. وجعل ما عرض
خاتمة الرزايا قبلك، وبلغك في دينك ودُنْيَاك أملك. ورث الله مولاي عمر
من قدِّمه، وغفر لمن اختار له جواره فاستقدمه، جعل الله الأعمار صلةً
لعمره، وفقاً عنه عيون الصروف من دهره. وقاك الله في أعزَّتِكَ ونفْسِكَ،
وجعل مسرةً غدك ماحيةً مساءة أمسك. لا أُصِبت إلا بمن الخير لك في
البقاء بعده، وله في التقدُّم قبلك. مدَّ الله في مُدَّتِكَ، وغضَّ لَوَاحِظِ الأَيَّامِ
عن عَقْوَتِكَ. لا نقص الله لك عدداً، ولا أُنْكَلك ولداً، ولا أشتت بك
أحدًا.

ما يختص منها بالملوك

أبقى الله مولانا واريثاً للأعمار، مصرفاً للأقدار. وجعل ما عرض خاتمة ما

يوزّع له فكراً، أو يُخرج له صدراً، وقَدّم ألعالم عنه، فدية له. رغبْتُ إلى الله في إطالة بقاءه، كاشفاً بدوام مُدته الغُمم، وساداً بنضارة دولته الثُلُم، والله يُطيل بقاءه وارثاً للأعمار، مفسوحاً له في الامهال والإنظار. مُحصّن الدولة عن النوائب والآلحة، مُحميّ العرصة عن المصائب الطارقة. أطال الله بقاءه، وارثاً للأجل، حائزاً للأمني والآمال، ينسخ مُدّة الملوك، ويُخلق جِدة الجديدين، وعمّره عمر النّسرين، وأبقاه بقاء العصرين. عمّره الله محوط النفس وآلساحة، مُبشراً للخيرات المُتاحة. مُصْرِفاً عِنان الملوك، مقلباً زمام الزّمان بكتلتا أليدين.

ما يختص منها بالاشراف

أحسن الله عزاء مولاي عن الشّريف، وورّثه عمره، كما ورّثه فخره، وذخّر الله له الأجر عليه، كما أعلّى ذكره بالانتساب إليه، والله يجبّر مصابه كما أكرم نصابه، ويقيه المحاذر، كما ورّثه المفاخر، وبارك له في إحسانه الجسيم، وفضله العميم، كما بارك على إبراهيم، وآل إبراهيم صلى الله عليه وعلى محمد وآله أجمعين.

مخاطبة العلماء والزهاد في التعزية

أحقّ آلناس بالتسلي عند طروق المصائب، وأولاهم بالتسليم مع هجوم النوائب، من آتاه الله من العلم ذخيرة، وجعل على نفسه بصيرة، وهذه حال الشيخ في فقد فلان. ورّثه الله عُمره، وأبقاه ما شاء بعده. إذا كان الشيخ هو القدوة في العلم وما يقتضيه، والأسوة في الدّين وما يجب فيه، لزم أن يُتأدّب في حالات الصبر والشكر بأدبه، ويؤخذ في تارات الأسى والاسى بمذهبه، فكيف لنا بتعزيته، عند حادث رزيثته، إلا إذا روينا له، بعض ما أخذناه عنه، وأعدنا إليه طائفة مما آستفدنا منه. قد علّم الشيخ أنّ من خُلق للعرض

العظيم، وعُرض للثواب الجسيم. وطَن نفسه على تحمل الحوادث، ومَرَّ قلبه على تجرُّع النوائب، وكان تأسُّفه على ما يفقد من رياحين دُنياه قليلاً، وتصبُّره لما يُنقل من موازين أجره جميلاً.

ذكر موتهم وتأبينهم

قد فَقَدَت عينُ الفضل منه قُرَّة، وجبهة العلم منه غُرَّة. للفتائع، اختلاف مواقع، وللمصائب، تباين مراتب، ومن أشدها لُذعا، وأعظمها وقعا. فجيعة أخرجت صُدور قوم مؤمنين، ومصيبة خصت العلم والدين كفقد فلان، فقد كان للإسلام جمالاً مُمتدداً، وللدين رُكناً مُشتدداً، وللعلم شهاباً لا يخبو، وللأدب سهماً لا ينبو. تمثلت كيف يضام العُلى وتُقام مآتم الحِجى، وتبكي أعينُ الدِّين والْتقوى. قد فجعنا بشيخ الفضل، وشهاب العلم، والناضح عن آلدين ناظراً لْعقباه، والصادع بالحق رافضاً لِرُقباه. قد أخل ليثُ العلم بغيله، ومضى شيخ آلدين لسبيله. فاضت عليه عيونُ المحارِب في جنح الظلام، وبكته عُيون المحاسن في وضح النهار. رَجِمَ الله فُلاناً وهل خُلِقَت الرِّحمة إلا لأمثاله آلدين خافوا الله، فخافهم آلناس من دون ملكٍ قاهر، ولا سلطانٍ غالب، ولكنها هيبَةُ العلماء، في نفوس الدَّهماء. اللهم محص عنه سيئاته. فطال ما أنتصب في الدُّب عن دينك، وآلناس في اشتغالٍ بمعاشهم، عن معادهم، وبعقدُهم، عن اعتقادهم.

ذكر موت الادباء والكتاب

نجمٌ من نجوم العلم هوى، وغُصْنٌ من أغصان الأدب ذوى. قد عادت لفراقه آدابُ شعنا، ووجوه الفضل غُبرا. شابت بعده لِمَمُ الأَقلام، وجفَّت غُررُ الكلام. قامت نواذِبُ الأدب، وتعطَّلت حوالي الكتب. قد نضب ماء

الفضل، وركدت ريح العقل، وصدى رَونق التبيين وآلبان، وأنثلم حدّ القلم
واللسان.

ذكر موت الاولاد الصغار والكبار

بلغني خبرُ مُصائبك بالريحانة التي اختار الله لك المثوبة عنها، على المُتعة
بها. لَمَّا قوي فيه الأمل، عاجله الأجل، فكسفته أيدي الأيام، هلالاً آتسراً
قبل التمام. أَطَلْتُ التَّلَهُّفَ عَلَى ظِلِّ عاجلته الأيامُ أَنْ يكون فنَاءً زائلاً،
وأكثرْتُ التَّأَسُّفَ عَلَى هلالِ فاجأته الليالي أَنْ يصير بديراً كاملاً. يا لهفي عَلَى
غُصْنٍ هُصِرَ قَبْلَ أَنْ يورق، وكوكب أَفْلَ قَبْلَ أَنْ يُشْرِق. هلال آتسر قبل
التمام، وثمره أَجْتَنَّتْهَا يَدُ الحمام. فجعله الله أجراً مذخوراً، وثواباً موفوراً.
كيف يستقرُّ عَلَى الأرضِ وَلَدَتُهُ فِي بطنها، ويُراجع الأيامُ ومُهَجَّتُهُ فِي كَفْها.
يا أَسْفِي عَلَى غُصْنٍ مهصور بالموت، معصورٍ فِي التُّرْب. قد كُنْتُ فِيهِ قوي
الأمل، لو لم تطاولني يَدُ الأجل، ومستحكِمَ الرُّجَاء، لو لم تغالبني يمينُ
القضاء. تصوّرت حالك وقد أخذت من قبلك ثمرته، ومن نفسك زهرتها،
ومن ناظرك قوته، ومن كَيْدِكَ فُلْدَتَهَا. عارية سرك الله بمدَّتْها، وأثابك عند
ارتجاعها. فأبشر بعاجلٍ من صُنْعِهِ وإِخْلَافِهِ، وأجل من مَثُوبَتِهِ وجزائه. لئن
حُرِمَ الأجر ببذك، لقد كُفِيَ الإِثْمُ بعقوقك، ولئن فجعت بفقده، لقد أمنت
ألفتنه به. الرُّزْءُ ما كان أوجعَ، كان الأجر عليه أوسعَ، وأنت وإنِ احتجت إلى
الأولاد، فحاجتك الْعُظْمَى إِلَى حُسْنِ المعاد. أَسْأَلُ الله أَنْ يجعل لوعة
مُفَارَقَتِهِ، أنفع لك من فِتْنَةِ مُقَارِبَتِهِ، وحسرة الرُّزْيَةِ فِيهِ، أجدى عليك من حبرة
الإِمتناع به.

ما يختص من ذلك بأولاد الملوك

كُتِبَتْ وَالْأَحْزَانُ مُسْتَوَلِيَةٌ عَلَى الْخَلْقِ وَالزَّمَانِ، وَالْأَرْوَاحُ مَتَبْرَمَةٌ بِالْأَجْسَامِ

والأبدان. مُنْذُ أَفْلَ النَّجْمِ الزَّاهِرِ فِي أَفْقِ الْمَلِكِ وَذَوِي الْغَصَنِ الْناضِرِ مِنْ دَوْحَةِ الْمَجْدِ، خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ فِي أَفْقِ الْمَلِكِ. وَهُوَ بِيدِ الْقَضَاءِ، عِنْدَ انْتِهَاءِ الْعَمْرِ، فَاسْتَوْحَشَ رُبِعَ مَوْلَانَا بِفَقْدِهِ، وَذَوَى عَوْدَ النِّجَابَةِ مِنْ بَعْدِهِ. عَلَى حِينِ قَوِيَتْ فِيهِ الظُّنُونُ، وَقَرَّتْ بِهِ الْعُيُونُ. عَرَفَتْ نَادِرَةَ الزَّمَانِ، فِي قَرَةِ عَيْنِ الدَّهْرِ، وَثَمَرَةَ فَوَادِ الْمَلِكِ، وَقَدْ خَانَتْ فِيهِ يَدَ الدَّهْرِ، وَاسْتَطَفَّتْهُ مِنْ جَمِي الْمَلِكِ، وَإِنَّمَا نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَى جَوَارِ كِرَامَتِهِ مَثُوبَةً بِمَوْلَانَا مُقَدَّمَةً، وَأَعَدَّ لَهُ مَعُوضَةً مُسَوِّمَةً، وَجَعَلَهُ فَرَطًا صَالِحًا، وَمَتَجِرًا رَابِحًا. قَدْ خَبَا ذَلِكَ أَشْهَابُ الْمَضِيِّ، وَخَوَى ذَلِكَ الْكُوكَبُ الدَّرِيءَ، فَأَغْبَرَتْ وَجُوهَ النِّجَابَةِ، وَاسْتَوْحَشَتْ مَعَاهِدَ الْإِمَارَةِ.

ذِكْرُ احْتِضَارِ الشَّبَابِ

يَا أَسْفَى عَلَى فَلَانٍ، وَقَدْ احْتَضَرَ شَبَابَهُ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ طَرَاوُتُهُ فِي الْعُيُونِ، وَحَلَاوُتُهُ فِي الْقُلُوبِ. قَدْ احْتَضَرَ فَلَانٌ أَنْضَرَ مَا كَانَ غَصْنًا، وَأَكْمَلَ مَا كَانَ حُسْنًا، مَا أَتَذَكَّرُ إِقْبَالَ شَبَابِهِ مَعَ اكْتِهَالِ فَضْلِهِ، وَجِدَّةِ أَيَامِهِ مَعَ وَفُورِ عَقْلِهِ، إِلَّا رَأَيْتُ التَّعَزِّيَ مُسْتَقْبِحًا، وَالتَّسْلِيَّ مُسْتَهْجِنًا. يَا لَهْفِي عَلَى شَبَابٍ مُقْتَبِلٍ احْتَضَرَ، وَفَضْلٍ مَكْتَهَلٍ فَقِدَ، وَجَانِبٍ مِنَ الْمَجْدِ آخِثٍ وَانْتَشَرَ، وَنَجْمٍ مِنَ فَلَكَ الْفَخْرِ هَوَى وَغَرَبَ. قَدْ آخَرْتُمْ عُقُفُونَ شَبَابَهُ آخِرَتَامًا، نَبَّهْنَا مِنْ سَنَةِ الْإِغْتِرَارِ وَهَدَانَا لَوَجْهَ الْإِعْتِبَارِ. انْتَقَلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ نَقِيَّ الصَّحِيفَةِ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ، بَرِيَّ السَّاحَةِ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ. لَمْ تُظَلْ فِي الدُّنْيَا مُدَّتُهُ، وَلَا آسَوَدَّتْ فِي جَرَائِدِهَا صَحِيفَتُهُ، وَلَا عَلِقَتْ بِهِ أَجْرَائُهَا، وَلَا جَذَبَتْهُ أَشْطَانُهَا، لَكِنَّهُ وَرَدَهَا نَجِيبًا رَشِيدًا، وَأَنْصَرَفَ عَنْهَا مَهْدِيًا سَعِيدًا. قَدْ صَانَهُ الْإِحْتِضَارُ، عَنْ مُلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ، وَحَاطَهُ الْإِحْتِرَامُ، عَنْ مُقَارَفَةِ الْآثَامِ. لَوْ كَانَ هَذَا الْجِمَامُ يَدُا بِإِدَارَةِ كَأْسِهِ فِي الْأَسْلَافِ، وَيَتَجَافَى عَنِ الْإِخْلَافِ، لَخَفَّتْ أَعْبَاؤُهُ، بَلْ طَابَ لِقَاؤُهُ، وَلَكِنَّهُ يَذْنُو فِينَا وَيَبْعُدُ، وَيَهْتَصِرُ مِنَّا وَيَحْتَطِبُ.

في التعزية عن الاب

قد أُصبت من أبيك بمن لا لوم إذا بكيت عليه ملء الشؤون، ووجعت له مدى الظنون (كذا). فالأب سماء مظلة، وأرض مقلّة، وأصل أنت فرعه، وشجر أنت غصنه، ولكن أدب الله أحرى بالاستعمال، من بواعث الرقة والآنخزال. لو خيّر أبوك لاختار ما اختار له تقدماً بين يديك، وتعويضاً للبقاء إليك. إذ كنت مع عقلك وبصيرتك أبا، ولأهلك وعشيرتك نسباً. سدّ الله بك مكانه، وورثك عمره وفضله، وعوضك الأجر عنه، وأيدك بالعصمة بعده. بقي أن نجعل هذه النوائب عبراً تُبصرنا العواقب، ونقول ما حال شجر أوهنت أصوله، ثم أخذت غصونه، وننظر في أصل البقاء، بعد فناء الآباء والآبناء، فنأتي ما فيه حصول النجاة، تخليصاً لهذه الأنفس من التبعات.

في التعازي عن الحرم

نُبهت بموعظة، ورُزقت ثواباً، وسترت عورة، وكُفيت مؤونة. فعظم الله أجركَ فيمن أمضى، وأخلف عليك الإمتاع بما أبقى. لا ستر أستر من أرض، ولا ختن أكرم من جن. بهذا أتى الشرع، وعليه أجمع العقل والسمع. ستر العورات، من الحسنات، ودفن البنات، من المكرّمات، وتقديّم الحرم، من النعم، وقد قاسمتك المفجائع، فأعطتك أوفر الحظّين، وساهمتك النوائب فوقتكَ أجزل القسطين، ورضي الحِمَام بأن يتخطى نجباءً ولداً، وإن انتقص الإناث من عددك، فالشكر أوجبُ عليك، من الصبر أن تدعى إليه. إن كان الله قد سلّب لمولاي ريحانةً وروضةً، فقد وعده في كتابه بشارَةً وصلاةً ورحمةً وهداية. قد كُفيت مؤونة، وصُنعت حُرمة، وسترت عورة، وقدمت إلى الجنة بضعة، وبعثت على مُقدّمك إلى الآخرة شفيحاً ووسيلة، ورجعت إلى شبابك مرحلة. فليس بشيخٍ من لا بنت له، ولو كان أبن مائة سنة، وليس

بشأب من وراءه بنت ولو كان أبن يوم وليلة. طوبى لمن صاهره ألقبر وخطب
إليه آلدهر.

آخر كتاب التمازي وما يليق بها، والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإخوانيات

وما يأخذ ماخذها

ذكر المودة

مودةٌ سكنت سواءَ الصُّدر، وحلَّت سوادَ القلب. مودةٌ تلوح عليها غُرُ
الخلوص، وتبدو فيها اثار الخصوص. مودةٌ طالت بها المدة، وأستحكم
غرسها، وتمهَّد في القلب أسها. صحيفةٌ ودُّ يُمليها عليَّ المَلَوَان، وأنطق فيها
بلسان الزَّمان. مودةٌ لا يضطرب حبلها، ولا ينحسر ظلُّها. ودُّ سليم الصَّفحة،
أملس الجِلدة، مشرقُ السُّحنة، واضح الجبهة. مودةٌ أدِين بها عن خالصة
النفس، وأودعها واسطة القلب، وأجمع عليها نواحي الصدر، وأحرسها عن
لواظظ الدهر. قد آتخذنا المودةَ بيننا ديناً وخليقة، ورأيناها بين الناس مجازاً،
فأعدناها حقيقة. صدُرُ الودِّ سليم، وطريقُ العهد مُستقيم. ودُّ أنتهى الصَّفَاء
إليه وقد بلغ أقصاه، وعهدُ خَيْم الوفاءِ عليه فألقى عصاه. قد مَلَك مودَّتِي
عذراء، حين القلب فارغ، وحاز طاعتي بكرا، وظلُّ الصبي سابع. بيننا مودةٌ
تتصل مُدَّتُها، ولا تنقطع مادَّتُها.

حسن المخالصة

لا أحولُ عن عَهْدِكَ وإن حالت النُّجوم عن مَمَارِّها، ولا أزلُ عن ودِّكَ وإن
زالت الجبال عن مَقَارِّها. عهدُكَ سَجِير فكري، وودُّكَ سَمِيرُ ذكري. عهدُ

كعهده لا يميل، ووُدُّ كحاله لا يستحيل. نَفْسِي وقَاءَ نَفْسِكَ، كما صَدْرِي وعَاءُ وُدِّكَ، ولساني نَاشِرُ فَضْلِكَ، وضميري وَقَفْتُ عَلَى عَهْدِكَ. بيننا عَصِمٌ لا تَنْقُضُ، وذِمَّتُ لا تُرْفَضُ. الله يعلم أَنَّ مَوَدَّتَكَ شِعَارُ ضَمِيرِي، وَأَلَا عِتْصَامَ بعهدك بُنْيَةُ مَعْتَقَدِي. نَلِي قَلْبُ قَرِيحٍ، حَشْوُهُ وُدٌّ صَحِيحٍ، وَكَبِدُ دَامِيَةٍ، كُلُّهَا مَحَبَّةٌ نَامِيَةٌ.

لطف الحال وتشبهها بالقرابة

حَالٌ هِيَ الْقُرْبَى أَوْ أَخَصُّ، وَأَمْتِزَاجُ الْنُفُوسِ أَوْ أَمْسٌ. الْحَالُ بَيْنَنَا أُرَبَّتْ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالْحُرْمَةِ، وَأُرَمْتُ عَلَى الْمِشَارَكَةِ وَالْخُلَّةِ، وَعُدَّتْ فِي شَوَاجِرِ الرَّحِمِ وَاللُّحْمَةِ، وَمَزَجَتْ أَلْدَمَ بِالْدَمِ، وَالْمُهْجَةَ بِالْمُهْجَةِ. الْمَوَدَّةُ إِذَا أَسْتَمَرَّتْ قُوَاهَا، وَأَسْتَحْصَفَتْ غُرَاهَا، لَمْ تَبْعُدْ أَنْ تَزِيدَ عَلَى الرَّحِمِ وَقُرْبَاهَا. قُرْبِي لَا كَقُرْبَى خَالِصَةِ الْوَدَادِ، وَلَا رَجِمَ أَصْدُقٍ وَأَدْنَى مِنْ صَدَقِ آلِنِيَةِ وَالْإِعْتِقَادِ، وَبَيْنَنَا مِنْ ذَلِكَ مَا يَضْمَنُهُ الدَّوَامُ وَالْتَّائِيدُ، وَتَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الْقُرْبَاتُ وَالْمَوَالِيدُ. رُبُّ طَارِفٍ مَوَدَّةٍ يَفُوقُ فِي الْخُلُوصِ وَالصَّفَاءِ، مَنَازِلَ التَّشَابُكِ فِي الْقُرْبَى وَالْإِخَاءِ. الْمَعْرِفَةُ عِنْدَ الْكِرَامِ ذِمَّةٌ، وَالْمَوَدَّةُ لُحْمَةٌ. زَادَ فِي أَمْرِي عَلَى مَا يَبْلُغُهُ الْأَخُ وَأَبْنُ الْعَمِّ، وَالْمَتَنَاسِبُونَ بِاللَّحْمِ وَاللَّدَمِ. صَوْرَتُهُ لَدِي صَوْرَةَ الْأَخِ، وَوُدُّهُ أَرْسَخٌ، وَمَحَلُّهُ مَحَلُّ الْعَمِّ، أَوْ أَشْتِرَاكَةُ أَعَمِّ.

الاختصاص والاتحاد

مَحَبَّةٌ لَا تَتَمَيَّزُ مَعَهَا الْأَرْوَاحُ، إِذَا مُيِّزَتِ الْأَشْبَاحُ، وَمُخَالَصَةٌ لَا تَتَبَايَنُ بِهَا الْنُفُوسُ وَالْمَهْجُ، وَإِنْ تَبَايَنَتِ الْأَشْخَاصُ وَالصُّوَرُ. نَحْنُ كَالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ لَا تَجْزُو وَلَا أَنْقَسَامُ، وَلَا تَمَيَّزُ وَلَا أَنْفِصَامُ. الْنُفُوسُ مَمْتَزِجَةٌ، وَالْأَمْلَاقُ مُشْتَرَكَةٌ، وَالنِّعَمُ مُتَفَاوِضَةٌ، وَذَاتُ الْبَيْنِ صَافِيَةٌ، وَدَخَائِلُ الصُّدُورِ خَالِصَةٌ. نَحْنُ نَرْتَضِعُ لِبَانِ الْمَمَازِجَةِ، وَنَأْوِي إِلَى وَلَاءِ الْمَوَدَّةِ، وَوَرَاثَةِ الْإِخَاءِ وَالْمِشَارَكَةِ، أَرَى بِهِ

القمرين، وأعدّه ظهيراً على المَلَوْنِ، ولا أعظم كحق مودّته حقاً، ولا أرى بين النَّفْسَيْنِ فكيف بين المالين فرقا. أنت جارٍ مني مجرى أبعاض جسمي وأعشار قلبي. أنت جزء من نفسي، وناظم شَمَلٍ أنسي. أنت تحلُ مني محلَّ العُضْو من الجسد، واللب من الكبد. فلانٌ يَعِزُّ عليّ، ويكبرُ لدي، ويحلُّ مني محلَّ عَيْنِي وَيَدَيَّ. أنت مني كالعين الناضرة التي تصان عما يُقْذِيها، وآليدِ الباطشة التي تُحفظ مما يُدويها. هو شقيق رُوحه، وعديل حياته، وشريك دولته، وقَسِيمُ نعمته. ما زال مُستودع سيري وجهري، ومُشتكى بشي وحُزني. هو مني بمنزلة الولد، والعُضْو من الجسد. قد أحله الله مني محلاً بعيداً في رفعة، قريباً في أثرته.

المنادمة والمؤانسة

له مدخلٌ في المداخلة، يثبت في مواقف الأنس قدمه. هم إخوان كما أنفجَ المِشْط، وندماء كما أنتظم السِمْط. إذا اعتُقت المُنَادمة، صارت نسباً دانيا، وكانت رِضاعاً ثانيا. العِشْرَةُ رِضاعٌ تثبت حُرْمَتُهُ، والموَدَّةُ لِبَانٌ تلزم ذِمَّتَهُ. قد تقلّبنا في أعطاف ألعيش بين الوقار والطيش، وارتضعنا ثُدَيَّ العِشْرَةِ، إذ الزمان رقيق القشرة. كُلفة ألوَد هينة، وفروضه مُتَعِينَةٌ وأرض العِشْرَةِ لينة، وطريقها بينة. أفضنا في العِشْرَةِ كيف نضع قواعدها، والأخوة كيف نُحْكَمُ مقاعدها. فلانٌ يخرج في العِشْرَةِ، من القِشْرَةِ. أنسي به أنس من نشد الضالة فوجد، وناهض الأمل فبلغ ما قصد. المرء مَقِيسٌ بقرينه وسميره، ومحمولٌ على حُكم جليسه وعشيرته. إخوانٌ مُتَوَافِقُونَ، قد تطابقوا في الآراء، وتآلفوا في الأهواء، وتمالحووا في الطعام، وتراضعوا بالمدام.

التودد والافصاح عن صدق المحبة والموالة

أنا أَنَّهُمْ عليك عيني وإن كنتُ لا أَنَّهُمْ قلبي. وأرضي لمودّتك نيتي، وإن كنت لا أرضى لها طاقتي. أنا ما غبت كالمضل أناشد، وإذا رجعت فكالغانم

أَلَوَاجِدُ . أَنَا أَوَدُّكَ بِأَجْزَاءِ قَلْبِي ، وَأُحِبُّكَ مِنْ سَوَاءِ نَفْسِي . لَا مَرْحَبًا بِعَيْشٍ
أَتَفَرَّدُ بِهِ عَنْكَ ، وَيَوْمَ لَا أَكْتَحِلُ فِيهِ بِكَ ، وَوَدَدْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِحَضْرَتِكَ أَطْنَابَ
عَمْرِي ، وَأَنْفِقَ عَلَى خِدْمَتِكَ أَيَّامَ دَهْرِي . لَا أَزَالُ أَحْنُ إِلَيْكَ ، وَأَحْنُو عَلَيْكَ .
يَا لَيْتَ قَلْبِي يَتَرَاءَى لَكَ ، فَتَقْرَأَ فِيهِ سَطُورَ وَدِي لَكَ ، وَتَقِفَ مِنْهَا عَلَى رَأْيِي
فِيكَ . إِنِّي لَأَسَفٌ عَلَى كُلِّ يَوْمٍ فَارَغْتُ مِنْكَ ، وَكُلِّ لَحْظَةٍ لَا تُؤْنِسُنِي بِرُؤْيَاكَ .
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ يَنْوِبَ فِي خِدْمَتِكَ قَلَمِي ، قَبْلَ قَدَمِي ، وَخَطَمِي ، دُونَ خَطْوِي ،
وَيَسْعِدُ بِرُؤْيَاكَ رَسُولِي ، قَبْلَ وَصُولِي ، وَيُرْدُ مَشْرِعَ الْأَنْسِ بِكَ كِتَابِي ، قَبْلَ
رُكَابِي . أَنْتَ مَنْ لَا يَسَافِرُ وَدِّي إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يُرْفَرُ طَيْرٌ مُحِبَّتِي إِلَّا عَلَيْهِ . لَوْ
الْتَبَسْتُ بِكَ الْتِبَاسًا ، يَجْعَلُ رَأْسِي نَاسًا ، مَا زِدْتُكَ وَدًّا . وَلَوْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
سُورُ الْأَعْرَافِ مَا نَقَصَتْكَ حُبًّا . قَدْ مِلْتُ إِلَيْكَ فَمَا أَعْتَدَلْ ، وَنَزَلْتُ بِكَ فَمَا
أَرْتَحِلْ ، وَوَقِفْتُ عَلَيْكَ فَمَا أُنْتَقِلْ ، مَسْكَنُكَ الشَّغَافُ وَحَبَّةُ الْقَلْبِ ، وَخِلْبُ
الْكَيْدِ وَسَوَادُ الْعَيْنِ . أَنْتَ سَابِقُ الْإِخْوَانِ الْبَرَّةِ ، وَصَاحِبُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
وَالشَّجَرَةِ . أَنَا أَتَصَبِّحُ بِأَسْمِكَ ، وَأَتَفَالُ بِذِكْرِكَ ، وَأَحْلُمُ بِوَجْهِكَ ، وَأُحْتَلِبُ ضِرْعَ
الشَّعْرِ بِذِكْرِكَ . أَنَا أَعِدُ نَفْسِي بَعْضَ إِخْوَانِكَ فِي الْعَدَدِ ، وَأَفُوقُهُمْ بِالتَّوَدُّدِ . مَا
فِي نَفْسِي بِقَعَّةٍ أَعْمَرُ مِنْ مَحَلِّكَ ، وَأَنْضُرُ مِنْ مَسْكَنِكَ ، وَلَا فِي قَلْبِي مَكَانٌ إِلَّا
مَوْشِي بِذِكْرِكَ ، مُطَرِّزٌ بِأَسْمِكَ . الْمَحَبَّةُ ثَمَنٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ غَلَا ، وَسُلْمٌ إِلَى
كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ عَلَا . أَنَا وَاللَّهُ أَجْتَنِي قُرْبِكَ ، وَأَجْتَوِي بُعْدَكَ . دُورِي ، هِيَ دُورُكَ
وَحَلْلُكَ ، وَوُكُلَايَ هُمُ وَكُلَاؤُكَ وَخَوْلُكَ . وَاللَّهُ مَا تُظِلُّ الْخَضِرَاءُ ، وَلَا تُقِلُّ
الْغَبْرَاءُ . عَبْدًا هُوَ أَشَدُّ مِنِّي لَكَ مُحَالِفَةً ، وَأَقْلُّ مُحَالِفَةً . عَهْدِي لَكَ أَكْرَمُ
الْعُهُودِ ، وَوَفَائِي لَكَ وَفَاءُ الْعِرْقِ لِلْعُودِ . أَسْبَابُ الْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا مَوْصُولَةٌ ، وَطَرُقُ
الْإِخْلَاصِ عَامِرَةٌ مَأْهُولَةٌ .

العبودية والخدمة

عَبْدُهُ حَقًّا ، وَمَمْلُوكُهُ رِقًّا . عَبْدُهُ الصَّرِيحُ ، وَخَادِمُهُ الْمُشِيخُ ، وَوَلِيهِ

النصيح . عبده الذي سبق له رقه ، ولا يجوز بيعه ولا عتقه . ستجدني متصرفاً مع أمرك حتى تقول خادم ، وطوعاً ليدك حتى تقول خاتم . هو له المملوك والوكيل المكترى ، والعبد المخلص ، والخادم المتخصص . ما أنزع عن عنقي رباق الرق ، ولا أخرج إلا أتساع العتق (كذا) .

المناسبة بالعلم والادب والمذهب

كلمة الأدب جمعتنا ، ولحمة العلم نظمنا . قد أشرطنا في العقيدة ، وأستهمنا في السرية . فأكثر من تراه من إخواني ، بنو علات أنا وهو من بني الأعيان الأدب نسب واشج ، وألهم سبب مماذج . الأدب أقرب الأنساب ، وألهم أوكد الأسباب ، الشكول أقارب ، وإن تباعدت بهم المناسب . فرحة الاديب بالاديب ، كفرحة المحب بالمحبيب ، والعليل بالطبيب .

وصف الشوق

الشوق إليك سمير ذكري ، ونديم فكري . شوقي إليك زادي في سفري ، وعطادي في حضري . شوق لا يعدى عليه صبر ، ولا يستقل به صدر . شوق يكاد يكون لزاما ، ويعد غراما . الشوق إليك أمامي وورائي ، وحشو ثوبي وردائي . شوق جرح جوانحي ، وجنح على جوانحي . شوق أستخف نفسي وأستفزها ، وحرك جوانحي وهزها . شوق قد استنفد جلدي ، ومملك خلدي شوق لو أعلجه الأعرابي لما صبا إلى رمل عالج ، أو كابده الخلي لانشي على كبد ذات حرق ولواعج . شوق تركني أرى الصبر حسرة ، والوجد يمنة ويسرة . شوق يتلهب في الأحشاء قدحه ، ولا يبرح الجوانح برحه . قلبي على جمرة الغضا يتقلب ، وكجناح الطير يضطرب . شوق لو خوف المجرمون بحرّه ، وتوعدّ المشركون بجمره . كما عبد صنم ، ولا نقلت في الضلال قدم . شوق يجيل قداحه ، ويديم اقتداحه . شوقي إليك شوق ألروض إلى الغيث

وَالْمَلْهُوفُ إِلَى الْغُوثِ.

سوء آثار الفراق والاشتياق وما يتصل بذلك

حالي بعدك حالٌ عودٍ ذوى بعد آرتوائه، ونجمٍ هوى بعد اعتلائه. ما حال
ذاوي نبتٍ أمسك مطره، وساري ليل غاب قمره. قد تركني فراقك، وأنا
أشتاقك، وغادرني بُعدك، أقاسي بُعدك. قد تحملتُ مع يسير الفرقة عظيم
الحُرقة، ومع قليل البُعد، كثير الوجود. قد آثيتُ بجسم ناحل، وبث من
صبري على مراحل. فارقتني فأرقتني، وفرقتُ جمع صبري، وأستصحب
فريقاً من قلبي. فارقتك وقد تفرق عني شملُ أنسٍ منتظم، وتمكن مني برح
شوقٍ مضطرم. فارقتني ففرقت بين الروح والبدن، وتركتني والنزاع في قرن. ما
فارقتك بعيداً، حتى أصحبتك من نفسي فريقاً، ولا سرت ميلاً حتى مال
صبري جميعاً. فارقتني ففرقت بين جنبي والمهاد، وجمعت بين عيني
والشهاد. من شاهدني شهدت له حيرتي، دون محاورتي بما ألاقه، وأخبرته
عبرتي، دون عبارتي عما أعانيه. ما أعول إلا على العويل لو كان يُغني، ولا
أستنصر غير الوجد لو كان يُجدي. لولا حصانة الأجل، لخرجت رُوحِي على
عجل. قد صرتُ حليفَ وحشةٍ وإن كنت ثاوياً في وطن، وقرين كربةٍ وإن
كنت بين جيرةٍ وسكن. لا أنس بسكنى دار عنك بعيدة، تولا أستوطنها وهي
منك غير قريبة.

ذكر الوداع

أودعتني إذ ودعتني شوقاً يجور حكمه، وقلقاً ينفذ سهمه. قد ودعت
بوداعك العافية، وفارقت مع فراقك العيشة الراضية، لا أقول إنه بان مني
بينك سيدٌ وعضدٌ وعميدٌ وسندٌ، ولكني أقول ودعت أيام وداعك دُنياي آلتِي
كنت أستمتع بها، وحياتي التي كنت أُنفع بعوائد ألينم معها. ودعتُ بوداعك

ألدعة، والروح والسعة. ملكتني حُرقة تتغلغل بين آلهة والترقي، وخنقتني لوداعك عبْرَة تحير بين الجفون والآقي.

تذكر أيام اللقاء وصفوها

يا أسفي على غفلات العيش، ولحظات الأنس. إذ ظهائنا أسحار، وليالينا نهار، وشهورنا أيام، وسنونا قصار. يا أسفي على رداء من الأيام دقيق ما لبسناه، حتى خلعناه، وروض من الزمان مريع، ما حللناه حتى فارقناه. أيامنا والدهر غافل، والباع قاصر، وروض التلاقي ناضر، حين الدهر غلام، والجلم حرام. كانت أيامنا من غرر العمر، وغرر الدهر. كيف أنسى تلك اللمة من عمري، والصفوة من شربي، وهما غرة في أدهم، وشهاب في ليل مظلم. سقى الله أياماً لو كان دهر عبقاً كانت واسطته، أو كان عمري جيداً لكانت قِلاذته. أيامنا وطرف أبعد أرمداً لا يطرف، ويد الزمان مغلوطة لا تعسف. أيامنا، والدهر كال المنسر، لين المكسر لا يسود أعتنانه، ولا يجمع عنانه. أيام طابت مشارعها، ولانت أخادعها. أيام في عود آلنوى خور، وليال في باع الدجى قصر. أيام حسنت فكأنها أعراس، وقصرت فكأنها أنفاس. أيام مغم رياها، وطاب جناها، وصفا نسيمها، وخلص نعيمها، وقد خفض الدهر جناحه لنا، ولين الزمان مهاده بيننا، ناخذ ما نشاء ونُدع، ونلعب كيف شئنا ونرتع، أيامنا التي حازت أيام الشباب حسنا ورقة، وفاتت أعلام المطارف لينا ودقة، التي تخجل حدود الرياض، وتفصح حواشي الحلل، وساعاتنا التي هي ألطف من مسارقة النظر، ومخالسة القبل.

الادعية الاخوانية

أعادنا الله للالتقاء فما أرق نسيمه، وألذ نعيمه. أسأل الله أن يتقّم من أيام

النزاع، برد أيام الاستمتاع بالاجتماع. جمع الله شَمْلَ سُروري بك، وعَمَّرَ عمري بالنظر إليك، وجَعَلَ باقي عيشي معك، والله يُطِيلُ مُدَّتَكَ، ويَحْرُسُ مَوَدَّتَكَ، وَيَصِلُ جناحي بما ينشره عليك من جناح العِزِّ، وَيُمَدُّ عَلَى ساحتك من ظلِّ الكفاية والوقاية. أغناك الله عن إخوانك، ولا أغناهم عنك. إِنْ من أباح لي وَدُّكَ وهو أكرمُ موهوب، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُبَسِّرَ لي قُرْبَكَ وهو أنْفُسٍ مطلوب. لا وَكَلِ اللهُ إِلَى الزمان ما جمعنا عليه من إِخَاءٍ ومصادقة وَصَفَاءٍ ومُخالصة فتبعث بنا أحكامه، وتعيث فينا أيامه. أعاذ الله سيّدي من الأسواء، وسقى ربه غُررَ الْأنواء.

ألفاظ الجواب عن شكوى الشوق

شَكُوْتُ الشَّوْقِ فَكَأَنَّمَا عَبَّرَتْ عَنْ قَلْبِي، وَقَرَأَتْ وَصْفَهُ مِنْ صَحِيفَةِ وَدِي. ذَكَرْتَ يَا مَوْلَايَ الشَّوْقَ فَهَبِجْتَ مَا يُهَيِّجُهُ تَغْرِيدُ الْأَطْيَارِ بِالْأَسْحَارِ، وَالْوُقُوفِ بَعْدَ الْأَحْبَابِ عَلَى الدِّيَارِ. أَمَا مَا شَكَاهُ مَوْلَايَ مِنَ الشَّوْقِ وَاسْتِطَالَةِ سُلْطَانِهِ، وَالْبَيْنِ وَاسْتِطَالَةِ زَمَانِهِ. فَهُوَ عِبَارَةٌ أَحْشَايَ لَوْ نَطَقَتْ، وَتَعْبِيرٌ رُؤْيَايَ إِذَا صَدَقْتُ. أَمَا مَا شَكُوْتُ مِنَ الشَّوْقِ فَاحْلَفْ بِاللَّهِ إِنَّكَ صَادِقٌ فِيهِ، مُسْتَغْنٍ عِنْدِي عَنْ إِقَامَةِ شَاهِدِهِ، بِمَا أَجَدُّهُ مِنْ مِثْلِهِ. أَمَا شَكْوَى الشَّوْقِ فَقَدْ شَكُوْتُ إِلَى شَاكِّ، وَتَوَجَّعْتُ إِلَى مُتَوَجِّعٍ.

اهداء السلام

أَهْدِي لَهُ السَّلَامَ غُصْنًا طَرِيًّا، وَوَرْدًا جَنِيًّا، وَأَحْمِلْهُ أَنْفَاسَ الشَّمَالِ. فَطَالَ مَا تَرَدَّدَتْ بَيْنَ مُجِبٍّ وَمُحِبِّبٍ، وَأَسْتَوْدَعُهُ نَسِيمَ الصَّبَا، فَنَعَمَ السَّفِيرُ بَيْنَ شَاتِقٍ وَمَشُوقٍ. سَلَامٌ كَأَنْفَاسِ الْأَحْبَابِ، وَأَيَّامِ الشَّبَابِ. فَلَاَنَّ مَخْصُوصُ السَّلَامِ بِالرَّاهِنِ، كَمَا هُوَ مَخْصُوصُ بِالْمَحَاسِنِ. سَلَامٌ عَلَيْهِ مَلَأَ عَرَاصِهِ، وَتَحِيَّةٌ بِحَسَبِ إِخْلَاصِي وَإِخْلَاصِهِ. أَخْصُ مِنَ السَّلَامِ بِأَوْفَرِ الْأَقْسَامِ، وَأَجْزَلِ

السَّهَامِ ، وَأَسْتَدِيمُ اللَّهَ مُدَّتَهُ بَقَاءَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ . أَخَصُّهُ مِنْ أَلْسَلَامٍ بِمَا يُضَاهِي
مَحَاسِنَهُ كَثْرَةً ، وَأَشْكُو قَلْقًا لِفِرَاقِهِ وَحَسْرَةً . سَلَامٌ كَأَيَّامِي عِنْدَهُ نَضْرَةٌ ، وَأَيَّادِيهِ
عِنْدِي كَثْرَةٌ . أَهْدِي لَهُ مِنَ السَّلَامِ عِدَدَ مَحَاسِنِهِ وَمَعَالِيهِ ، وَأَنَارُهُ الْحَمِيدَةُ
وَمُسَاعِيهِ . أَهْدِي لَهُ مِنَ السَّلَامِ مَا يَفُوتُ أَلْعَدَّ ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ . سَلَامٌ
عَلَيْهِ كَأَخْلَاقِهِ أَلْعَذَابِ ، وَمَحَاسِنِهِ أَلرَّحَابِ .

ذِكْرُ الْعِتَابِ

الْعِتَابُ جَلَاءٌ لِلْمَوَدَّةِ ، وَصَيْقَلٌ لِلْأَخْوَةِ ، يُسْتَثَارُ رَوْنَقُهَا ، وَيُسْتَخْرَجُ
فِرْنْدُهُمَا . بَيْنَنَا عِتَابٌ جَحْطَةٌ ، كَعِتَابٍ لِحِظَةٍ . مِنْ مَنَافِعِ أَلْعِتَابِ أَنَّهُ يُطْرِي
خَلْقَ الْوُدِّ ، وَيَجْلُو غُيْبَةَ أَلْعَهْدِ ، وَيَدَاوِي أَدْوَاءَ أَلْقُلُوبِ ، وَيُتَرْجِمُ عَنْ خُفَيَّاتِ
أَلْغُيُوبِ . الْعِتَابُ حَدِيقَةُ الْمُتَحَابِّينَ . وَرَوْضَةُ الْمُتَاصِفِينَ . الْعِتَابُ نَعِمَ أَلدَّوَاءِ
إِذَا عَرَّضَ فِي الْوُدِّ دَاءً وَلَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يُصَادَفِ الْعِلَّةُ ، أَفْسَدَ أَلْصِّحَّةَ ، وَمُعَاتَبَةُ
الْبَرِيِّ أَلْسَّلِيمِ ، كَمُعَالَجَةِ أَلصَّحِيحِ غَيْرِ أَلْسَّقِيمِ .

شَكْوَى الْأَعْرَاضِ وَالْجَفَاءِ وَسُوءِ الْعَهْدِ

قَدْ رُمِيتُ بِسُوءِ إِعْرَاضِهِ ، وَنَصَبْنِي جَفَآؤُهُ أَقْرَبَ أَغْرَاضِهِ . صِرْتُ عِنْدَكَ مِنْ
مَعَا أَلنَّسِيَانِ صُورَتِهِ مِنْ صَدْرِكَ ، وَأَسْمَهُ مِنْ صَحِيفَةِ حِفْظِكَ . أَدْرَجْتَنِي فِي
أَثْنَاءِ الْغَفْلَةِ ، وَطَوَيْتَنِي فِي أَدْرَاجِ الْجَفْوَةِ . نَسِيتَنِي وَمَا كَانَ مِنْ حَقِّي أَنْ أُنْسَى ،
وَطَوَيْتَنِي فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى . بَعْتَنِي بَيْعَ أَلْخَلْقِ ، وَلَيْسَ فِيمَنْ زَادَ ،
وَلَكِنْ فِيمَنْ نَقَصَ . أَظُنُّ أَلذَّهْرَ قَدْ فِطِنَ لَصَفَائِكَ فَكَدَّرَهُ ، وَأَهْتَدَى لِإِخْوَانِكَ
فَأَفْسَدَهُ . قَدْ هَجَرَنِي هَجْرَةً مُرَّةً ، وَقَطَعَنِي قَطِيعَةً فَظِيعَةً . أَنْتَ تَتَذَكَّرُ إِخْوَانَكَ
مَعَ أَهْلَةِ الْأَعْوَامِ ، وَتُظْهِرُ لِأَصْدِقَائِكَ مَعَ ظُهُورِ الْإِمَامِ . أُنْزِلْتَ عَلَيْكَ فِي
أَلصَّدُودِ آيَةً ؟ أَمْ رُفِعَتْ لَكَ فِي النُّبُوِّ رَايَةٌ ؟ . فَلَا نَ عَلَى قَدْرِ عُلُوِّ سَيْنِهِ ،
أَنْخَفَاضِ وُدِّهِ . وَبِحَسَبِ عِبَالَةِ جِسْمِهِ ، نَحَافَةِ عَهْدِهِ . قَدْ تَرَكْنِي بِدَارِ ضِيَاعٍ ،

ومَدْرَجَة آتضاع . أدرجني في أثنَاء الغفلة ، كما طُوي ثوبٌ على غِرِه ،
وأهملني إهمال النسي الذي نُهي عن ذكره ، صدَّ صدود المغمور عن
الخمر ، وأعرض إعراض الغواني عن بياض الشعر أراني كلما بُعِدَتْ صُحبة ،
رَجَعَتْ رُبّة ، وكلما طالت خدمة ، قُصُرَتْ حِشمة حرُّ شوقي لا يصبر على يرد
جفائك ، ورقّة قلبي لا تُقاوم غِلظة إعراضك . كأنَّ الزَّمان يستملي أنواع
الجفوة من طبعك ، ويستقي أصناف القسوة من بحرك لا أدري هل أشكوك
إلى اللّهُرام أشكوه إليك؟ فإنكما في قطعة الصديق رضيعا لبان ، وفي
استيطاء مركب العقوق شريكا عِنان .

سائر ألفاظ العتاب والاستزارة

لايكأذ خيالُك يُغبني نوما ، فما لكتابك لا يَسُرني يوما . أنت سخيٌّ بمالك
على من يُطالبك . بخيلٌ بكتابك ، على من يُكاتبك . تتوسع في ألوف فتضايق
في حروف . قد طواني مُنذُ نشرته ، وجفاني حين بَرَرته ، وترك أن يُطالع
بحرف ، أو يطيل المودة إلا على حرف . إن لم يكن لنا مطعم ، في درك
درك ، فأعفنا من شركٍ شرك . في الأرض مجالٌ إن ضاقت ظلالك ، وفي
الناس واصلٌ إن رُئت حبالك . كنتُ أحسبك تهتز إذ لوَحَتْ فصرت ترتز وإن
صرحت . قد قام بيني وبين أصلك حاجز من فعلك ، سيسطحني لك فضلك
من فعلك ، وكفى بك نائباً عني في عدلك . هنيئاً لك من جمانا ما تحله ،
ومن عُرانا ما تحله ، ومن أعراضنا ما تستحله . أين يا سيدي ذمار العشرة ،
وذمام الصُّحبة . أتميل عمّن يميل إليك ، وتصرف وجهك عمّن وجهه لك ،
وتولي عمّن قبلته أنت . هذا ألفناء خصب المراد ، فما بالي فيه عسر
المراد ، وتوفر مولاي على غير مُستزاد ، فما بالي حصَلْتُ على غير زاد . ما
بالك تبخل علي بالألف من خط قلمك ، وتجدد على سائلِك بالألف من
كرمك ، وتناقشني بالسطر من حوارك ، وأنت تسامح الإخوان بشطر يسارك .

وصف العتاب عند الجواب عنه

عتابٌ سماءُهم تمور، ومراجله تفور. تعتابُ يهزُّ الفوارع، وتقريع يحكي القوارع. قد قرع سمعي من عدله، ما جاوز خفق الرعود، وصك قلبي من توبيخه. ما أنسى زئير الأسود. وصل كتابك بعتب كالعصب، وملام كالحسام. عتابٌ يفلق الحجر، ويقطع الماء العد. عتبٌ مقابله تكرر كالأقدار، وعدلٌ كتابه تصول كالفلك المدار، حتام هذا التوبيخ والتهجين والعتاب الهجين. وصل كتابك الذي كله عتب وليس ذنب، وعدلٌ وليس عدل، وتقريع وليس تضجيع، وتأنيب وليس تثريب، وتظلم وليس تألم وشكاية وليست نكايه.

لبس الصديق على علاقته والاضواء عن هنائه

قاربته إذا جاذب، وواصلته إذا جانب، وشربته على كدورته، ولبسته على خشونته، وكاتبته أستمداً وداده، وأستلين قياده، وأستميل فؤاده. قد تركته بعرة، وطويته على غرة. جررت أذيال التغافل دون فرطه، وسرت بأجنحة التجاوز على سقطته. أعرته أذنًا صماء وهي سماعة، وعينًا عمياء وهي بصيرة. سحبته عليه ذيل التغافل، وغضضت دونه طرف التساهل.

وصف الغيظ والحدرد

اضطرب وأضطرم، وأحتد وأحتدم. جاء بأوداج لا يسعها الزران، وعيناه في رأسه تذران. فلان يتصللي بنار الصبر ويتصلب، ويتقل على جمر الغيظ ويتقلب. يفور غيظاً، ويتميز حقداً، ويتلظى غضباً، ويتزيد حنقا. غالب غيظه وهو يغلبه، وكظمه وهو يشغله. قد التهب جمره الغيظ في صدره، ونطقت ترجمته الحقد عن عينه. يغالب نفسه على الاغضاء، ويتلوى تلوي الحية في الرضاء. فلان غضبان حتى ما تنفع فيه حيلة، ولا تصلحه رقية، ولا تهزه

نادرة، ولا تبسطه مُضحكة. إِنْ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ أَعْرَضَ عَنِّي، وَإِنْ حَدَّثْتَهُ
ازْوَرَّ عَنِّي، وَإِنْ قَبَّلْتُ فِي عَيْنِهِ دَفَعَ فِي صَدْرِي.

الاعتذار والاستصفاح والاستعطاف

الكَرِيمُ إِذَا قَدِرَ غُفِرَ، وَإِذَا أَوْثَقَ أُطْلِقَ، وَإِذَا أَسَرَ أُعْتِقَ. قَدْ هَرَبْتَ مِنْكَ
إِلَيْكَ، وَاسْتَعْنَتْ بِعَفْوِكَ عَلَيْكَ، فَأَذَقْنِي حَلَاوَةَ رِضَاكَ عَنِّي، كَمَا أَذَقْتَنِي مَرَارَةَ
أَنْتِقَامِكَ مِنِّي. الْحُرُّ كَرِيمُ الظُّفْرِ. إِذَا نَالَ أَقَالَ، وَآلِثِيمٌ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ. قَدْ
هَابَكَ مِنْ أَسْتَرٍ، وَلَمْ يَذْنِبْ إِلَيْكَ مَنْ أَعْتَذَرَ. تَكَلَّفَ الْإِعْتِذَارَ بِلَا زَلَّةٍ، كَتَكَلَّفَ
الذَّوَاءَ بِلَا عِلَّةٍ. لَا تُضَيِّقَنَّ عَنِّي سَعَةَ خُلُقِكَ، وَلَا تَكْدِرَنَّ عَلَيَّ صِفْوَةَ وَدِّكَ،
مَثَلُ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَأَذْرَى مَطَامِعِ الْإِسْتِعْطَافِ لَدَيْهِ. إِذَا شَاهَدْتَ تِلْكَ الشَّمَائِلَ لَمْ
تَهَبْ بَيْنَنَا شِمَالٍ مُوجِدَةٍ، وَلَمْ يَسْكَبْ عَلَيْنَا سَحَابٌ مَعْتَبَةٍ. مُوَلَايَ يُوجِبُ
الصَّفْحَ عِنْدَ الزَّلَّةِ، كَمَا يُلْتَزِمُ الْبَذْلَ عِنْدَ الْخَلَّةِ. مُوَلَايَ يُوَلِّينِي صَفْحَةَ صَفْحِهِ،
وَيُوَلِّينِي الْإِعْفُوَ مِنْ عَفْوِهِ. مَالِي ذَنْبٌ يَضِيقُ عَنْهُ عَفْوُكَ، وَلَا جُرْمٌ يَتَجَافَى عَنْهُ
تَجَافِيكَ وَصَفْحُكَ، قَدْ زَلَلْتُ وَقَدْ يَزِلُ الْعَالَمُ الَّذِي لَا أُسَاوِيهِ، وَعَثَرْتُ وَقَدْ
يَعَثُرُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا أُجَارِيهِ. يَنْبَغِي أَنْ يَكْتَفِيَ فِيَّ مِنَ التَّأْدِيبِ بِمَا لَا يَتَجَاوَزُ
حَدَّ الْإِصْلَاحِ وَالْتِهَازِ. الْإِعْفُوُ عَنِ الْمُجْرِمِ مِنْ مُوَاجِبِ الْكَرَمِ، وَقَبُولُ
الْمَعْذَرَةِ مِنْ مُحَاسِنِ الشَّيْمِ. أُعِيدْ مُوَلَايَ مِنْ أَنْ يَغْلُظَ وَقَدْ لَاطَفْتَهُ، وَيَقْسُو وَقَدْ
اسْتَعْطَفْتَهُ.

ذكر العذر الضعيف النافذ

هَذَا عُذْرٌ إِنْ كُنْتَ عَوَّلْتَ عَلَيْهِ، وَأَصْطَرَحْتَ إِلَيْهِ. فَقَدْ قَطَعَ بِكَ وَقْتُ الْحَاجَةِ
قُطْعَكَ فِي مَوْقِفِ الْمُحَاجَةِ. عَذْرُكَ مَا زَالَ يَنْقَبِضُ فَأَبْسَطَهُ، وَيَقْلُقُ فَأَمْهَدَهُ
وَيَتَأَخَّرُ فَأَقْدَمَهُ، وَيَعَثُرُ فَأَنْعَشَهُ. تَلْقَانِي بِعُذْرِ كِنَارِ الْحَبَاحِبِ، وَنَسِجِ الْعِنَاكِ.
عُذْرٌ يَتَعَذَّرُ قَبُولُهُ، وَيَتَلَاشَى مَحْصُولُهُ. عُذْرٌ مُتَضَائِلُ الشَّخْصِ، تَلَوِّحٌ عَلَيْهِ

سِمَةُ النِّقْصِ. هذا عُذْرٌ مُنَمَّقٌ، واحتجاجٌ مُلَفَّقٌ. كم هذا أَلْتَعَثَّرَ في أذْيَالِ المعاذيرِ، وأَلْتَعَلَّقُ بأسبابِ المقاديرِ. مَعَاذِيرُ تَتَعَثَّرُ في أذْيَالِهَا، وتَنَكِّصُ عَلَى أعْقَابِهَا، وتَطْمَسُ وُجُوهَهَا عَلَى أَدْبَارِهَا، وتردُّ رؤُوسَهَا إِلَى أذْنَابِهَا. عُذْرٌ لَكِنَّهُ لِسَانُ الزُّورِ، وحَاكِيتهُ يَدُ الْغُرُورِ. أَتَانِي عُذْرٌ يَتَعَثَّرُ فِي ذَيْلِ الْخَجَلِ، وَيَتَلَقَّعُ بِقِنَاعِ الْعِيِّ وَالْوَجَلِ. عُذْرٌ لَمْ يَتَوَلَّ الْحَقُّ نَسَبَهُ، وَلَمْ يُوَضِّحِ الصَّدَقُ نَهْجَهُ.

ذكر قبول المعذرة وزوال الوحشة والموجدة

قَدْ نَزَعَ اللَّهُ مَا كَانَ فِي صَدْرِي مِنْ غَلٍّ، وَجَعَلْتُ فَلَانًا مِمَّا سَلَفَ فِي حِلٍّ. قَدْ أَنْطَفَأَتْ تِلْكَ أَلْوَقْدَةُ، وَأَنْحَلَّتْ تِلْكَ أَلْعُقْدَةُ، وَزَالَ سُكْرُ الْغَيْظِ، وَسَكَتَ لِسَانُ الْغَضَبِ. كَمْ نَابَ بِعَظْفِهِ أَنْابٌ، وَمَزُورٌ بِجَانِبِهِ تَابٌ. وَصَلَ فَلَانٌ حَبْلَ الْأُخُوَّةِ، وَرَمَّ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ، وَطَوَى بَسَاطَ الْوَحْشَةِ، وَطَرَى مَا كَانَ يَنْهَجُ مِنْ ثَوْبِ أَلْتُّقَّةِ. قَدْ رَأَيْتُ بَأْنَ أَطْوَى بَسَاطَ الْوَحْشَةِ، وَاخْفَضَ عِمَادَ النَّبُوَّةِ، وَأَخْرَجَهُ وَأَخْرَجَ مَعَهُ عَنْ ضَيْقِ الْمُنَاقَشَةِ، إِلَى فُسْحَةِ الْمَسَامَحَةِ، وَعَنْ حَزُونَةِ الْمَعَاسِرَةِ، إِلَى سُهُولَةِ الْمَعَاشِرَةِ. قَدْ زَالَ عَثْبُنَا، وَأَنْقَطَعَ مَلَأْمُنَا، وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقِ كَلَامِنَا. قَدْ أَنْطَفَأَتْ نَارُ عَثْبِهِ، وَسَكَنْتْ شِقْشِقَةُ سَبَبِهِ. أَمَّا سَوْرَةُ الْغَضَبِ فَقَدْ بَرَدَتْ، وَفُورَةُ الْغَيْظِ فَقَدْ خَمَدَتْ. أَمَّا أَلْعُذْرُ فَقَدْ تَصَرَّفَتْ مِنْهُ فِيمَا لَوْ أَتَى أَلْدَّهْرُ بِمِثْلِهِ، لَصَفَحَ عَنْ صُرُوفِهِ، وَأَمِنَ الْمَحْذُورُ مِنْ مَخُوفِهِ. لَا جَرَمَ أَنَّهُ عَفَى مَعَالِمَ الْجُرْمِ، وَلَمْ يُبْقِ مِنَ أَلْعَثْبِ عَلَى رَسْمٍ وَلَا اسْمٍ.

آخر كتاب الإخوانيات وما يأخذ مأخذها، والله الحمد والمئة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب السلطانيات

وما يأخذ مأخذها

ذكر الخلفاء

قد خصَّه الله بشرف الولادة ، وحاز له إرث النبوة ، وبوّاه محلّ الخلافة ، وأسترعاه أمر الأمة . لا دُنْيا إِلَّا به ومعه ، ولا دِين إِلَّا لمن تولّاه وأتبعه . قد آجته الله لوراثته الرّسالة ، وجعل طاعته فرقا بين الهدى والضلالة ، وجعل آيته الكبرى ، ورايته العليا ، إذ كان راعي دين الله وإمامه ، ووارث علم رسول الله ومقامه . كافل الأمة وراعيها ، وسائس اللّٰه وحاميها . سليل النّبوة ، وعقيدُ الخلافة ، وسيد الأنام ، والمستنزل بوجهه دُر الغمام . إن الله شفّع النّبوة بالخلافة إكمالا للرّحمة والرّأفة ، وقرن الرّسالة بالإمامة نظرا للخاصّة والعامة . قد حاز الله لمولانا أمير المؤمنين موارث آبائه الراشدين الذّائدين عن حوزته ، اللّاحنين بحجّته ، العامرين لبلاده ، الرّاعين لعباده ، الأمرين بما أمّر ، الناهين عما حُظر . مولانا كفؤ الملّك ، وكافي الخلق ، ورب السّرير ، ورب التّدبير .

ذكر السلطان وطيب ثمره من والاه وسوء مغبة من ناواه

السلطان ظلّ الله في أرضه ، والمؤتمن على حقّه ، وآليدُ المبسوطة على خلقه ، يرحم ما وسعت الناس النعمة ، ويعاقب إذا أصلحتهم النّعمة ، عالما

أَنَّ اللَّهَ قَرْنَ وَعَدَهُ بِوَعِيدِهِ وَثَوَابَهُ بِعِقَابِهِ مَنَحَةً سَابِغَةً، وَحَكَمَةً بِالْغَةِ. السُّلْطَانُ زِمَامٌ عَلَى الْمِلَّةِ، وَنِظَامٌ لِلْجُمْلَةِ، وَجَلَاءٌ لِلْغُمَّةِ، وَرِبَاطٌ لِلْبَيْضَةِ، وَرِجَامٌ لِلْحَوَازَةِ. مَنْ عَصَى السُّلْطَانَ فَقَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ. السُّلْطَانُ يَدَافِعُ عَنْ سَوَادِ الْأُمَمَةِ. وَبِيَاضِ الدَّعْوَةِ. مَنْ شَايَعَهُ حَمْدَ يَوْمَةٍ وَغَدَةٍ، وَرَعَى مِنْ الْبَيْتِ أَرْغَدَهُ، وَمَنْ نَابَذَهُ كَانَ فِي الْأَشْقَيْنِ مَكْتُوبًا، وَلِلْغَمِّ وَالْيَدَيْنِ مَكْبُوبًا. مَا يُلْجَأُ إِلَيْهِ لِأَجْلِ إِلَّا سَعِدَ جَدُّهُ، وَوَرَى زَنْدُهُ، وَنَفَذَ حَدُّهُ، وَزَادَ عَلَى يَوْمِهِ غَدُهُ، وَلَا يُفَارِقُ الْاِعْتِصَامَ بِحَبْلِهِ مَفَارِقُ إِلَّا حَالَفَهُ الْخُسْرَانُ، وَعَانَقَهُ الْخُدْلَانُ، وَرَصَدَتْ لَهُ الْمَنُونُ، وَلَمَحَتْهُ الْحَرْبُ الطَّحُونُ.

العدل وحسن السيرة

سَطَعَتْ مَصَابِيحُ الْعَدْلِ وَأَنْوَارُهُ، وَطَلَعَتْ شَمُوسُ الْأَمْنِ وَأَقْمَارُهُ. قَدْ أَحْيَا سُنَنُ الْعَدْلِ، وَأَمَاتَ سِيرَ الْجَوْرِ فَحَمَى الدِّينَ مَنِيعٌ، وَجَنَابَ الْمَلِكِ مَرِيحٌ. قَدْ بَسَطَ لِرَعِيَّتِهِ فَرَاشَ الْعَدْلُ، وَرَدَّ إِلَيْهِمْ رِيَاشَ الْفَضْلِ. قَدْ أَنَامَ الْأَنَامُ فِي ظِلِّ عَدْلِهِ، وَوَسِعَهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ. رَعِيَّتُهُ نِيَامٌ نَوْمَ الْأَمْنَةِ، وَسُكَارَى سُكْرِ الثَّرْوَةِ، وَمَتَكُثُونَ عَلَى فَرَاشِ الْعَدْلِ وَالنَّصِيفَةِ، فِي يَدِهِ خَاتَمَ عَدْلٍ، وَفِي حُكْمِهِ صَارُمُ فَضْلِ. نَفُوسُ الرُّعِيَّةِ فِي ظِلَالِ السَّكُونِ وَادْعَةٍ، وَفِي رِيَاضِ الْأَمْنِ رَاتِعَةٍ. أَقْلَعَتْ غَمَائِمُ الشَّرِّ فِي أَيَّامِهِ، وَأَنْقَطَعَتْ سَمَائِمُ الظُّلْمِ بِأَحْكَامِهِ. بَرَزَ الْحَقُّ فِي أَحْسَنِ مَلَابِسِهِ، وَنَجَمَ الْعَدْلُ فِي أَزْكَى مَغَارِسِهِ. أَطْلَعَ كَوَكَبَ الْعَدْلِ وَكَانَ خَافِيًا، فَأَوْضَحَ مَذْهَبَ الْأَمْنِ وَكَانَ عَافِيًا.

حسن السياسة وتصريف أئنة المملكة

قَدْ صَرَّفَهُمْ بَيْنَ مِيعَادِهِ، وَخَشُونَةِ إِيعَادِهِ، وَأَرَاهِمَ بَرِيقَ حُسَامِهِ، مَشْفُوعًا بِبُرُوقِ إِنْعَامِهِ. صَرَّفَهُمْ عَلَى مَا هُوَ لَشْمَلُ الدِّينِ أَجْمَعِ، وَلِكَلِمَةِ الضَّلَالِ أَقْمَعَ. مُسْتَقِرٌّ فِي دَرْوَةِ عِزِّهِ، مُسْتَقِيلٌ بِأَعْبَاءِ مُلْكِهِ. يَتَصَرَّفُ لِلسِّيَاسَةِ بَيْنَ رَفِيقٍ مِنْ غَيْرِ

ضَعْفٌ، وَخُشُونَةٌ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، عَلَى بِلَادِ مَمْلَكَتِهِ، مِنْ حُسْنِ سِيَاسَتِهِ. حَرَسَتْ
تَتَبَعَ الْمَرْقَةَ بِشُهْبِ الْإِرْدَاءِ وَالْإِتْوَاءِ، وَرَضُدُ يَعْقُبُ الْفَسَقَةَ بِرَجُومِ الْإِبَادَةِ
وَالْإِفْنَاءِ. لَا يَدْعُ الْفَسَادَ يَسْرِي، وَدَاءُ الضَّلَالِ يَسْتَشْرِي. قَدْ عَوَّدَ فِي مَمَالِكِهِ
الْحَيَاظَةَ حَتَّى لَا يُحِلَّ حَرَامُهَا، وَلَا يُنْفَذُ سَوَامُهَا، وَلَا تُدْعَرُ جَوَانِبُهَا، وَلَا تَدْبُّ
عِقَابُهَا. قَدْ بَسُطَ ظِلُّهُ عَلَى النَّهَارِ حَتَّى لَا تَشُبُّ نَوَائِبُهُ، وَعَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا
تَدْبُّ عِقَابُهَا. رَعَاهَا وَهِيَ تُغْرِي رَاعٍ، وَحَمَاهَا وَهِيَ سَرَحَ يَضَاعُ، هُوَ عَلَّمَ فِي
الْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ، وَجَامِعُ مَصْلَحَةِ الْعَامَةِ إِلَى مَصْلَحَةِ الْخَاصَّةِ.

يَمِنْ النَّقِيَّةِ

قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ الْإِيمَانَ، وَبَسَطَ بِمَكَانِهِ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَعَرَفَهُمْ بِطَلْعَتِهِ
الْيَمِينَ. أَوْلِيَاؤُهُ مِنْهُ بَيْنَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ، وَنَجْمٍ مَسْعُودٍ. قَدْ أَهْدَى إِلَى الْبِلَادِ أَمْنًا،
وَقَدْ خَيَّمَ فِيهَا الدُّعْرَ، وَأَسْتَحْفَظَ عَلَى الْبِلَادِ خَيْرًا، وَقَدْ حَوَّمَ عَلَيْهَا الشَّرَّ. أَيَّامُهُ
تُشْرِقُ إِشْرَاقَ الصُّبْحِ اللَّامِعِ، وَأَثَارُهُ تَضِيءُ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ الطَّالِعِ. جَرَى مَجْرَى
الْغَيْثِ إِذَا عَمَّ وَطَبَقَ، وَقَرْنُ الشَّمْسِ إِذَا ذَرَّ وَأَشْرَقَ، حُلٌّ مَحَلِّ الْغَيْثِ عِنْدَ
اللَّدْبَةِ، وَالْغَوُثُ عِنْدَ الْكُرْبَةِ. أَفَاضَ الْخَيْرَ وَدَوَاعِيَهُ، وَحَسَمَ الشَّرَّ وَعَوَادِيَهُ.

اتساع المملكة والإستظهار بالرجال وكثرة الأموال

قَدْ أَوْجَدَهُ اللَّهُ ثَرَوَةً مِنَ الدِّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ، وَكَثْرَةً مِنَ الرِّجَالِ وَالْأَبْطَالِ، اسْتَظْهَرَ بِكُلِّ
مَا أَقَامَ مِنْ دِينِ اللَّهِ أَوْدًا، أَوْ هَاضَ مِنْ عُدُوَّةٍ جَنَاحًا وَيدًا. قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْهِ الدُّنْيَا
أَزْمَتَهَا، وَمَلَكَتْهُ الْأَرْضُ أَعْتَتَهَا. قَدْ وَطَّأَ اللَّهُ لَهُ مِهَادَ الْمُلْكِ، وَأَعْطَاهُ مِفْتَاحَ
الْأَرْضِ لَأَنْتَ لَهُ أَخَادِعُ الْبِلَادِ، صَفَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا، وَدَانَتْ لَهُ الْجِيُوشُ
بِجَمَاهِيرِهَا. قَدْ أَعْلَى اللَّهُ كَلِمَتَهُ، وَرَفَعَ حَكْمَتَهُ، وَأَعْلَى يَدَهُ وَجُنْدَهُ، وَجَمَعَ
أَسْبَابَ السَّعَادَةِ عِنْدَهُ، قَدْ مَلَكَهُ اللَّهُ أَقْطَارَ بِلَادِهِ، وَنَوَاصِي عِبَادِهِ، قَدْ عَوَّدَ اللَّهُ
دَوْلَتَهُ ثَبَاتَ الْأَرْكَانِ، وَتَظَاهَرَ الْعِزَّ وَالسُّلْطَانَ، وَاسْتَظْهَرَ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ.

بنود مرفوعة بالنصر، وجنود كعدد القطر وأموال ككثبان الرمال، وذخائر أملاء
الهمم والآمال.

ذكر الملك المعظم النصر السعيد الجدد الميمون الطالع

لأن أمره كل متصغر، ودان لحكمة كل متوغر، واستجاب لإرادته ما
أرتاد، وأنضاف إلى مملكته ما استضاف وأزاداد. سعادته تستخدم الأفضية،
وتعيد الدروب أفضية. أفضى به فتح إلى فتح، وقضى الله بنجح إلى نجاح،
ووزع منابذه بين أظفار الدهور، وقسم مخالفه كأعشار الجزور. البلاد
تتراحم على قصده، والفتوح تتسابق إلى يده. صولته سيان عندها المفاتيح
والمغالق، والمنديح والمضايق. سعادته تدع الدروب صحاصح، وتذر البحور
ضحاصح. هو من يخدمه النصر والنصل، ويقدمه القضاء والفصل. لورقي
إلى الفلك حتى يتناول السعدين بيده، ويطاء النحسين بنعليه، لكانت همته
تعدوعدة بأزيد من ذلك وأكثر، وأعلى وأفخر. ما يههم بأمر إلا أنفتح رتاجه، وهان
علاجه، ولأن شديده، وقرب بعيدة. لم ترد له قط راية، ولا فاتته من مطالبة
غاية. مخاطب من تفضل الله بالسنة الظفر، موعود في منوائيه بتصاريف
الغير. ما يتعدر على أمره معتاص، ولا يكون عن رأيه مناص. العز شامل،
والتمكين متكامل، والعدو مذال، والولي مدال. قد ساق الله إليه عظام
المناجح والمنائح، وكتب له في صحائف النصر بأقلام الصفائح. السعادات
إلى حضرته تتوالى توالي القطار، وتعم كافة العراض والأقطار. الملائكة
جنوده، والخادئات عبدة. آراؤه مفاتيح كل فتح، وراياته ضوامن كل
نجاح.

اصلاح المملكة وإحسان الآثار وتطبيب الأخبار فيها

أحمد جمر الفينة، ومما رسم الفرقة وجمع شمل الألفة. أقام قناة الدين،

وَمَدَّ رِوَاقَ الْمَلِكِ، وَبَسَطَ بَاعَ الْعَدْلِ، وَأَطَالَ عِنَانَ الْإِحْسَانِ. تَوَفَّرَ عَلَى
الْأَطْرَافِ فَحْرَسَهَا، وَأَنْتَدَبَ لَأَثَارِ السُّوءِ فَطَمَسَهَا. لَمْ يَدْعَ لِلْبَاطِلِ عِلْمًا إِلَّا
وَضَعَهُ، وَلَا رُكْنًا إِلَّا ضَعَضَعَهُ. أَذْكَى مِنْ نَوْرِ الْحَقِّ مَا خَبَا، وَأَنْهَضَ مِنْ نَوَى
الْعَدْلِ مَا خَوِيَ، وَحَاطَ مِنْ جِمَى الْخِلَافَةِ مَا وَهَنَ وَوَهَى، ثَقَّفَ قَنَاةَ الصَّلَاحِ
فَلَا تَنَادَى، وَقَطَعَ مَوَادَّ الْفُسَادِ فَلَا تَعْتَادُ. حَقَّنَ الدَّمَاءَ، وَسَاسَ الدَّهْمَاءَ، وَأَقْبَلَ
عَلَى مَصْلَحَةِ الْكَافَّةِ، وَبَسَطَ الْمَعْدِلَةَ وَالرَّافَةَ. كَمَ مُهْمٌ كَفَاهُ، وَدَاءُ فَسَادٍ
شَفَاهُ، وَجَنَاحُ ضَلَالٍ حَصَّه، وَرَاشِشُ خَبَالٍ عَمَّهُ بِالنِّكَالِ وَخَصَّهُ بِقَوِيٍّ كَاهَلَ
الَّذِينَ وَسَاعَدَهُ، وَمَهَّدَ أَسَاسَ الْمَلِكِ وَقَوَاعِدَهُ. قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ جَزِيلِ
الْأَجْرِ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ، مَا لَا تَزَالُ الرِّوَاةُ تَدْرُسُهُ، وَالتَّوَارِيخُ تَحْرُسُهُ. رَفَعَ اللَّهُ
بِمَعَالِيهِ أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ، وَدَفَعَ بِمُسَاعِيهِ صَوَاعِقَ الْأَيَّامِ. اجْتَنَّتْ أَصُولُ الضَّلَالَةِ
وَفُرُوعُهَا، وَحَصَدَ نَجْمُهَا وَزُرُوعُهَا، وَأَبْطَلَ الْبَاطِلَ، وَأَحَقَّ الْحَقَّ، وَأَحْلَى
النُّقْمَةَ بِمَنْ فَارَقَ الْعَصَا وَشَقَّ.

ما يختص من ذلك بالوزراء وأرباب الدولة وأوليائها

سَافِرَ رَأْيِهِ وَهُوَ دَانٍ لَمْ يَنْزَحْ، وَسَارَ تَدْبِيرُهُ وَهُوَ ثَائِلٌ لَمْ يِيرَحْ. النَّجَاحُ مَقْصُورٌ
عَلَى تَدْبِيرِهِ، وَالصَّوَابُ مَقْرُونٌ بِإِمضَائِهِ وَتَقْدِيرِهِ، فَمَا قَدَّمَ فَعَنَ عَجْزٌ أَمْرَ حَدِّثِهِ
بِهِ صَدْرُهُ، وَمَا أَخَّرَ فَلَعَزَمَ حَزْمٌ تَحَقُّقٌ لَدَيْهِ قَدْرُهُ. وَرَثَ ذَاكَ الْمَقَامَ بِحُكْمِ
الْإِسْتِحْقَاقِ الزَّائِدِ، لَا الْإِتْفَاقِ الْمُسَاعَدِ، وَالْإِسْتِثْنَاءِ بِالْمَحَامِدِ وَالْمَنَاقِبِ، دُونَ
الْإِثَارِ بِالْهَوَى الْغَالِبِ. سَهَّلَ الْمُتَعَدِّرَ، وَذَلَّلَ الْمُتَوَعَّرَ، وَأَنَالَ الْبَعِيدَ، وَأَلَانَ
الشَّدِيدَ. هَدَى إِلَى إِجْهَادِ النَّفْسِ فِي الْمَصَالِحِ، وَوَقَفَهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَرَاشِدِ
وَالْمَنَاجِحِ، وَاسْتِيفَاءِ الْحَقِّ بِأَقْصَى الْإِسْطَاعَةِ، وَإِعْطَاءِ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِضَاعَةٍ. هُوَ
بَيْنَ صَدْعِ يُشْعَبِ، وَثَائِي يُرَابِ، وَشَعْتٍ يُلَمِّ، وَشَتَاتٍ يَجْمَعُ، وَخَرْقٍ يُرْقِعُ،
وَذِمَامٍ يُوكِّدُ، وَعَهْدٍ يُؤَيِّدُ، وَثَغْرِ يُسَدِّ، وَعَضْدٍ يُشَدِّ، وَعَقِيرٍ يُوسِي، وَمُهْجَةٍ
تُسْتَحْيَى، وَحُشْنَانِيَّةٍ تُسْتَبْقَى. هُوَ بَيْنَ نُصْحٍ يُؤَثِّرُهُ، وَجَمِيلٍ يُؤَثَّرُهُ. هُوَ مُدَبِّرٌ

الأمرو ومقدّره، وموردُ الرَّأي ومُصدّره ليس قلمه إلّا أوضح من ألسيف غرراً، وأحسن من الذّب عن البيضة أثراً، قلمه ناسج وشيّ مملكته، وناظم عقْد دولته.

ذكر حضرة الملك وساحة السلطان

حضرته موقعُ الوُفود، ومطلعُ الجود، حضرته ملقى الرّجال، وقبله الآمال، مثابةُ المجد، وكعبة الملك. محطّ رَحْلِ الكرم، وغاية مبلغ الهمم. منزعُ المجد، ومطلعُ الفضل، ومزجُ الأمل، وموضعُ الإحسان، ومربّع الملك، وموقع الرّجاء قد حطّ بأخصب ربّع، وأقر به من زرع وضرع. حضرة ينصبُّ إليها موادّ الرّغبات، وتُنشد فيها ضوأل الطلّبات. مثابةُ الجود، ومطلعُ الوُفود، وموسمُ الآداب، ومؤكّب الكتاب. كعبةُ الأمل، وقبله الطّلب، والحاكمةُ ببلوغ الأرب، وحسنُ المُنقلب. عرضُه هي حضرة العَدل، وساحةُ الفضل، ومقرعُ الشكر، ومضرعُ الفقر. مجمعُ الفضائل ومعدنها، ومزجُ المحامد وموطنها. هي كعبةُ المحتاج، إن لم تكن كعبةُ الحجاج، ومشعرُ الكرم، إن لم تكن مشعرُ الحرم، ومُنَى الضيّف إن لم تكن مِنَى الخيف وقبله الصّلات، إن لم تكن قِبلة الصّلاة.

ذكر الوصول إليها والخدمة بتقبيّل الأرض واليد

وصلَ إلى رواق العِزّ، ومستقرّ الملّك. حلّ برَبْع مانوس، وملِك محروس، وأستقرّ بساحة خِصرة، وحصل على عيشة نُصرة، مثلُ إزاء السّرير، وأقبل على الأرض بالتقبيّل. فرّش الأرض بيديهِ فرشاً، ونقش التراب نقشاً. أقبل على أداء الفَرَض، بتقبيّل الأرض. لما رأى قِبلة الأمل، أقبل على الأرض بالقبّل مسح الأرض بتعفيره، ووصل سجوده بتكفيره، قبل اليد العالية بالمكارم، الطاهرة من المآثم. قبل من أنامله مفاتيح الآفاق،

وينابيع الأرزاق. قبل اليد التي هي قبلة القبل وكنز الأمل.

ما يقع في هذا الباب

من ذكر العُصاة والآعداء ووصف أحوالهم ونعت أفعالهم

البطر وكفران النعمة والضميم والإستلاء

فلان قد أثرى فبغى، وأستغنى فطغى. أرضته الموهبة فتسخطها، وشملته النعمة فغمطها. نعم ترتع في أكلائها، وتغفل عن شكر آلائها. ما زالت الأيام تكشف لنا عن مساويه، وغلط رأينا فيه، وتدل على أن الإحسان إليه يفسده بقدر ما يصلح من النجيب، والإنعام يضر فيه بقدر ما ينفع في اللبيب. انكشف عنه حس الإصطناع، عن قبح الإمتناع، وكثرة البر، عن قلة الشكر أشر حين أيسر وحشته، وغدر يوم صفت عيشته، جحد النعمة بعد أن رفعت عن خمول، وغمط الصنعة وقد أطلعت عن أفول. غمط النعمة التي أوجدته عن عدم، وحلته عن عطل. أساء مجاورة النعم فكفرها، وجلل صفحة الصنعة بالغموط فأنكرها. لبس ثوب الخذلان، وجاهر بالبغى والعدوان، وقابل النعمة بالكفران. حسب أن الغنم في الكفران والكنود، وأن الثعالب تسطو في مرائب الأسود.

ركوب الهوى وطاعة الأمانى الكاذبة والآراء الفاسدة

قد ركب أضاليل الهوى، وأباطيل المنى، وأحاديث النفوس الكواذب، ووساوس الآمال الخوائب، هيهات ما أضل ذلك من رأيٍ وأسوأ من اختيار وأبعده من سدادٍ وصواب، وأخلقه بعائدة وبالٍ ونكال. يفتل في حبل آلمنى غارباً وذرى، ويخبط خبط العشواء سبراً وسرى. قدر أن معمر رأينا يلين له، وأيدي انتصارنا تقصر عنه، فركب راسه، وأطاع وسواسه. يتمنون أمانى

الكَاذِبَةُ، وَيُظَنُّونَ الظُّنُونِ الْخَائِبَةِ. وَقَدْ غَرَّتْهُ نَفْسُهُ، وَكَذَّبَتْهُ أَمَلُهُ وَحُشُّهُ. حَسَبَ أَنَّهُ يُزَاحِمُ لُيُوثَ الشَّرِّ، بِنِعَامِ الْقُرَى، وَأَسَادَ الْغَابَةِ، بِأَعْيَارِ الْعَانَةِ. تَأَمَّرُوا بِنَجْوَى الضَّلَالَةِ، وَتَرَدَّدُوا فِي كَوَاذِبِ آلَامَالِ. رَعَوْا مَرَاتِعَ الظُّنُونِ، وَلَمْ يَرَوْا مَطَالِعَ الْمَنُونِ.

المداجاة والمراوغة في تربص الدوائر

قَدْ طَالَتْ لِلدَّوْلَةِ مُدَاجَاتُهُ، وَدَامَتْ لِأَوْلِيَائِهَا مِمَارَاتُهُ. يَوْهَمُ طَاعَةً يُضْمِرُ خِلَافَهَا، وَيَتَرَبَّصُ فِتْنَةً يَسْتَدِرُّ أَخْلَافَهَا. مَا زَالَ يُوْهَمُ وَفَاقًا، وَيُضْمِرُ نِفَاقًا، وَيَبْذُلُ صِدْقَ طَاعَةٍ وَوَلَاءٍ، وَيُسِرُّ حَسْوَاً فِي أَرْتَغَاءٍ. قَدْ تَحَلَّى بِمُؤَالَاةٍ وَمُؤَافَقَةٍ لِيَسْهَمَا عَلَى مُدَاجَاةٍ وَمُنَافَقَةٍ وَتَجَلَّبَبَ طَاعَةً شَاكِرَ طَائِعٍ، قَدْ أَفَاضَهَا عَلَى جُثْمَانِ خَالِعٍ. هُوَ يُوَكِّي عَلَى الْغِشِّ عِيَابَهُ، وَيَحْنُو عَلَى الْنُكْثِ ضُلُوعَهُ وَحِجَابَهُ، وَلَا يُبْذِي لَنَا بَادِيَةً وَفَاقٍ، إِلَّا عَنْ خَافِيَةِ نِفَاقٍ، وَلَا يُطْلِعُ طَالِعَةً وَدَادٍ إِلَّا عَنْ خَبِيَّةٍ عِنَادٍ، وَلَا يَبْرُزُ فِي شِمِيمَةٍ مِنْ شِيمٍ أَلْتَقَرَّبَ إِلَى قُلُوبِنَا، إِلَّا كَانَتْ غِطَاءً عَلَى حِيلَةٍ يَعْمَلُهَا، وَغِيلَةً يَرْصُدُ لَهَا، وَغِشَاءً عَلَى فُرْصَةٍ يَنْتَهِزُهَا، وَغَرَّةٍ يَهْتَبِلُهَا. طَاعَةً تُبْدِي صَفْحَتَهَا، وَإِنْ لَمْ تُخْلَصْ صَفْقَتَهَا، يُظْهِرُ أَلْعَاضِدَةَ، وَيَبْطِنُ الْمَعَانِدَةَ. هُوَ مُضِبٌّ عَلَى النِّفَاقِ، مُعَدُّ لِلشَّقَاقِ. يَلْقِي الْأَوْلِيَاءَ بِوَجْهِهِ، وَالْأَعْدَاءَ بِقَلْبِهِ، وَيَكْشُرُ لَهُوْلَاءَ عَنْ بُغْضٍ، وَلَهُوْلَاءَ عَنْ حُبٍّ. أَظْهَرَ تَسْلِيماً يَتَخَلَّلُهُ لِحَاجٍ، وَأَبْدَى أَسْتِقَامَةً يُكْدِرُهَا أَعْوِجَاجٍ.

تسويل الشيطان لمن يقرع باب العصيان

قَدْ نَعِيَ الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ فَاسْتَجَابُوا لِدُعَائِهِ، وَحَسَّنَ لَهُمْ إِسْخَاطَ سُلْطَانِهِمْ فَاسْرَعُوا إِلَى نِدَائِهِ. أَوْسَعَهُمُ الشَّيْطَانُ تَسْوِيلًا، وَأَسْتَهْوَاهُمْ تَغْرِيراً وَتَضْلِيلًا. نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي سَحَرِهِ وَمَنَاخِرِهِ، وَضَرَبَ بِأَلْسَادٍ بَيْنَ أَوَائِلِ أَمْرِهِ وَأَوَاخِرِهِ، وَحَبَّبَ لَهُ أَلْعِنَادَ حَتَّى شَبِطَ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَكَرَّهُ إِلَيْهِ الرِّشَادَ حَتَّى أَلْقَاهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَتَحْتَ قَدَمِهِ. صَافَحَ الْخِذْلَانَ فَاغَادَرَهُ رَهِينًا، وَقَارَنَ الشَّيْطَانُ وَسَاءَ

قرينا. استزل الشيطان قدمه، وعرض دمه، وأطال ندمه، نزع له شيطانه، وأمتدت في الغي أشطانه، وجد الشيطان بينهم منزعا، ولصائب سهمه فيهم منزعا. عاد الشيطان يسدي ويلجم في القباح الشحنا، ويسرج ويلجم في إلقاء العداوة والبغضاء. طاوع شيطانه إذ أظله، وزل معه حين استزله. قد أنخرط في سلك، وأظهر كلمة العصيان. أبى إلا أمتداد عنانه، في الانقياد لشيطانه، وأشداد قواه، في الاستسلام لهواه.

ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما يتعلق بخلال العصيان

أقام على الغي الذي هو له موضع، والبغي الذي هو فيه موضع. حلف على الموالاة فحيت، وعهد في المصافاة فنكت، علمت حال فلان في حينه وشقائه، وسفاهة عقله ورأيه ودخوله في ظلمة المعصية، وخروجه من نور الطاعة، وركوبه المركب الذي لا بد أن يترجل راكمه، بل يتخذل فارسه. فلان قد عصى، وشق العصا، وخلع ربة الطاعة، وفارق ظل الجماعة، جن قلب المجن. عكف على استضلال الغواة، وصار مجنا دون الجناة. قد مد يدا قصيرة، ليتناول غاية بعيدة. فض ختام العافية بالعدر، وبدد شمل الخبر بقلة الشكر. قد شرب كأس الجهالة، واستوطا مركب الضلالة، عاد زند شرة قادحا، وفتي ضره قارحا. قد شملت معرته، وعظمت مضرتة. راغ عن المذهب القويم، وزاغ عن الصراط المستقيم. أضله عماه، وزلت به قدماه. تسنم وعد الخطاة العظيمة، وركب ظهر الفتنة الجسيمة. طار في ضلاله ووقع، وتاه في غيه وتسكع. امتطى ظهر الإغتراب، وأطاع داعي البوار ذهب في العصيان شر مذهب، وامتطى من الطغيان أصعب مركب. رشح أطفال الضغائن، وأحيا أموات السخائم، وأدب عقارب الشر، وأدر لقاح الجور، وأيقظ نائم الفتنة، وأوقد نار الحرب. قد نزت به نوازي البطنة، وهدرت على يده شقاشق الفتنة.

في التعرض للهلاك واستحلاب سوء العاقبة

ذكرتُ حديثَ ألباحث عن مديته، الأكل لديته، المُتبرِّمُ بعمره، المنتهي إلى آخر أمره. تعرّض لاحتلاب ألبليّة، وتحكّك باجتذاب المنيّة. ما هو إلاّ ألفراشة دنت من التّبار، فحامت حول النار، وأنملة قُرب اجتياحها، فنبت جناحها. قد ثنى إلينا عنقا أعنقت إليه الحُتوف، وأبرقت نحوه أسيوف. امتطى ظهرًا لا ينجوراكبه، ولا يُفضي إلى نُججٍ صاحبه. فهو بين هلاكٍ ويُرْهقه، وأشرارٍ توثقه وتوبقه، يستعين بالأعناق المُتصبّة، على أسيوف الملتهبة. مثله في مخالفته طرائق الحزماء، وخلائق الحُصفاء، مثل أفراس المتهافات في الشّهاب، والنّقد المتهمج على ليوث الغاب. قد خاطر بالنّفس، وتصرّف مع النّحس. تهافت ألبقّ في الشّهاب، وولوغ الدّباب في الشّراب. يتردّدون في مرابض الضّراغم، ومكامن الأرقام. تردّد القانص في مَراتع الغزلان، ومَسارح الظّلمان. لا ينهّاهم عن جيشنا زئير أسوده، ولا يصدّهم عن حِمانا ديب سوده، ما هو إلاّ دريئة الرّماح، وعرضة الحين المتاح فَعَلَ فِعْلُ ألباحث عن مديته، ألتعجّل إلى أنقطاع مُدته، وطار في رأسه. ما أظنه يطيره عن جَسده، ويقتطعه ليومه بالجهل عن غده. أعماه غليانُ دمه، عن موقع قَدَمه، وأغشاه اشتياق الحُتف إلى قبضه، عن شمس أرضه، لم يذر أن عريسة الأسد، ليست من مَراسم النّقد. هم أعمارُ تناهت بهم الأعمار. هو أول جانٍ على نفسه بيده، ومتعرضٌ لهلاكه بجهد. فلانٌ قد قرّع بابَ الأبلاء، ووطيء دَنَبَ الحيّة الصّماء، ونطح برأسه الجبل، وأستبطأ الأجل، وطرّد ألعافية عن داره، وأنزل النّحس في جواره، وأستهدف لسهام الحيف، ومشى على حدّ السيف.

في ذكر الظلم وسوء آثارهم على العباد والبلاد

ظلمٌ صريح، وجورٌ فسيح، وأعتداءٌ قبيح. ظلمٌ تراكت مظالمه وظلمه

وَاتَّصَلَتْ غَمَائِمُهُ وَغُمُمُهُ . قَدْ مَلَكَتْهُ الْهَزَّةُ لِلظُّلْمِ ، وَأَخَذَتْهُ الْعَزَّةُ بِالْإِثْمِ . بَسَطَ يَدَهُ فِي الْمَظَالِمِ يَحْتَقِبُهَا ، وَالْمَحَارِمِ يَرْتَكِبُهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ أَمْلَكًا مَغْصُوبَةً وَمَنْهُوبَةً ، وَرَعَايَا مَأْكُولَةً وَمَشْرُوبَةً ، وَضَرَائِبَ ضَرَبَتْ أَلْأَمْوَالَ بِالْتَّمَحِيقِ ، وَالبَضَائِعِ بِالْتَّمَزِيقِ . تِلْكَ الْبِلَادُ تَلْتَهَبُ بِجَمْرَاتِ ظُلْمِهِ ، وَتُنْتَهَبُ بِبَدْرَاتِ غَشْمِهِ . فَالْحُرْمُ مَنْتَهَكَةٌ ، وَالرَّعِيَّةُ مَحْتَنَكَةٌ . رَعِيَّةٌ مَدْفُوعُونَ إِلَى فَقْدِ الرِّيَاشِ ، وَضَيْقِ الْمَعَاشِ . قَدْ أَدَّاهُمُ الْغَلَاءُ إِلَى الْبَلَاءِ ، وَالبَلَاءُ إِلَى الْجَلَاءِ وَالْإِضَاقَةِ ، إِلَى الْفَاقَةِ ، وَصَارَتْ الْخَصَاصَةُ فَوْضَى بَيْنِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، أُمَرَاؤُهُمْ عَجْزَةٌ قُعْدَةٌ ، وَكُتَابُهُمْ خَوْنَةٌ مَرَقَةٌ ، فَالْأَعْرَاضُ بَيْنَهُمْ مَنَهُوكَةٌ ، وَالْأَسْتَارُ مَهْتُوكَةٌ . وَالْدِّمَاءُ مَسْفُوكَةٌ ، وَالْأَمْوَالُ مُجْتَاحَةٌ ، وَالْدِّيَارُ مُسْتَبَاحَةٌ ، وَالْحُرُّ بِالْعَرَاءِ مَنبُودٌ ، وَالْوَعْدُ مُكْرَمٌ مَصْفُودٌ . أُولَئِكَ قَوْمٌ رَضِيعُهُمْ قَدْ غُذِيَ بِالْعُدُونِ حَتَّى دَبَّ ، وَصَبَّيْهِمْ رُبِّي بِأَطْغْيَانٍ حَتَّى شَبَّ ، وَشَابَهُمْ قَدْ تَدَرَّبَ بِالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ حَتَّى شَابَ ، وَشِيخَهُمْ قَدْ أَضْبَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْفُسُوقِ حَتَّى أَفْتَرَشَ التُّرَابَ . بِلَادٌ مَعَالِمُ الْحَقِّ فِيهَا دُرُسَتْ ، وَالسِّنَةُ الْعَدْلُ بَيْنَهَا خَرِسَتْ ، وَرِيَاخُ الْقَتْلِ وَالنَّهْبِ هَبَّتْ فَلَا تَرْكُدُ ، وَأَشْخَاصُ الظُّلْمِ وَالْإِثْمِ مَثَلَتْ فَلَا تَقْعُدُ . جَعَلُوا يُغَيِّرُونَ وَيُبَيِّرُونَ ، وَيُثَيِّرُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ مَا يُثَيِّرُونَ . لَا عَنْ الدِّمَاءِ كَفُّوا ، وَلَا عَنْ الْفُرُوجِ عَفُّوا . مَا أَلَذُّبُ فِي الْغَنَمِ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ إِلَّا مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَا أَلْسُوسُ فِي الصُّوفِ فِي الصَّيْفِ عِنْدَهُ إِلَّا بَعْضُ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا الْحَجَّاجُ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَهُ إِلَّا أَوَّلُ الْعَادِلِينَ ، وَلَا فِرْعَوْنُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا قَابَلْتَهُ بِهِ إِلَّا مِنْ أَلْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ . مَا تَرَكَ لِرَعِيَّتِهِ فَضَةً إِلَّا فَضَّهَا ، وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ ، وَلَا عِلْقًا إِلَّا أَعْتَلَقَهُ ، وَلَا عَقَارًا إِلَّا عَقَرَهُ ، وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا ، وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا ، وَلَا مَالًا إِلَّا مَالَ عَلَيْهِ ، وَلَا عَرَضًا إِلَّا تَعَرَّضَ لَهُ ، وَلَا حَالًا إِلَّا حَالَ عَلَيْهَا ، وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا أَمْتَشَّهَا ، وَلَا فَرَسًا إِلَّا أَفْتَرَسَهُ ، وَلَا سَبْدًا إِلَّا أَسْتَبَدَّ بِهِ ، وَلَا بَزَّةً إِلَّا بَزَّهَا ، وَلَا نِخْلَةً إِلَّا خَلَعَهَا ، وَلَا جَلِيلًا إِلَّا اجْتَلَاهُ ، وَلَا دَقِيقًا إِلَّا دَقَّهَ .

ذكر الهرج وكثرة الفتنة

رَفَعَتِ الْفِتْنُ أَجْيَادَهَا، وَجَمَعَتِ لِلشَّرِّ أَجْنَادَهَا، وَأَطَالَتْ سَوَاعِدَهَا، وَأَعْلَتِ قَوَاعِدَهَا، وَآلُ نَاجِمِهَا قَادِحًا، وَعَادَ جَدُّعُهَا قَارِحًا. نِيرَانُ الْفِتْنَةِ تَشْتَعِلُ أَشْتَعَالًا، وَرَايَاتُ الْهَرْجِ تَخْفُقُ يَمِينًا وَشِمَالًا. فِي كُلِّ دَارٍ صَرْخَةٌ، وَفِي كُلِّ دَرْبٍ نَعْرَةٌ، وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ظَالِمٌ لَا يُنْصَفُ، وَمَظْلُومٌ لَا يَنْتَصَفُ. فَالْنَهَارُ لَيْلٌ بِالْذُّخَانِ، وَاللَّيْلُ نَهَارٌ بِالنِّيرَانِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رُسُومِ الْإِسْلَامِ غَيْرُ شَهَادَةِ الْإِيمَانِ وَإِقَامَةِ الْأَذَانِ. كَمْ فُشَا فِيهِمْ مِنْ قَتْلِ ذَرِيعٍ، وَضَرْ وَجِيعٍ، وَهَرْبٍ وَجَلَاءٍ، وَضَنْكٍ وَبَلَاءٍ، وَنَارٍ مُضْطَرَمَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُحْتَدِمَةٍ. كَانُوا كَالْغَنَمِ السَّارِحَةِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا، وَالْإِبِلِ الْأَسَائِمَةِ الَّتِي لَا سَائِقَ مَعَهَا. الْمَمْلَكَةُ شَاغِرَةٌ، وَأَفْوَاهُ الْفِتَنِ فَاعِرَةٌ. قَدْ شَهَرُوا سِيوفَ الْفِتْنَةِ، وَشَبُّوا ضِرَامَ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ. قَدْ كَشَفَتِ الْفِتْنَةُ قِنَاعَهَا، وَخَلَعَتِ عِذَارَهَا، فَتَحَوَّلَتِ الرُّؤُوسُ أَذْنَابًا، وَالْعَبِيدُ أَرْبَابًا، وَالْغَنَمُ ذُنَابًا. أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ وَهِيَ قَنَأٌ تَشْطِي، وَنَارٌ تَلْظِي، وَنَاسٌ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. نَعَرَتِ الْفِتْنَةُ، وَوَقَعَتِ الْعَثْرَةُ، وَمَاجَ الْأَمْرُ، وَجَمَعَ الْأَدَّهْرُ، وَانْخَرَطَ سَبِيلُ الْأَمْنَةِ، وَشَالَتْ نِعَامَةُ السَّلَامَةِ، وَانْقَطَعَ شِرْيَانُ السِّيَاسَةِ، وَتَمَزَّقَ ثَوْبُ الْمَعِيشَةِ، وَقَامَتْ سَوْقُ الدَّعَاةِ، وَانْجَرَّ ذَيْلُ السَّرِقَةِ. نَوَاحٍ مَعَالِمُ الدِّينِ فِيهَا مُضَاعَةٌ، وَدَوَاعِي الشَّيْطَانِ بِهَا مُطَاعَةٌ، أَدَّى ذَلِكَ إِلَى هُبُوجِ الرِّعَاقِ، وَتَحَزُّبِ الْأَشْيَاعِ، وَتَأْمُرِ الْأَذْنَابِ وَالْأَتْبَاعِ. الْبَلَدَةُ نِيرَانٌ تَضْطَرِمُ، وَجَمْرَاتٌ تَحْتَدِمُ بَيْنَ فِتْنَةٍ ثَائِرَةٍ، وَأَضْطِرَابٍ نَائِرَةٍ، وَأَهْلِهَا سَوَامٌ بِلَا رُعَاةٍ، وَجُنْدٌ بِلَا حُمَاةٍ. فَلَانٌ نَاتِجٌ تِلْكَ الْإِلَاجِنُ وَمُؤَثِّرَهَا، وَمُوقِدٌ تِلْكَ الْفِتَنِ وَمُورِثَهَا. كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ شَبَّهَا، وَغَارَةٍ شَنَّهَا. قَدْ أَهْلَبَ الْفِتْنَةُ وَأَثْقَبَ جَمْرَهَا، وَأَرَتْ نَارَهَا، وَتَوَلَّى كِبَرَهَا. هُوَ الَّذِي هَاجَ تِلْكَ الْفِتَنِ وَأَبَاحَهَا، وَأَثَارَ تِلْكَ الْإِلَاحِنَ وَصَارَ لِقَاحَهَا. كَادَ الْإِسْلَامُ يَضَعُفُ رُكْنَهُ، وَالشَّرْكُ يَصْدُقُ ظَنَّهُ.

التحذير والأذار والأهابة إلى الرشاد

رأى مولانا أن يأخذ بسنة الإعذار، ويحذر عاقبة الإصرار، ويُقدّم كلمة الاستظهار، ويُلقى إليهم الإنذار، قبل الإنكار. من أنقاذ لحكمه، ووقف عند رسمه، فقد حمى رُوحه وماله وأهله وحاله، ومن أضرم في آفة ناراً، ورفع لها مناراً، فقد أباح من نفسه المحذور، ومن ملكه الحُجر المحجور، ولحقه ما يتركه سُمعة رادعة، ومُثلة وأزعة. من تعدى طوره، وتخطى قدره، فلا أنقباض بعد توقيفه، عن تثقيفه، وبعد الإعذار إليه، من الإنكار عليه، لا يألوهم نصحا، قد اعترضتهم سنة الغفلة دون تمثله، ولا يزجرهم وعظاً، قد خامرتهم سكرة الغيرة قبل تقبله. قد قدّم النذر، ونَبَذَ العذر، زَجَرَةَ اللَّيْلِ قبل الإفتراس، ونَضْنُضَةَ الصَّلِّ قبل الانتهاس، وإنباض النَّابِلِ للنَّذير، وإيماض السائق للتحذير أبصروا رُشدكم، وأعرِفُوا قُصدكم، قبل أن يَنْتَقِلَ معكم عن إنفاذ الكُتب إلى تسريب الكُتائب، وعن توجيه الرُّسل إلى إرسال المقانِب. إن جعلت المراوغة حجاباً، وأصدرت بالمدافعة جواباً، أبدلك الحُسام، من الأقلام، والأفواج، من الأدراج، ولم نرض بغير الرِّماح رُسلًا تختلف، ولا بغير آلهام وسائل تردّد.

في العمى عن الرشاد والصمم عن المواعظ والإصرار على الضلالة

قد نكب عن وجه الرشاد على عين بصيرته بالأسداد. صم عن النذير، وقد أسمعته ووعظه، وأتى على النصيح وقد حذره وذكره، أبل له ضعف العقل والنحية، ولو لم الطبع والغريزة إلا إصراراً على طيشه وسفهه، واستمراراً في غيّه وعمه حتى كأن الوعظ أغراه، والرشاد أغواه. فلان جامع لا يرجع، ومُضِب لا ينزع، ومُضِر لا يُقْلَع، أخذت العِزَّةَ بسمعه وبصره، واقتطعت الحيرة عن تدبره وتبصره. يلقي الوصية بالاطرّاح، ويدفع الطاعة بالترّاح.

توقظه الْعَبْر فلا يستيقظ، وتعظه آيات والندُر فلا يتعظ. هو من لا تكفُ
الْمَوْعظةُ غَرْبَ جهالته، ولا تفلّ النَّصِيحةُ حَدَّ ضلّالته. يُصْغِي إلى الرّشاد
بمسمعٍ أصمّ، ويَعْطُسُ في العناد بأنفٍ أشمّ. قد غطى الْخِذْلانُ عَلَى سَمْعِهِ
وعينه، وحال بين قلبه وصدره، وملك عليه الشَّيْطَانُ مَسَارِبَ عِزِّهِ، ومَسَارِي
فكره. قد تحوّلته بِالْمَوْعظة هادياً من حَيْرته، ومُسْتَشْلياً من غَمْرته، فناداه
الْخِذْلانُ بأن صِمْمْ فَأَصْرَ، قال له الشَّيْطَانُ تَمِّمْ فَأَسْتَمِرَّ. كأنّي أغرّيته، فساداه حين
نهيته، وأغويته حين هديته، وأعميته حين بصّرتّه، وخذّله حين نصرته. أولئك
قومٌ قد أخذ الله بأسماعهم وأبصارهم، وقرن الْخِذْلانَ بأعوانهم وأنصارهم.
جهالةٌ عَمُوا بها عميَاء، وغشاوةٌ مدت على دهمائهم دهماء.

إبراز صفحة المنابذة

أبرز صفحة المكاشفة، وكشف قِناع المخالفة، وسار عَلَى مَدَارِجِ الْغُرُورِ،
وأثَارَ كَوَامِنَ الثُّبُورِ. ما ظننْتُ الْجَهْلَ يَسْتَمِرُّ كُلَّ هَذَا الْإِسْتِمْرَارِ، حتى يستوفي
كتابَ الْخِذْلانِ، وَيَسْتَغْرِقَ صحيفَةَ الإِدْبَارِ. قد مَتَكَ حِجَابَ نِفَاقِهِ، وأظهر
مَكْنُونَ شِقَاقِهِ، فَانْحَرَفَ وخَالَفَ، وجاهر وكاشف، وأظهر مَكْنُونَ سِرِّهِ، وأبدي
كَامِنَ شَرِّهِ، وأقْدَمَ عَلَى الْعُظْمَى، وصَرَخَ بجحد النِّعَمِ. كشف قِناعَ الْجِشْمَةِ،
وخرّقَ حِجَابَ الْهَيْئَةِ. بَارَزَ سُلْطَانَهُ بِالْمَحَادَّةِ، وجاهره بِالْمُضَادَّةِ، مُسْتَبْدِلاً بَعْزَ
تَذَلُّلِهِ، ذِلَّ تَعَزُّزِهِ عَلَيْهِ، ومُعْتَاضاً من أَمْنَةٍ سَعِيهِ فِي رِضَاهِ، خِيفَةً مُخَالَفَتِهِ إِيَّاهِ.

استيجاب التكبر والمعاقبة

أما الْكِبَائِرُ الَّتِي تُحْكِي عَنْهُ فَالْوَاحِدَةُ مِنْهَا تَرْفَعُ رُحْصَةَ الْحُكْمِ، وتُبْدي
الْهُجْنَةَ فِي الصَّفْحِ. قد جَرَتْ مِنْهُ هَنَاتٌ آقْتَضَتْ أَنْ تُعَرَّفَ قَدْرُهُ، وتلقَى بما
يُشْجِي صَدْرَهُ. قد أَوْجَبَ مُرُوقُهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وفسوقه بغاية الإِسْطِطَاعَةِ، إِنْ
تُرْتَجِعَ عَوَارِي النِّعَمِ مِنْ يَدَيْهِ، وتفاضَ مَلَابِسُ النِّقَمِ عَلَيْهِ. لا يُغْنِي فِيهِ

التَّوْقِيفُ دُونَ التَّثْقِيفِ وَالتَّعْلِيمِ، دُونَ التَّقْوِيمِ، وَالْإِعْذَارُ وَالْإِنْذَارُ دُونَ الْإِيقَاعِ وَالْإِيْجَاعِ. هُوَ بَعَرَضِ إِنْكَارِ يُسَيْلِ دُمُوعِهِ، وَيُقِيمُ ضُلُوعِهِ. قَدْ اسْتَحَقَّ أَنْ يُحْمَلَ أَثْقَالُ الْمَعَاقِبَةِ، وَيُعَرَفَ آيَاتُ سُوءِ الْعَاقِبَةِ. أَنْزَلَهُ مَنْزِلَةً مِثْلَهُ مِمَّنْ أَسَاءَ جَفَظَ الْوَدِيعَةِ، وَجَوَارِ الصَّنِيعَةِ، فَاسْتَوْجِبَ نَزْعَهُمَا مِنْهُ، وَتَحَوَّلَهُمَا عَنْهُ. ضَاقَ بِهِ كَنْفُ الْعَفْوِ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الطُّو. قَدْ آسَوَدَّتْ صَحِيفَتُهُ، وَأُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ دُونَهُ، وَحِيلَ بَيْنَ الْعَفْوِ وَبَيْنِهِ. عَثَرَتْهُ مَحْظُورَةٌ عَلَى الْإِقَالَةِ وَهَنَاتُهُ تَجَنَّى لَهُ ثَمَرُ الضَّلَالَةِ.

الأبراق والأرعاد

سَيَعْلَمُ الْمَخْذُولُ كَيْفَ يُرْمَى بِحَجَرِهِ، وَتَشْبَعُ أَلْوَحُوشُ مِنْ جِيفَتِهِ وَنَفَرِهِ، أَلْأَهْبَ لَا سِتِيصَالَهُ مَأْخُودَةً، وَالسِّيُوفُ لِقِتَالِهِ مَشْخُودَةً. سَيَبْلُغُ فِي بَابِهِ مَا يَتَادَبُ بِهِ كُلُّ جَامِحٍ فِي عِنَانِهِ، وَطَامِحٍ إِلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ. سَتَرَاهُ وَلَيْسَتْ لَهُ عَيْنِي طَارِفَةً، وَلَا جَنَّةٌ وَاقِفَةٌ لِأَكْشِفْنَهُ لِكُلِّ لَيْلٍ بَارِدٍ، وَنَهَارٍ وَاقِدٍ. سَيَنْزِلُ بِأُولَئِكَ الْأَغْمَارِ قَاطِعَاتِ الْأَعْمَارِ. إِمَّا ذَلٌّ وَاسْتِكَانٌ، وَإِمَّا هُلُكٌ فَقَتْلٌ قَدْ كَانَ. قَدْ تَكُونُ لِلْبَاطِلِ جَوْلَةٌ، وَلِلْفَسَادِ مُهْلَةٌ. ثُمَّ تَأْتِي مِنَ الْإِنْتِقَامِ وَالْإِصْطِلَامِ، مَا يَسْقُطُ الْهَامُ عَلَى الْأَقْدَامِ. أَمَّا فَلَانٌ فَسِيرَاقٌ عَلَى الضَّلَالِ دَمَهُ، وَتَتَطَايَرُ عَلَى الْجُدُوعِ رِمَمُهُ. لَمْ يَذَرِ أَنَّ الْعَزِيمَةَ مِنْ مَوْلَانَا تَتْرُكُ أَمْثَالَهُ مِثْلًا، وَتَجْعَلُهُ لِأَهْلِ الشَّقَاقِ مِثْلًا. أَمَّا عَلِيمٌ أَنَّ مَوْلَانَا إِذَا رَمَاهُ بِشُعْبَةٍ مِنْ أَفْكَارِهِ وَمَسَّهُ بِجَذْوَةٍ مِنْ نَارِهِ. عَادَ حَرَصُهُ نَدْمًا، وَصَارَ وُجُودُهُ عَدَمًا، وَغَوِىَ أَشْيَاغُهُ بَدَدًا، بَلْ طَرِئَتْ قِدَادٌ. أَتَدْرُونَ وَيَحْكُمُ فِي أَيِّ حَتْفٍ تَوَرَّطْتُمْ، وَأَيِّ شَرٍّ تَأْبَطْتُمْ. إِمَّا فَطَمَكُمُ عَنْ رَضَاعِ الْخَيْفِ، وَإِمَّا حَسَمَكُمُ بَغْرَارِ السَّيْفِ، تَمَثَّلَ هَذِهِ الْمَقَانِبُ، وَتَصَوَّرَ هَذِهِ الْكَتَائِبُ، وَأَخْطَرَ بِبَالِكِ قَلْبِهَا، فَإِنَّ قَلْبَكَ يَذُلُّ عَلَى حَالِكَ، وَمَيِّمَتُهَا فَإِنَّ يَمِينَكَ تَتْقَاصِرُ عَنْ شِمَالِكَ؛ وَمَيَّسَرَتُهَا فَإِنَّ أَلْيَسْرَى تَتَرَاوَعُ عَنْ أُمُورِكَ، وَجَنَاحُهَا فَإِنَّكَ تَجْنَحُ عَنْ كَافَّةِ شُؤُونِكَ.

احتشاد العدو

حَشَرَ وَحَشَدَ، وَأَسْتَمَدَ وَاسْتَنْجَدَ، كَاشَفَ وَبَادَى، وَحَشَرَ فَنَادَى، حَشَدَ وَحَشَرَ، وَضَمَّ وَنَشَرَ، وَجَمَعَ أَطْرَافَهُ، وَأَلْفَ أَلْفَافَهُ. قَدْ أَسْتَنْفَذُوا قُوَاهُمْ فِي تَكْثِيرِ أَلْعَدَدِ، وَتَوْفِيرِ أَلْعَدَدِ، وَتَقْدِيمِ أَلْمَرَاصِدِ، وَتَوْكِيدِ أَلْمَكَاثِدِ. جَمَعُوا شُوكَهُمْ وَشَجَرَهُمْ، وَجَرُّوا مَدَرَهُمْ وَوَبَرَهُمْ، وَأَسْتَنْفَذُوا قُوَاهُمْ وَقَدَرَهُمْ. نَفَضَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادُ أَحْرَارَهَا وَعَبِيدَهَا، وَأَخْرَجَتْ عُذَّتَهَا وَعَدِيدَهَا. رَمَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادُ بِأَفْلَازِ كَيْدِهَا، وَأَخْرَجَتْ أَرْضُهَا أَثْقَالَهَا مِنْ عَدِيدِهَا وَعُدْدِهَا. أَسَالَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادُ سَيْلَهَا، وَجَمَعَتْ مِنْ أَسْلِحَتِهَا نَهَارَهَا، وَمِنْ سَوَادِهَا لَيْلَهَا.

ذم جيش العدو

زَحَقَ إِلَيْهِ بِمَا أَحْتَطَبَ فِي لَيْلِهِ، وَقَمَشَ مِنْ غُثَاءِ سَيْلِهِ. نَهَضَ بَيْنَ جَمْعٍ مِنْ فَرَاشِ أَلْنَّارِ، وَأُوبَاشِ أَلْأَمْصَارِ. اغْتَرَّ بِمَا أَجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ فُلِّ أَلْخُيُولِ، وَغُثَاءِ أَلْسَيُولِ، وَرَذَايَا أَلْمَلَا حِمِّ، وَبَقَايَا أَلصَّوَارِمِ. تَنَابَحَتْ إِلَيْهِ كَلَابُ أَلْغَارَةِ أَلشَّعْوَاءِ، وَتَعَاوَتْ لَدَيْهِ ذُنَابُ أَلصَّيْلِمِ أَلصَّمَاءِ. خَرَجَ بَيْنَ لَفٍّ لَفٍّ، وَصَافَحَ عَلَى أَلضَّلَالِ كَفَّةً مِنْ أَشْيَاعِ أَلْغَوَايَةِ، وَأَتْبَاعِ أَلْغَوَايَةِ. جَمَعَ مَنْ جَمَعَ مِنْ فَرَاشِ أَلنَّارِ، وَخَشِيشِ أَلْبُورِ. أُولُتْكَ أَلْكَلَابُ أَلْغَوَايَةِ، وَأَلذَّنَابُ أَلْعَاوِيَةِ. عُصْبَةُ أَلضَّلَالِ وَعَصْبَةُ أَلْخَبَالِ. تِلْكَ أَلْعَصْبَةُ أَلْمَعْصُوبَةُ بِأَلثِّيَابِ، أَلْمَعْصُوبَةُ عَلَى أَلْأَلْبَابِ. كُلٌّ مِنْ مَعَهُ مِنْ أَصْنَافِ أَلْأَتْبَاعِ، وَأَلْعَوْمِ أَلرَّعَاعِ. مَنْ لَا يَقِيمُ لَهُ وَزْنَ، وَلَا يَتِمَثَّلُ لَهُ أَمْرًا، وَإِنَّمَا نَصَبُوهُ سُلْمًا لَهُمْ إِلَى أَلْأَمْوَالِ أَلْمُسْتَهِلِكَةِ، وَأَلْمَأْكَلِ أَلْمُوبِثَّةِ، وَأَلْمَوَارِدِ أَلْمُرْدِيَةِ.

استهانة الأعداء واستحقارهم والتفاؤل عليهم

سَحَابٌ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَنْشَعُ، وَعُرُوقٌ بَاطِلٍ لَا تَمْهَلُ أَوْ تُقْطَعُ. لَا تَهْوِلُنَّكَ كَثْرَةُ أَلْأَرْجَاسِ فَإِنَّهُمْ أَزْوَادُ أَلضَّبَاعِ، وَأَكَالُ أَلسَّبَاعِ، وَمِشَارِعُ

السُّيُوف، وَمَرَاتِعُ الْحَتُوف. مَا هِيَ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وَزَجْرَةٌ رَاصِدَةٌ، حَتَّى تَرَاهُمْ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِي دِيَارِهِمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ. هُوَ غَرَضُ الْجَوَائِحِ، وَهَذَفُ الْخَوَاطِفِ، وَأَتْبَاعُهُ رَجُلٌ جَرَادٍ فِي رِيحٍ يَوْمٍ عَاصِفٍ. أَقْبَلَ فِي شِرْذِمَةٍ هِيَ لَجِيُوشُ السُّلْطَانِ بِمَنْزِلَةِ الْبَغَاثِ لِلْجَوَارِحِ الَّتِي تَعْتَدُّهَا لُحْمَةً، وَتَتَّخِذُهَا طُعْمَةً. هُمْ فَرَائِسُ الْجِمَامِ، وَأَهْدَافُ السَّهَامِ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا جَرَادٌ مَجْرُودٌ، وَقَنْصٌ مَصِيدٌ أَوْ مَطْرُودٌ، الْمَتَالِفُ لَهُمْ رَاصِدَةٌ، وَإِلَيْهِمْ قَاصِدَةٌ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا نُهْزَةُ الطَّالِبِ، وَفُرْصَةُ الْغَالِبِ، وَطُعْمَةُ الْآكَلِ، وَجُرْعَةُ الشَّارِبِ. جَاءَ فِي أَقَلِّ لُحْمَةٍ، وَأَضْعَفِ شِرْذِمَةٍ. وَنَوَازِلُ الْغَيْرِ بِهِمْ مُحْدِقَةٌ، وَسَهَامُ النَّقِمِ لَهُمْ مَفُوقَةٌ.

قرب العدو من الهلاك

هُوَ مُحَاطٌ بِهِ وَكَأَلْمَأْخُوذِ بِنَاصِيَّتِهِ. قَدْ أَذِنَ اللَّهُ فِي قَطْعِ أَكْلِهِ، وَأَدْنَاهُ مِنْ حَاضِرِ أَجَلِهِ. مَا هُوَ إِلَّا فُرْصَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ، وَالْهَلْكَ وَاقِفٌ لَهُ بِكُلِّ مَرْصَدٍ. قَدْ رَصَدَهُ ضَوْءُ الصَّبَاحِ وَظِلَامُ اللَّيْلِ. لَتَجَنَّهُ أَرْحَامُ الْأَرْضِ، أَوْ يَنْشُرَ مَنْ بَطُونِ السَّبَاعِ. وَالطَّيْرُ قَدْ حُصِّ جَنَاحُهُ، وَدَنَا آجَتِيَا حُهُ. مَا هُوَ إِلَّا صَفَاةٌ أَنْ قَرَعَهَا بِلِ قَلْعُهَا، وَقَنَاةٌ قَدْ حَانَ صَدْعُهَا بِلِ قَطْعِهَا. دَعَائِمُهُ مَخْفُوضَةٌ، وَمَرَاتِرُهُ مَنقُوضَةٌ. وَاللَّعْنَةُ بِهِ مَعْصُوبَةٌ، وَالْهَلَكَةُ عَلَيْهِ مَكْتُوبَةٌ. قَدْ أَحْتَفَّتْ بِهِ النَّوَائِبُ تَصْرِفُ أَنْبِيَآهَا، وَصَمَدَتْ لَهُ الْخَوَادِثُ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا، وَأُنَحَّتْ عِيَهُ الْخُطُوبُ تَخْطُبُ بِحَتْفِهِ، وَلُزَّتْ بِهِ الصَّرُوفُ تَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ.

فيمن يسعى بقدمه إلى مراقب دمه

قَدْ طَارَ بِجَنَاحِهِ، إِلَى مَوَاضِعِ آجَتِيَا حِهِ. يَمْشِي إِلَى حَتْفِهِ بِأَخْمَصِيهِ، وَيَبْحَثُ عَنْ مُدَيْتِهِ بِيَدَيْهِ. تَحْفَظُهُ إِلَى مَصْرَعِهِ الْأَضَالِيلِ، وَتُعَجِّلُهُ إِلَى مَهْلِكِهِ الْأَبَاطِيلِ. اسْتَخَفُّهُمْ الْحَيْنُ الْمُتَاحُ، وَاسْتَحْتَنَّهُمُ الْقَدَرُ الْمُجْتَنَاحُ. جَدَّ بِهِمْ

أَسْتَعْجَالُ الْأَجَالِ، وَتَصَوَّرَتْ لَهُمُ الْمَنَايَا فِي صُورِ الْأَمَانِي وَالْأَمَالِ. سَارُوا
وَأَجَالُهُمْ تَفْسَحُ لَهُمْ فِي مَطَامِعِهِمْ، وَمَنَايَاهُمْ تَحُثُّ مَطَايَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ.
أَقْدَمُوا رَاكِبِينَ لِلْغَرَرِ، مُسْتَسْلِمِينَ لِلْغَيْرِ. تَجَذَّبُهُمْ كَوَاذِبُ الْأَطْمَاعِ بِمَقَاوِدِ
نَفْسِهِمْ، إِلَى مَقَاطِعِ رُؤُسِهِمْ، وَتَسَوَّقُهُمْ بِأَزْمَةِ مَعَاطِسِهِمْ، إِلَى مَظَانِّ مَتَاعِهِمْ.
نَقَلَهُمُ اللَّهُ بِأَقْدَامِهِمْ، إِلَى مَصَارِعِ جِمَامِهِمْ. تَوَجَّهَتْ تِلْكَ أَلْعَاكِرُ الْمَخْذُولَةِ
يَسُوقُهَا رَاهِنَ ضَلَالِهَا، إِلَى انْتِهَاءِ أَجَالِهَا، وَيَقُودُهَا حَاضِرُ دِمَارِهَا، إِلَى أَنْقِضَاءِ
أَعْمَارِهَا.

ذَكَرَ انْخِزَالُ الْأَعْدَاءِ وَوَهْلُهُمْ وَاسْتِيْلَاءُ الرِّعْبِ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْمُحَارَبَةِ
نُصِرْنَا بِالرُّعْبِ عَلَيْهِمْ، حَتَّى أَصْبَحَتْ أَلْمَهَابَةُ سُيُوفًا خَوَاطِرَ فِي قُلُوبِهِمْ،
وَرَاخَتْ الْمَخَافَةُ رِمَاحًا خَوَاطِفَ لِنَفُوسِهِمْ، مَلَكَهُ دُخْرُ أَرَاهِ دُورَةَ مُنْتَسَفَةٍ،
وَجِيُوشُهُ مُخْتَلِفَةٌ، وَبِلَادُهُ مُمْتَلِكَةٌ، وَمَعَاقِلُهُ مُنْتَهَكَةٌ. أَحْوَالُهُ قَدْ تَدَاعَتْ،
وَنَفُوسُ أَصْحَابِهِ قَدْ آرَتَاعَتْ، تَمَثَّلُ لَهُ الْأَجَلُ، فَمَلَكَهُ أَلْوَجَلُ، وَأَسْتَطَارَهُ
أَلْوَهْلُ، فَلَنْ يَطُولَ بِهِ أَلْمَهْلُ. نَاوَشُوا بِقُلُوبٍ غَمَرَهَا أَلْوَجَلُ، وَأُيِّدَ قَدْ أَضْعَفَهَا
أَلْوَهْلُ. فَالْسَّوَاعِدُ غَيْرُ مُسَاعِدَةٍ، وَالْأَعْضَادُ غَيْرُ مُعَايِدَةٍ. أَخَذَتْ مَبَانِيهِمْ
تَنْقُضُ، وَدَعَائِمُهُمْ تَنْقُوصُ، وَزِنَادُهُمْ تَصْلِدُ، وَرِيَاخُهُمْ تَرْكُدُ. فَلَمْ يَطُوْا مَوْلَانَا
إِلَيْهِمْ مَنْزِلًا إِلَّا تَضَاعَفُوا ضَعْفًا وَتَخَلَّخُوا، وَلَمْ يَدُنْ مِنْهُمْ مَنَهْلًا إِلَّا أَزْدَادُوا وَهْنًا
وَتَزَلُّزَلًا. لَا يَمِرُّونَ حَبْلًا إِلَّا أَوْثَقُوا بِقَوَاهِ، وَخَنَقُوا بِعُرَاهِ، وَلَا يُلْهَبُونَ نَارًا إِلَّا
عُوجِلُوا بِضَرَرِهَا، وَأَبِيدُوا بِشَرَرِهَا. سَاءَ صِبَاخُهُمْ، وَقُرْبُ اجْتِيَاخُهُمْ،
وَتَطَايَرَتْ فَرَقًا أَرْوَاخُهُمْ. أَشْعِرَتْ نَفُوسَهُمُ الْتَلَاقِي، فَلَبِغَتْ أَلْتَرَاقِي، عَلِمُوا أَنَّ
أَلْقِرَاعَ لَا يُشْمَرُ إِلَّا قَرَعُ صَفَاتِهِمْ، وَالنِّزَاعَ لَا يُنْتِجُ إِلَّا نَزَعُ شِبَاتِهِمْ. اسْتَبَدَّلُوا
بِالْتَّطَاوُلِ تَضَاوُلًا، وَبِالْتَّجُلْدِ تَبَاعُدًا، وَرَأَوْا الْأَنْوَارَ ظُلْمًا، وَالْأَشْخَاصَ بُهْمًا،
وَالْأَكَامَ رَجَالًا، وَالْجِبَالَ خَيْلًا عَجَالًا. لَمَّا رَأَوْا الرِّايَاتِ الْمَنْصُورَةَ تَخْفِقُ خَفَقَتِ
عَلَيْهَا قُلُوبُهَا، وَتَمَثَّلَ لَهَا أَنَّ قَدْ وَجِبَتْ جُنُوبُهَا. انْزَعَجَ مِنْ مَكَانِهِ بِقَلْبٍ هَلُوعٍ،

ورُوعٍ مَرُوعٍ. أَحَسَّ قُرْبَ الْمَوْتِ وَضِيقَ الْعَيْشِ، وَضَعُفَ الْجَاشِ وَأَضْطِرَابَ الْجَيْشِ. تَقَدَّمُهُمُ الْآخِبَارُ وَهُمْ يَتَأَخَّرُونَ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.

مسير الملك في جيوشه والتفؤل له

سار مولانا والسماء تحسُّد الأرض لسيِّره، والنجوم تودُّ لو جرت مع سنابك خيله. أَقْبَلَ مَسْعُودَ الْكَوَاكِبِ، مُنْصَوِّرَ الْمَوَاكِبِ. سَارَ تُخْرَجَ مَعَهُ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَتُسَيِّرُ الْغِبْرَاءَ جِبَالَهَا. نَهَضَ مَوْلَانَا وَالْأَرْضُ سَائِرَةً بِمَسِيرِهِ، وَالْأَقْدَارُ صَائِرَةً إِلَى تَدْبِيرِهِ. نَهَضَ وَالسَّعُودُ تَوَاكِبَهُ، وَالْمَنَاجِحُ تُصَاحِبُهُ، وَمَعُونَةُ اللَّهِ تَقْدُمُهُ، وَصَوَائِبُ الْعَزِمَاتِ تَخْدُمُهُ. جَلَلٌ مَوْلَانَا هَذَا الْخُطْبَ عِظَمَ حَرَكَتِهِ، وَغَشَاءَ كِبَرِ مَسِيرِهِ عَنْ دَارِ مَمْلَكَتِهِ. فَكَادَتْ أَلْسِمَاءُ تَمِيدُ إِعْظَامًا لِنَهْوِضِهِ، وَالْأَرْضُ تَسِيرُ مَعَ خِيُولِهِ. نَهَضَ مُجَرِّدًا عَزْمَهُ لِقَصْدِهِمْ، وَمُحْصِدًا رَأْيَهُ فِي حَصْدِهِمْ. رَكِبَ فِي أَنْصَارِ حَقِّهِ، وَأَعْوَانَ مَلِكِهِ، فَكَادَتْ الْأَرْضُ تَرْجُفُ، وَالْجِبَالُ تَرْخَفُ، وَالْأَفْلَاكُ تَقِفُ، وَالْكَوَاكِبُ تَكْفُ. سَارَ بِأَسْعَدِ الطَّلَوَالِ وَالْفَوَاتِحِ، وَأَحْمَدِ الْمِيَامِنِ وَالْمَنَاجِحِ، بِجِيُوشِهِ الَّتِي لَا تَحْصُرُهَا الْأَعْدَادُ، وَلَا يُقَاسُ بِهَا الْأَجْنَادُ، فَحُسِبَتْ الْأَرْضُ تَرْحَلُ بِرَحِيلِهَا، وَتَسِيرُ مَعَ حَوَافِرِ خِيُولِهَا. سَارَ مَوْلَانَا فِي جِيُوشِهِ فَخِيلَتِ الْأَرْضُ مَائِجَةً، وَالْبَحَارُ هَائِجَةً، وَالنُّجُومُ مُنْكَدِرَةٌ، وَالسَّمَاءُ مُنْفَطِرَةٌ، خَرَجَ وَالْمَنَاجِحُ تَطْرُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْمِيَامِنُ تَسِيرُ حَوَالِيهِ، وَأَيَاتُ الظُّفْرِ تُقْرَأُ مِنْ ذَوَائِبِ أَعْلَامِهِ وَبَنُوْدِهِ، وَرَايَاتُ النَّصْرِ تَخْفُقُ عَلَى مَرَاكِبِهِ وَجُنُودِهِ. أَقْبَلَ وَالْإِقْبَالُ حَاجِبُهُ، وَالنُّصْرُ صَاحِبُهُ، وَالصَّنْعُ مُصَاحِبُهُ، وَالظُّفْرُ يَقْدُمُ أَعْلَامَهُ، وَالْقَدْرُ يَخْدُمُ أَيَامَهُ. نَهَضَ وَالسَّيُولُ تَقْصُرُ عَنْ دَهْمَاءِ جِيُوشِهِ وَجُنُودِهِ، وَالنُّجُومُ تَغْمِضُ عَنْ ضِيَاءِ أَلْوِيَتِهِ وَبَنُوْدِهِ، وَالنَّجَجُ يُقْرَأُ مِنْ نَوَاصِي خِيَلِهِ، وَالْأَرْضُ تَضْحَكُ عَنْ آثَارِ عَدْلِهِ وَخَيْرِهِ. سَارَ مُعَبِّي الْجَيْشِ، رَابِطُ الْجَاشِ، أَصِيلُ الرَّأْيِ وَالْحَزْمِ، مَلْتَثِمُ التَّدْبِيرِ وَالْعَزْمِ. زَحَفَ إِلَيْهِمْ زَحْفًا، مَلَأَ قُلُوبَهُمْ رَجْفًا. اسْتَقَلَّ بِهِ الْمَسِيرُ شَائِمًا بُرُوقَ الْعَزِّ، مُقَدِّمًا كِتَابَ

الرَّعْب، مُسْتَصِحِّباً مَفَاتِحَ النَّصْرِ. أَقْبَلَ وَالْدُّنْيَا تَسِيرُ بِسِيرِهِ، وَخُدُودُ النُّجُومِ فِي سَنَابِكِ خَيْلِهِ. سَارَ يَقْدُمُهُ جُنْدٌ مِنَ الرَّعْبِ وَالذُّعْرِ، وَيَتَّبِعُهُ مَدَدٌ مِنَ الصَّنْعِ وَالنَّصْرِ. أَقْبَلَ فِي مَرَاقِبِ أَعْلَامِهَا تَخَفُّقُ بِالنُّجُجِ، وَطَبُولُهَا تَنْطِقُ بِالْفَتْحِ. بَرَزَ وَقَدْ جَهَّزَ أَوْدَ الْمَلِكِ مِنْ حُمَاتِهِ، وَأَعْيَانَ الْأَرْضِ مِنْ كُمَاتِهِ، وَرَايَاتِهِ تَكَادُ تَنْطِقُ بِالنُّجُجِ، وَيُمْلِي بِأَسِنَّتِهَا كِتَابَ الْفَتْحِ.

وصف الجيش بالكثرة والشوكة والنصرة

خَيْلٌ، كَقِطْعِ اللَّيْلِ، وَرِجَالٌ، خُلِقُوا لِقِطْعِ الْأَجَالِ. جِيُوشٌ تَرْجِفُ لَهَا الْأَرْضُ، وَيَسْتَوِي بِهَا النَّشْرُ وَالْخَفْضُ، خَفَّتِ الْجِيُوشُ فَخِلَتْ الْجِبَالُ سَائِرَةً، وَالْبَحَارُ ثَائِرَةً. جِيُوشٌ يُرَوْنَ مِنَ الْكَثْرَةِ قِطْعَ لَيْلٍ أَسْفَعُ، وَمِنَ الْحَدِيدِ وَجَهَ نَهَارٍ قَدْ مَتَعَ. مَوَاكِبُ ضَاقَتْ عَنْهَا مَنَاكِبُ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ. جِيُوشٌ يَغْضُ بِهَا الْفَضَاءُ، وَيَسْتَكِينُ بِهَا الْقَضَاءُ، وَتَضَيِّقُ عَنْهَا الْأُوطَارُ، وَتَخْشَعُ لَهَا الْأَقْدَارُ. جَيْشٌ كَاللَّيْلِ، بِكَثْرَةِ الْخَيْلِ، وَكَالْنَّهَارِ، بِوُضُوحِ الْأَثَارِ. عَسَاكِرُ تُتَابِعُ أَفْوَاجُهَا، وَتَتَدَافِعُ أُمُوجُهَا. جَرَّ إِلَيْهِمْ جِبَالَ الْحَدِيدِ، وَأَطْلَقَ أَعِنَّةَ الْأَسُودِ السُّودِ. عَسَاكِرُهُمْ آسَادُ وَبَحَارُ، وَأَقْضِيَةُ وَأَقْدَارُ، وَجِبَالُ أَطْوَادِهَا هَمَمٌ وَنَفُوسُ، وَنُجُومٌ أَسْلَحَتُهَا أَقْمَارُ وَشُمُوسُ. مَلَأَ الْمَلَأَ خَيْلاً وَرِجَالاً، تَحْمِلُ أَوْجَالاً وَأَجَالاً حُسِبَتْ الْأَرْضُ تَرْتَحِلُ بِرَحِيلِهِمْ، وَتَسِيرُ مَعَ حَوَافِرِ خَيُْولِهِمْ. طَلَعَتْ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمُطَايَا، عَلَيْهَا الْمَنَايَا، وَالسِّيُوفُ، فِي طُبَاهَا الْحَتُوفُ. بِإِدْرَافِ أَفْوَاجٍ وَأَرْسَالٍ، وَأَنْفَرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً. عَسَكْرٌ وَافِرٌ الْمَدَدُ، كَثِيرٌ الْعَدَدُ كَثِيفُ الْعُدَدِ.

وصف الأبطال والشجعان وأبناء الحروب

كُلٌّ بِأَسْلِ قَدْ تَعَوَّدَ الْأَقْدَامَ، حَيْثُ تَزُلُّ الْأَقْدَامُ، وَشَجَاعٌ يَرَى الْإِحْجَامَ، عَاراً لَا تَمْحُوهُ الْأَيَّامُ. سَيْفُهُ أُمُّ الْأَجَالِ، وَرَمْحُهُ يُتِمُّ الْأَطْفَالَ. مَا لِسَيْفِهِ غَيْرُ الرِّقَابِ، قَرَابٍ إِذَا أَفَاضَ قِدَاحَ الْقِتَالِ قَمَرَ أَجَالِ الرِّجَالِ. قَدْ مَلَأَ الْأَرْضَ

دِمَاءَ، وَالسَّمَاءَ هَبَاءَ. حَجَلُ الْخَيْلِ بِدِمَاءِ أَعَادِيهِ، وَجَعَلَ هَامَاتِهِمْ قَلَانِسَ رَمَاحِهِ. نَهَضَ كَاللَّيْثِ الْحَادِرِ، وَالشَّجَاعِ الثَّائِرِ، وَالْحُسَامِ الْبَاتِرِ. عِقْبَانُ خَيْوَلٍ فَوْقَهَا أَسَدُ جُنُودِ. أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِيهَا، وَارْتَضَعُوا لِبَانِهَا، وَعَرَفُوا مِرَاسَهَا، وَأَلْفُوا مِسَاسَهَا، كَالْأَسْوَدِ إِقْدَامًا، وَالنَّيِّرَانِ اضْطِرَامًا. بِأَمْثَالِهِمْ تَشَحَّنَ أَطْرَافُ الصَّفُوفِ، وَعَنْ قَسِيهِمْ تَصَدَّرَ رُسلُ الْحَتُوفِ. رِمَاحُهُمْ ظُمَاءَ، وَشَرَابُهَا دِمَاءَ، وَسِيُوفُهُمْ هِيَامَ، وَمَشَارِعُهَا نَحُورٌ وَهَامَ، خَيْوَلُهُمْ سَوَابِقُ الْفُوتِ، وَسَهَامُهُمْ بُرْدُ الْمَوْتِ، وَحِمَلَاتُهُمْ آتِيَّ السَّيْلِ، وَمَجِيئُهُمْ مَجِيَّ اللَّيْلِ. لَا يَمْلُونُ الشَّرَّ إِذَا خَرَسَتِ الْأَبْطَالُ، وَنَطَقَتِ الرِّمَاحُ الطُّوَالُ. أَبْنَاءُ الْغَايَاتِ، وَلِيُوثُ الْغَابَاتِ. أَقْبَلُوا كَاللَّيْثِ الْخَوَادِرَ عَلَى الْعِقْبَانِ الْكُوَاسِرِ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا سَيْفُ الضَّرْبَةِ، وَلِيْثُ الْكُتَيْبَةِ. أَحَادُهُمْ نَفَرٌ، وَأَفْرَادُهُمْ زَمَرٌ. الْحَرْبُ ذَابَهُمْ، وَالْجِدُّ آدَبَهُمْ، وَالنَّصْرُ طَعَّمَهُمْ، وَالْعَدُوُّ غَنَمَهُمْ. قُلُوبُ أَسْوَدٍ فِي صُدُورِ رِجَالٍ، وَرِيَّاحُ زَعَاذِرٍ فِي ثَبَاتِ جِبَالٍ. هُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِلَاءٌ وَاقِعٌ، وَسُمْ نَاقِعٌ. يُصِيبُونَ الثُّغْرَ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَدْخُلُونَ بَيْنَ زُبُرِ الْحَدِيدِ. يَقْرُونَ وَالْأَقْدَامُ زِيَالٌ، وَيَخْفُونَ وَهُمْ عَلَى الْأَقْرَانِ ثِقَالٌ. أَنْيَابُ الدَّوْلَةِ وَأَعْضَادُهَا، وَكُمَاتُهَا وَأَنْجَادُهَا.

ذِكْرُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَعْدَاءِ مَعًا

التَّقَوُّوا فَقَبِلَتْ رِيحُ الْإِقْبَالِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَذَبَرَتْ رِيحُ الْإِدْبَارِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُعْتَمِدُونَ بِالْمَنَاحِ الزُّهْرِ، وَأَعْدَاؤُهُ مَثَرُ صُدُودِ بِالْمَنَابِا الْحُمْرِ. كَانَتْ لِلأَوْلِيَاءِ الْأَثَرَةُ، وَعَلَى الْأَعْدَاءِ الدَّبَرَةُ. جَدُّ الْأَوْلِيَاءِ بِقُلُوبٍ قَدْ غَمَرَهَا أَلْيَقِينَ، وَأَيَّدِ قَدْ بَسَطَهَا أَلْتَمَكِينَ، وَبَيَّتِ الْأَعْدَاءُ وَقَدْ بَسَطَ لَهُمُ الْغُرُورَ أَمَالَهُمُ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمُ. فَازَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بِأَجْرِ الْمَجَاهِدِينَ، وَبَاءَ أَعْدَاءُ اللَّهِ بِوُزْرِ الْمَعَانِدِينَ. أَزْدَادُ الْأَوْلِيَاءِ شِدَّةُ مِرَاسٍ، وَقُوَّةُ بَاسٍ، وَثَبَاتُ مَقَامٍ، وَصَدَقَ أَنْتِقَامُ. وَأَبْتَدَأَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَنْتِيلُ مَوَاقِبِهَا، وَتَضَعُفُ مَنَاقِبِهَا، وَتَنْخَفِضُ

أعلامها، تنتفض أبرامها، وترى بأسلحتها أغلالاً توثقها وتوثقها، وأنكالا
ترهقها وترهقها.

تعبية الجيوش وترتيبها

رتب مولانا المقادم عموماً وخصوصاً، وعبى المقانب بنياناً مَرَّصوفاً. أمر بتسوية
الصفوف التي لا خلل بها، وانتضاء السيوف التي لا خلل لها. عبى جيوشه
ميامن تضمّت اليمن، ومياسر اتبعت اليسر، ووقف في القلب بقلب يسع
الرّمال، ويرجح الجبال. رتب فلاناً ومن برسمه في ميمنته التي يقارنها اليمن
والنجاح، وفلاناً في ميسرته التي يصاحبها اليسر والفلاح، وصار هو وقواده
قلباً قابلاً لما قابله، ناكساً لما واجهه.

تلاقي الجيشين وكشف الحرب عن ساقها

تلاقى الجيشان فاصطف الخيل والرجل، وامتلاً الحزن والسهل، وبرقت
الأبصار بشعاع السيوف، وسفرت رسل الحثوف بين الصفوف. تراءى
الجمعان، وأفضى قرب العيان، إلى قرب العنان، وألتهبت جمره الضراب
والطعان. اشتبكت الحرب تصرف نابها، وتكشف ساقها، وتضرم نارها،
ويشد نطاقتها. التقى الجمع بالجمع، وقرع النبع بالنبع. دنا العنان من
العنان، وأفضى الخبر إلى العيان. سارت الجموع إلى الجموع، وبرق البصر
بلمعان الدروع، وحمي وطيس المراس، ودنت التراس من التراس.

اشتداد الحرب وحمى وطيسها

دارت كأس الموت دهاقا، وعاد لقاء القرن للقرن عنقا. بلغت القلوب
الحناجر، وشافهت السيوف المناحر. هاجت الهيجاء، وعزّ النجاء، وصار
الترامي عنقا. والتلاقي اعتلاقا. صمتت الألسنة، ونطقت الأسنة، وخطبت

السُّيُوفَ عَلَى مَنَابِرِ الرِّقَابِ، وَأَقْدَمَتِ الرِّمَاحُ عَلَى الْخُطَطِ الصِّعَابِ. اعْتَنَقَتِ
الصُّوَارِمُ وَالْمَنَاصِلُ، وَتَلَاخَقَتِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ، وَاشْتَدَّ أَزْرُ الْيَمِصَاعِ، وَتَكَابَلَتِ
الشُّجُوعَانُ صَاعًا بِصَاعٍ. قُدِحَتْ نَارُ الْقِرَاعِ، وَجَالَتْ قَدَاحُ الْيَمِصَاعِ، تَلَاقَتِ
الْفِرَقُ، وَاشْتَدَّ الْفَرَقُ، وَصَارَ الْفَارَسُ إِلَى الْفَارَسِ أَقْرَبَ مِنْ ظِلَّةٍ، وَالسَّيْفُ
أَدْنَى إِلَى الْوَرِيدِ مِنْ حَبْلِهِ. اسْتَعَرَتِ الْمَلَحَمَةُ، وَعَلَتِ الْغَمْغَمَةُ. فِدَارَتِ
رَحَى الْحَرْبِ، وَاسْتَحَرَّتْ جَمْرَةُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَاشْتَجَرَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ،
وَتَصَافَحَتْ بَيضُ الصِّفَاحِ. احْمَرَّتِ الْحَلَقُ، مِنَ الْعَلَقِ. ضَاقَ الْمَجَالُ،
وَتَحَكَّمَتِ الْأَجَالُ. لَمْ يُرَ إِلَّا رُؤُوسٌ تَنْدُرُ، وَدِمَاءٌ تَهْدُرُ، وَأَعْضَاءُ تَتَطَايَرُ،
وَأَجْسَامٌ تَتَزَايِلُ. التَّقَى الصَّفَانُ، وَبَرَزَتِ الْأَقْرَانُ لِلْأَقْرَانِ، وَخَطَبَتِ الصُّوَارِمُ
عَلَى مَنَابِرِ الْأَعْنَاقِ، وَسَفَرَتِ السِّهَامُ بَيْنَ الْقِسِيِّ وَالْأَحْدَاقِ.

أَعْمَالُ الْأَسْلِحَةِ

رَشَقُ شُبَّةٍ فِيهِ تَرَادُفُ النَّبْلِ، بِاتِّصَالِ الْوُبْلِ، وَزَرَقُ أَعَادِ الدُّعْجِ زُرْقًا،
وَأَوْسَعُ الْأَهْبِ خَرْقًا. رَشَقُوهُمْ بِنَبَالٍ، تَتَحَمَلُ قَطْعَ الْأَجَالِ. وَاتَّخَذُوا النَّبْلَ
رُسُلًا مُؤَدِّيَةً مَا حُمِلَتْ، وَرِسَالًا مُبْلَغَةً مَا أُوْدِعَتْ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا رَامٌ لَا يَخْطِيءُ
الْأَهْدَافَ، وَلَا يَتَجَاوَزُ الشَّغَافَ، تَجُوزُ نِبَالُهُمُ الدَّرَقَ إِلَى الْحَدَقِ، وَتَنْفُذُ إِلَى
الْحُلُوقِ مِنْ خَلَلِ الْحَلَقِ. أَتَتْهُمْ السِّهَامُ كِرْجَلِ الْجَرَادِ، وَالزَّانَاتُ الْجَدَادُ (كَذَا)
صَادِرَةً عَنِ السَّوَاعِدِ الشِّدَادِ. أَوْسَعُوهُمْ ضَرْبًا وَمَشَقًا، وَطَعْنًا وَرَشَقًا، وَجَرَحًا
وَزَرْقًا. ضَرَبَهُ بَعْضُ الْغُلَمَانِ ضَرْبًا رَعْلًا، وَثَنَاهَا بَعْضُ الْعَرَبِ بِطَعْنَةٍ نَجَلًا.
تَوَاصَتِ الضَّرِبَاتُ، بَيْنَ زَرْقِ الْبَالِزَانَاتِ لَا يَعْرِفُ أَنْصَافًا، وَضَرْبِ الْمَرْهَفَاتِ
يَفْلُقُ الْهَامَ أَنْصَافًا. أَخَذَتِ الرِّمَاحُ تُطِيرُ شَرَرَهَا، وَالرُّؤُوسُ تَفَارِقُ قَصَرَهَا.
ثَمَلَتِ الرِّمَاحُ مِنَ الدِّمَاءِ فَتَعَثَّرَتْ فِي النَّحُورِ، وَتَكَسَّرَتْ فِي الصُّدُورِ.
اشْتَجَرَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ، وَتَصَافَحَتْ بَيضُ الصِّفَاحِ. سَيُوفُ أَغْمَادِهَا الرُّؤُوسُ

والطللى، وجفونها القلوب والكللى. قد أخذت السيوف نفوسهم، وأثمرت القنا رؤوسهم.

حسن الغناء في الحرب والإيقاع بالأعداء وشدة النكاية فيهم

قابلوا الجلاذ بالجلد، ونابوا عن أنياب الأسد، وأعطوا الجهاد، أوفى حظوظ الإجتهد. أجملوا البلاء، وأحسنوا الغناء. بلغوا في اقتناص الأعداء أقصى المبالغ، ووطئوهم وطء القامع الدامغ. أبلوا بلاء الأبطال، وأبطلوا كيد الأعداء. إن الأبطال زحموا الأعداء من جوانبهم، وتمكنوا من فض مواكبهم، ووطئوهم بسنابك الخيول، وتركوهم كجفاء السيول. صبوا عليهم سوط عذاب، وأسلموهم لعوادي تبار وتباب. وقائع هدت قواعد بنيانهم، وأشابت نواصي ولدانهم. طحنوهم طحن الحب، وجعلوهم درايا الطعن والضرب. وثبوا عليهم وثوب الأسود، وتركوهم كالزرع المحصود. نكوا فيهم نكاية القضاء والقدر، وأثروا فيهم تأثير النار في ييس الشجر. شربوهم شرب إلهيم، وحطموهم حطم الهشيم، وتركوهم كالرميم. تجردوا لهم فحطوهم وحطموهم، وهزؤهم وهزؤهم، تركوهم موطي الحوافر، ومورد الكوايسر، ومغدى الضباع، ومراح السباع. قصدوهم فأقصوهم بأيدي الغير، وحصدوهم حصدا الشوك والشجر. طفقوا ينقضون عليهم كالأجادل، ويقذفونهم بالجنادل. أقدموا عليهم إقدام السيل، ونسخوهم نسخ النهار لليل.

هبوب ريح النصر

حتى إذا ضاق المجال، وتحكمت الآجال. أهب الله لمولانا ريح النصر، وحكم لحزبه بالعلو والفهر، ولما بلغ كتاب المهل آخرة، أجرى الله للواء المنصور طائره. برقت لاميعة النصر، وحانت ساعة الفهر. ما انتصف النهار

إِلَّا وَقَدْ أَنْتَصَفَ اللَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ أَلْبَاطِلٍ، وَكَنَفْنَا بِأَلَايِدِ الْقَاهِرِ، وَالنَّصْرُ أَلْشَّامِلِ.
هَبَّتْ رِيحُ النَّصْرِ فَأَنْجَزَ اللَّهُ لِمَوْلَانَا وَعْدَهُ، وَأَظْفَرَ جَنْدَهُ، وَحَفِظَ عَادَاتِهِ عِنْدَهُ.
لَا حَتَّ غَرَّةَ الْفَتْحِ، وَوَضَحَتْ وَضُوحُ الصُّبْحِ، وَأَشْرَقَتْ صَفْحَةُ الظُّفْرِ، إِشْرَاقَ
الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَمَّا هَبَّتْ لِأَشْيَاعِ الدَّوْلَةِ رِيحُ النَّصْرِ، عَلَتْ بِهِمْ يَدُ الْقُدْرَةِ
فَاتَّبَعُوا أَدْبَارَ الْمَارِقِينَ، وَأَوَّوْهُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ. جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَنَزَلَ
الظُّفْرُ وَالنُّجُجُ.

انجلاء المعركة عن القتلى والجرحى والأسرى والهزمى

انجلت غَبْرَةُ المعركة، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِالشَّقِيِّ يَدُ المَهْلِكَةِ. اقْتَسِمَ شَيْعُ
الطُغْيَانِ بَيْنَ اجْتِيَاكِ سَرِيعٍ، وَقَتْلِ ذَرِيعٍ، وَأَسْرِ مُوْتِقٍ، وَحَصْرِ مَوْتِقٍ، وَلَمْ يَنْجُ
إِلَّا شِرْذِمَةٌ لَازَتْ بِذِمَّةِ الْهَرَبِ، وَلَنْ تَفُوتَ يَدُ الطَّلَبِ. بَيْنَ قَتِيلٍ قَدْ عَجَّلَ اللَّهُ
بِرُوحِهِ إِلَى دَارِ جَزَائِهِ، وَأَسِيرٍ قَدْ أَوْثَقَهُ مَا أَرْتَكِبُهُ بِسُوءِ رَأْيِهِ، وَمُنْهَزِمٍ أَطَارَ
الرُّعْبُ قَلْبَهُ، وَسَلَبَ الْخَوْفُ لُبَّهُ. بَيْنَ قَتِيلٍ آسَأَثَرُ بِهِ الْجِمَامِ، وَأَتَى عَلَيْهِ
الْأَصْطِلَامُ، وَجَرِيحٍ قَدْ عَايَنَ طَرُوقَ الْمَيِّتَةِ، دُونَ بُلُوغِ الْأَمْنِيَّةِ، وَمُنْهَزِمٍ لَا
يَسْتَبْقِيهِ الْهَرَبُ، إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا يَنَالُهُ الطَّلَبُ. قَسَمَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بَيْنَ قَتِيلٍ تَبَوَّأَ
مِنَ النَّارِ مَحَبَسَهُ، وَمُوَلِّ جَعَلَ ثَوْبَ الْعَارِ مَلْبَسَهُ، وَأَسِيرٍ حُبْسَ عَلَى حُكْمِ
الشَّرِيعَةِ، وَمُسْتَأْمِنَ الْحَقِّ بِأَهْلِ الصَّنِيعَةِ بَيْنَ قَتِيلٍ مُوسَّدٍ، وَأَسِيرٍ مَصْفَقَدٍ،
وَهَارِبٍ مُطَرَّدٍ، وَمُسْتَأْمِنٍ مُقَيَّدٍ، بَيْنَ قَتِيلٍ مَتَشَحَّطٍ بِدَمَائِهِ، وَجَرِيحٍ مُتَقَلِّبٍ بِدَمَائِهِ، بَيْنَ
قَتِيلٍ مُرْمَلٍ، وَجَرِيحٍ مُجَدَّلٍ، وَأَسِيرٍ مُكْبَلٍ. لَمْ يُرَ مِنْ أَشْيَاعِ الْمَخْذُولِ إِلَّا
أَسِيرٌ مُوْتِقٌ، وَجَرِيحٌ مُرْهَقٌ، وَقَتِيلٌ مُطَرَّحٌ، وَشَرِيدٌ مُطَوَّحٌ. إِلَّا أَسِيرٌ وَحْسِيرٌ،
وَقَتِيلٌ وَعَقِيرٌ، وَجَرِيحٌ وَقَرِيحٌ، وَمَرْمَلٌ وَمُزْمَلٌ، وَمَقْبُورٌ وَمَشْبُورٌ. تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَسْرِ
أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ جَوَامِعُهُ، وَجُرْحُ تَحَكَّمَتْ فِي الْأَجْسَادِ لَوَادِعُهُ، وَقَتْلُ دَنَتْ مِنْ
الْأَشْقِيَاءِ مَشَارِعُهُ. قِيلَ لِأُولَئِكَ الْأَغْمَازِ، الْقَصَارِ الْأَعْمَارِ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ

وهبَّت لهم الدُّبُور بين هَشيْمٍ ورَمِيمٍ، وقتيل وأَمِيمٍ، وجريحٍ ورهينٍ، وأسيرٍ مع قرينٍ.

ذكر القتل والقتلى

انكشفت الهَبْوة عن فلان وقد سبقت الصفاح، فيه موضع الاستفتاح. قضت منهم الرِّمَاحُ أوطارها، وبردت السيُوفُ أوارها. سكنتِ النفُوسُ بقتله كما سكنت نفسُ الإسلام، بقتل أبي جهل بن هشام. مَقْتَلَةٌ نَقَعَتْ ظمًا الأرض، وأزالت سَعْبَ السباع والطَّير، صُلِّيَ قَبْلَ حَرِّ النَّارِ بِحَرِّ الْمَنَاصِلِ، وسقى الأرض من دمه بطلٍّ ووابل. استبدل من أمله، حضور أجله، واستعاض من شهامته، تسليم هامته. قد غَضَّتْ بِقَتْلِهِمْ حُلُوقَ الْأَرْضِ، واحمَرَّتْ من دمائهم مُتُونُ التُّرْبِ، بطون الأرض أَعْمَرُ بِهِمْ مِنْ ظُهُورِهَا، وحواصل الطَّير والسباع أَحْصَنَ قُبُورِهَا. عِدِمَ بَرْدُ الْحَيَاةِ، وذاق حَرَّ الْمُرْهَفَاتِ. جَرَّتْ مِنْ دِمَائِهِمْ أَنْهَارٌ، ولم يُطْلَعْ عليهم نهار. أريق من دمائهم ما احمَرَّتْ مِنْهُ الْأَرْضُ وَجَرَّتْ بِهِ الْأَوْدِيَةُ، ودارت عليه الأرحية.

سوء أحوال المنكوبين والمحاط بهم

أَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَرْضِهِ أَنْ تَنْخَسِفَ، وَإِلَى فَرَسِهِ أَنْ يَقِفَ. قَصَّ جَنَاحَهُ، وَأَنْهَرَ جِرَاحَهُ. أَلْقَاهُ اللَّهُ فِي الشَّبَكَةِ، ورمَاهُ بِالْهَلَكَةِ. رَمَاهُ اللَّهُ بِالْقَارَعَةِ الْمُبِيدَةِ لَجْمَعِهِ، الْبَلِيغَةِ فِي قَمْعِهِ. قُلِعَتْ شَأْفَتُهُ، وَقُطِعَتْ آفَتُهُ. لَمْ يَبْقَ لَهُ مَفْحَصٌ قَطَاةً، وَلَا مَغْرَزُ قَنَاةٍ. أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ آمَالٍ، إِلَى آجَالٍ، وَأَوْرَدَهُمْ مِنْ مَطَالَعٍ، إِلَى مَصَارِعٍ عَلَيْهِمُ الدَّبْرَةُ، وَعَلَى وُجُوهِهِمُ الْغَبْرَةُ. مَكْبُوبٌ عَلَى مَنَاحِرِهِ، مَطْعُونٌ فِي مَنَاحِرِهِ، قَدْ طَالَ حِصَارُهُ، وَغَابَ أَنْصَارُهُ، وَسَقَطَتْ دِعَامَتُهُ، وَقَامَتْ قِيَامَتُهُ. قَدْ بَلَغَتْ رُوحُهُ آلْتِرَاقِي، وَوَعَدَتْهُ مَيِّتُهُ آلْتِلَاقِي. ضَرَبَ عَلَيْهِ الْإِدْبَارُ سُرَادِقَ الدَّمَارِ، وَمَدَّ عَلَيْهِ الْخِذْلَانِ رِوَاقَ سُوءِ الْإِخْتِبَارِ. هُوَ جَزْرٌ

السيوف القواضب ولقى بين أنياب النواذب.

الأسر والأسرى وتشهيدهم

لم ينج من ودائع الأغمد، إلا من حصل في جوامع الأصفاد. حصلوا في قبضة الإسار، وكفة الخسار. نشب في حبال الانتقام، وشرك الاصطلام. ياحسنه في زوال النعمة، وركوب النعمة، بوجه قد علس، ورأي قد برنس (كذا) قد أركبوا ألفوالج، وتركوا بالتشهير عبرة الناظر، ولعنة الماقت. أوردوا مقرنين في الأصفاد، وتركوا عبرة للساعين في الأرض بالفساد.

هلاك الأعداء وفناؤهم

صاروا كريمي وهشيم، طاح في ريح عقيم. أصبحوا كالزراع المحصود، وصاروا حديثاً مثل عاد وثمرود. صاروا جرز السباع والطيور، ورهن الدمار والثبور. لم يبق لهم جثة واقفة، ولا عين طارفة، ولا روح تسري في جسد، ولا شخص خلق على كبد. حصدوا حصداً، وحبطوا بالسيوف خبطاً. فلم يبق منهم صافر، ولا نجا منهم أول ولا آخر. أخذتهم الصاعقة، وحلت بهم البائقة، فلم يبق منهم نافخ نار، ولا رافع منار.

فيمن نجا برأسه وقد كاد يؤخذ

استنقذ لأجل ذمائه من ظبي السيوف وقد شارفته، وشبا المحتوف وقد شافهته. عرض على الموت عرض المحتضر، ثم أخر لأجل منتظر. نكص على عقبه وقد كادت صروف الأيام تفترسه، وأنياب الحمام تنهسه. نجا برأسه وقد فغرت ألمنايا أفواهها إليه، وكادت أظفارها تنشب فيه. فأخر لأجل مضروب، وأنسى لأمد مكتوب. استنقذه تأخر أجله من أنياب القواضب، ومخالب النواذب، ونجا بحشاشته وذماؤه على تلف، وشفافته على شرف.

نجا بروحه التي هي زهينة غيها، وصريعة بغيتها. لم يبق منه إلا شفاقة
أخطأت برائن الأسد، وبقية هي هامة اليوم أو غد.

ذكر المنهزمين ووصف أحوالهم

طاروا بأجنحة الرعب لا ينشني أبائهم على أبنائهم، ولا يلوي سراعهم
على بطائهم. طاروا بأجنحة الوجل، وتصوروا حاضراً لأجل. نكصوا على
الأعقاب، وطاروا بخوافي العقب. أجفلوا إجمال النعام، وأقشعوا إقشاع
الغمام. سبقوا الطلب بأقدام الفرار، وتوقوا مواقع السيوف بملايس من
العار. تمزقوا في البلاد كما يمزق الريح رجل الجراد. عاينوا هول المطلاع
قولوا الأدبار، وتجللوا الإدبار، وطاروا كل مطار. تتقلب بهم المزال
والمداحض، وتساقطت بهم قواهم النواهض. لم يشعر به حتى صار جنيماً
قد وراه بطن الليل، وطار كهباء الريح وغشاء السيل. نفص يده بالخميس،
وأعرب ببرد الهرب عن حر الوطيس. تشتتوا أيدي سباً، وتفرقوا جنوباً وصباً.
فلت شبائهم، وجمع على الدل شتائهم، وحق البلاء بهم، وحق كلمة
العذاب عليهم، ونكصوا خائبين، وأنهزموا خائفين. تفرقوا في جهات
المهارب، واعتصموا بالأنهار والمسارب. نفتهم الأرض من مناكبها، وضاعت
عليهم من جوانبها. جعلوا يتسللون من أثناء الأنهار، وكل ينهار في جرف هار. طار
بين سمع الأرض وبصرها. لا يدري ما يطا من حجرها ومدرها. هام على
وجهه لا يدري أفي الأرض يطلب مدخلا، أو في السماء يلتبس معقلاً وكلاً
(كذا) فإن تخوم الأرض تسلمه، ونجوم السماء ترجمه. تطاير حشدهم
الفجرة، كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة. طاحوا كل مطاح، وطاروا
بأجنحة الرياح. لا يجدون في الخضراء مصعداً، ولا على الغبراء مقعداً. لم
تلقهم أرض، ولم يسمعهم طول ولا عرض. لفظتهم البلاد، ومجتهم البقاع،
إلى حيث لا استواء قدم، ولا آهتداء بعلم، ولا سماء تظلمهم أو تجنهم، ولا

أَرْضَ ثِقْلِهِمْ أَوْ تُكْنُهُمْ. طَارُوا بِقَوَائِمٍ وَجَلَّ، وَطَاحُوا بَيْنَ سَقُوطِ أَمَلٍ، وَدُنُو
أَجَلٍ. اسْتَبَدَلُوا بِمُسْكَةِ الْعَزَائِمِ، هَتَكَةَ الْهَزَائِمِ. نَكَسُوا عَلَى الْأَعْقَابِ يَرُونَ
الْأَشْخَاصَ كَتَائِبَ تَخْتَطِفُهُمْ، وَالْأَشْبَاحَ مِقَابَ تَنْتَسِفُهُمْ. لَمَّا تَرَامَتْ بِهِمْ أَلْبَلَادُ
تَأَمَرُوا بَيْنَهُمْ يَتَعَادَلُونَ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ. هَزِيمَةُ قَوْضِ اللَّهِ
بِهَا عُروشه، وَفَضَّ جِيوشه، وَضَلَّلَ وَسَاوسه، وَأَبْطَلَ هَوَاجِسه. هَزِيمَةُ فَرَقِ اللَّهِ
بِهَا جَمْعه، وَبَدَّدَ شَمْلَه، وَعَجَّلَ قَمْعَه. غَاضَ فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ مُخْفِياً
لِشَخْصه، مُشْفِئاً عَلَى نَفْسِه. صَفَرَا لَمْ يَصْحَبْهُ صَافِرٌ، وَلَمْ يَنْجُ مَعَه طَارِفٌ وَلَا
بَاصِرٌ. كَلِمَا هَبَّتْ عَلَيْهِ هَابَةٌ رِيحٌ حَسْبَهَا خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْهِمْ، أَوْ رَجُلًا تَبْتَدِرُ
إِلَيْهِمْ، وَكَلِمَا عَنَّتْ عَلَيْهِ عَانَةُ أَرْضٍ ظَنُّهَا بَرًّا يَنْخَسِفُ بِهِ، أَوْ بَحْرًا يَحِيطُ بِهِ.
لَوْ وَجَدَ فِي الْأَرْضِ نَفَقًا لَأُولَجَه فِيهِ شِدَّةَ رَوْعِه، أَوْ فِي السَّمَاءِ مُرْتَقًى لَأَعْرَجَه
إِلَيْهِ نَخْبٌ رَوْعِه. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّهُمْ فِي أَكْفَانٍ مِنَ الْمَدَلَّةِ، وَقَبَرَهُمْ فِي
لِحُودٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْوَحْشَةِ.

ذكر ركوب الأولياء أكتاف المنهزمين وقرب متناولهم على الهلاك

رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَافَهُمْ يَشْلُونَهُمْ شَلَّ النَّعْمِ، وَيَفْرُونَهُمْ فَرَى الْأَدَمِ،
وَيَذْكُونَهُمْ كَهْدَايَا الْحَرَمِ. لَمْ يَزَلِ الْطَّالِبُ رَاكِبًا أَكْتَافَه، وَقَابِضًا أَطْرَافَه، حَتَّى
زَخَّ بِهِ الْجِذَارُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا بَعْدَ أَنْ أَنْتَضَمَتِ الطُّرُقُ إِلَيْهِ
بِجَيْفِ أَصْحَابِهِ وَرَذَايَا خَيْلِهِ وَرِكَابِهِ، رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَافَهُمْ وَعَيُونُ الْمَنِيَا
تَرَصَّدُهُمْ، وَأَيْدِي الْحَتُوفِ تَحْصُدُهُمْ. أَمْرُ فَلَانٍ بَأَنَّ يَبْعَدَ فِي آثَارِهِمْ فَلَا
يُنْهَهُهُمْ، وَيَجِدُّ فِي طَلَبِهِمْ فَلَا يُرْفَهُهُمْ. لَتُعْجَلَهُمْ صَدْمَتُهُ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى
الْأَسْتِرَاشَةِ، وَالتَّمَكُّنِ مِنَ الْأَسْتِجَاشَةِ. هَامُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ يَرْجُونَ الْخَلَاصَ
وَلَا خَلَاصَ، وَيَأْمَلُونَ النِّجَاةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ. فَإِنَّ الطَّلِبَ مِنْ وَرَائِهِمْ عَلَى
أَحْشَادٍ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَأَمْثَالِهِمْ بِمِرْصَادٍ. طَارَ فَلَانٌ بِجَنَاحِ الْفَرَارِ، مُتَلَفَعًا بِالذُّلِّ
مُتَقَنَعًا بِالْعَارِ، وَالْخَيْلُ مَغْدَةٌ فِي طَلَبِهِ، وَمَوْعِدَةٌ الظُّفْرِ بِهِ. فَإِنَّ قَضَاءَ اللَّهِ

كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكُهُ، وَمُفَاجِئُهُ فَمُهْلِكُهُ. رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَافَهُمْ، وَتَحِيَفُوا أَوْسَاطَهُمْ وَأَطْرَافَهُمْ، وَغَنِمُوا أَثَاثَهُمْ وَأَسْبَابَهُمْ، وَظَهَرُوا رَهْمَ وَدَوَابَّهُمْ. مَا هُوَ إِلَّا دَرِيئَةُ الْهَرَبِ، وَفَرِيئَةُ الْطَلْبِ. أُنِيَ لَهُ الْمَقَامُ وَرِمَاحُ الْطَلْبِ نَحْوَهُ مُسْرَعَةً، وَخُيُولُهُ إِلَيْهِ مُسْرَعَةً.

ذكر الغنائم

غَنِمُوا أَمْوَالَهُمُ الَّتِي لَمْ يُودُّوا فِيهَا حَقًّا مَعْلُومًا، وَلَمْ يَغْنُوا بِهَا سَائِلًا مَحْرُومًا. غَنِمُوا أَمْوَالَهُمُ الَّتِي أَحْتَجْنُوهَا فَأَخْتَرْنُوهَا. اسْتَوْلَى الْأَوْلِيَاءُ وَغَنِمُوا، وَكَلَّمُوا وَمَا كَلِمُوا. غَنِمُوا ذَلِكَ الْحُطَامَ، الْمَجْمُوعَ مِنَ الْحَرَامِ، الْمَثْمُرَ مِنَ الْأَثَامِ، الْمَقْتَطَعَ مِنْ فَيءِ الْإِسْلَامِ. غَنِمُوا أَمْوَالًا إِنْ ذُكِرَ قَدْرُهَا، اسْتَشْرِفَ أَمْرُهَا، وَكَيْفَ بِذَلِكَ وَالذَّهَبَ حَتَّى آلَانَ يُكَالَ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ كَيْلًا، وَيُهَالُ بَيْنَ الْغَانِمِينَ هَيْلًا. غَنِمَ الْأَوْلِيَاءُ مَا بَقِيَ لَهُمُ الْحَوَادِثُ، وَأَسَارَتِ عِنْدَهُمُ الْنَوَائِبُ مِنَ أُمَهَاتِ الدُّخَائِرِ وَالْعُقَدِ الْفَنَاسِ. قَدْ صَارَتْ أَمْوَالُ الْأَعْدَاءِ غَنَائِمَ لَهُمْ لَا تُحْصَى كَثْرَةً، وَعَادَتْ عَلَى الْفَاسِقِينَ مَظَالِمَ وَحْشَةٍ.

ذكر موت العدو

أَفْضَى بِهِ سُوءُ الْعَاقِبَةِ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالْمَالِ الدُّمِيمِ، وَسُكْنَى الْجَحِيمِ، وَسُقْيَا الْحَمِيمِ. قَضَى نَحْبُهُ، وَلَقِيَ بِأَسْوَدِ صَحِيفَةِ رَبِّهِ. جَرَا حَتَّى أَتَتْ عَلَى نَفْسِهِ، وَوَسَدَتْهُ فِي رَمْسِهِ. آلَ أَمْرُهُ إِلَى وَبَالٍ، وَأَنْحَلَلَ وَاضْمَحَلَلَ، قُبِضَ إِلَى أُخْرَاهِ عَلَى الْإِنْفَاقِ، كَمَا عَاشَ فِي دُنْيَاهِ عَلَى الشَّقَاقِ. مَضَى لِسَبِيلِهِ يَقْدُمُهُ الْخِزْيُ، وَيَتْبَعُهُ اللَّعْنُ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَلَا الْأَرْضُ. قُبِضَتْ. نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ عَلَى ضَلَالٍ وَخَبَالٍ، وَسُوءِ حَالٍ وَمَالٍ. تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ بَقَائِهِ، وَاتَّصَلَتْ حَبَائِلُ فَنَائِهِ.

سلامة الأولياء على الحرب

عادوا منصورين موفورين لم تمسّهم جراح، ولا عضّهم سلاح. لم يمسه قرح، ولم ينلهم جرح. لم يُصبهم ثلم، ولا مسّهم كَلَم. لم يمسه سوء، ولم يُشمت بهم عدو.

جلالة شأن الفتح وعظم موقعه وحسن آثاره

كتابي والزمان ضاحكُ آلسن، مُتظاهر البشر، والدنيا مُشرقة الجوّ، مضئية الأفق، للفتح الذي تفتّحت له أبوابُ الشرف والمجد، وتفتقت أنوار الملك والعدل. كتبتُ والأرض رَيًّا ضاحكة، والدنيا خضراء ناضرة، وفَجَرُ الإسلام عالٍ ساطع، وسيفُ الإيمان ماضٍ قاطع، والبلدان ملأى تهانيًا وشارات، والأولياء شُورى بين أفراحٍ ومَسرات، لِمَا بَشَّر به كتاب مولانا من الفتح الذي نطقت به ألسنة الشكر، وأرتاحت له أندية الفضل. قد جَلَّ هذا الفتحُ عن تطلُّب نعوته بتصريف الأقوال، وتفخيم شؤونه بضرب الأمثال، وصار التَمويلُ على ما قد تمكّن في القلوب من حاله، وأستقرّ في النفوس من جلاله. لأنَّ آثاره تنظم حاشيتي الشرق والغرب. الفتحُ الذي أصبح الإسلام به مُتَسِعَ النِّطاق، والعدلُ ممدود الرواق، والسُّلطان ساطعُ الأشرار. مَحروساً من عدوه المُرّاق، ونزغة الشِّقاق. الفتحُ الذي تفتّحت له عيونُ الزَّمان، وأشرق بأنواره الخافقان. الفتحُ الواضح قَدَمُه على ناصية الشمس، الماحقُ بضياته أنوار البدر، الضاربُ برِواقه من فوق النجم، الجاثمُ بجلاله على رقابِ الدَّهر، المادُّ يديه إلى الشرق، ينظمه إلى أقاصي الغرب. الفتحُ المبسوط بين المشرقين شعاعه، الممدود على الخافقين شِراعُه. أَجَلُ بُشرى أسفرت عنها الأيامُ والليالي، وسفرت فيها البيضُ والآوالي.

إشاعة خبر الفتح

أشيع خبره إشاعةً لا اهتزَّت لها أعوادُ المنابر، وعرفها آباي مَعْرِفة الحاضر

كتبت في إشاعته بما يملأ المسامع، ويشحن المجامع، ويعمر المحاضر،
 فيملك المنابر. قد أشعناه حتى عرفه الخاص من أخص المحاضر، وسمعه
 العام من صدور المنابر. شهر خبره في الخاص والعام، بين السنة المنابر
 وأسنة الأقلام. اهتزت له المجامع، وأصغت إليه المسامع، ووعاه الحاضر،
 وتزوده المسافر. طالعه بنيا هذا أفتح الذي ينشر في المواسم، ويورخ في
 الملاحم، ويؤثر بين الغائب والحاضر، ويذاع على السنة المنابر.

حسن حال البلدة المفتوحة والتخفيف عن رعيها

طهرها من شوائب الفساد، وأطلع فيها كواكب السداد، وأرخى من خناق
 الرعية، وأستفدنا من أنياب الأذية. ابتسمت بلاد كذا عن ثغور
 الأمنة، وطالت فيها أنواع النصفة، وأمحت دونها سمات الخونة، وجمع الله
 أهلها على مسالمة كشفت المحن، وعفت الإحن. استبدلت الرعية بشدة
 الوجل، قوة الأمل، وبأنيساط الأبواع والأيدي عليها، انقباض الأطماع
 والعوادي عنها. سكنت الرعية، وأنحسمت الأذية، ورّتب العمال، وهذبت
 الأعمال. أطلع فيها كوكب العدل وكان خافيا، وأوضح لهم منهاج الأمن
 وكان عافيا. كأنما بدّلوا من ظلمات نورا، وأعقبوا من موت نشورا. وصل
 إليهم برد الأمن وقد صلّوا بحرّ الدّعر. فرّش النصفة وأفاضها، وبسط الرعية
 وأزال انقباضها، ووهب سقيمها لبريها، وظنينها لنقيها. أراح تلك البلاد من
 جامعة الضرّ واللبوس، وظلمات الظلم العبوس. علمت الرعية أن العدل قد
 أمتدت أبواعه، والجور قد نفدت أنواعه. فأيقنت بالخير الموفور،
 والانتقال من الظلمات إلى النور.

الأدعية السلطانية عند الفتوح والبشائر وغيرها

سألت الله أن يطيل بقاء مولانا موصول السلطان بالدوام، مكنوف آراية بالنصر

وَالْإِنْتِقَامَ، مَظْفَرُ الْأُلُويَةِ وَالْأَعْلَامِ. مَمْدُودُ الظَّلَالِ عَلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِ. أَدَامَ
 اللَّهُ أَيَّامَهُ مُصْرِفًا أَرْزَمَةَ الْأَرْضِ، مَالِكًا أَعْنَةَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ. أَدَامَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ
 مُسْتَوِيًّا عَلَى الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ، مَخْدُومًا بِأَيْدِي الْأَقْضِيَةِ وَالْأَقْدَارِ. لَا يَنْهَدُ عِزْمَهُ
 لِأَمْرٍ، إِلَّا أَسْفَرَ عَنْ عِزِّ وَنَصْرِ، وَلَا يَنْهَضُ هَمَّهُ لِأَرْبٍ، إِلَّا تَجَلَّى
 عَنْ اسْتَظْهَارٍ وَغَلَبَ. لَا زَالَ يَتَنَاوَلُ أَقَاصِي الْمُرَادِ، بِقَرِيبِ السَّعْيِ وَالْإِرْتِيَادِ،
 وَيَبْلُغُ مَرَامِي الْمَرَامِ، بِدَانِي الْعِزِّمَةِ وَالْإِهْتِمَامِ، وَاللَّهُ يُدِيمُ لَهُ الْفَتْوحَ يَمِينًا
 وَيَسَارًا، وَيَزِيدُ أَعْدَاءَهُ ذُلًّا وَخَسَارًا. لَا زَالَتِ الْبَشَائِرُ وَفُودَ سَمْعِهِ يَطْرُقُ بَابَهُ،
 وَيَرْفَعُ لَهَا حِجَابَهُ. أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مُسْتَوِيًّا عَلَى مَا تَخْطُبُهُ عِزْمَتُهُ، وَتَقْتَضِيهِ
 نِعْمَتُهُ. أَبْقَاهُ اللَّهُ نَافِذَ الْمَكَائِدِ وَالْعِزَائِمِ، مَاضِي الْأَرَاءِ وَالصَّوَارِمِ. عَالِي الْإِيدِ
 وَالرَّايَةِ، شَامِلَ الْمَلِكِ وَالْوَلَايَةِ. حَتَّى تَجْتَمِعَ لَهُ الْأَرْضُ بَرًّا وَبَحْرًا فِي عُقْدَةٍ
 مَلَكَةٍ وَتَنْتَظِمَ الْخَلْقَ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي صَفْقَةٍ مَلَكَةٍ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لِتَذِيلِ الْخُطُوبِ
 إِذَا صَعُرَتْ خُدُودُهَا وَأَمَالَتْ أَجْيَادُهَا، وَكَثُرَتْ أَعْوَانُهَا وَوَفُرَتْ أَعْدَادُهَا، حَتَّى
 يَمْلِكَ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهِ، وَانْتَهَى هُبُوبُ الرِّيحِ إِلَيْهِ. هُنَاكَ اللَّهُ غُلُوَ صَيْتِهِ
 فِي تَدْبِيرِ الْمَقَانِبِ، وَتَحْصِيلِ الْمَنَاقِبِ. لَا زَالَ النَّصْرُ يَقْدُمُهُ، وَالذَّهْرُ يَخْدُمُهُ،
 وَالْفَتْوحُ تَصَافِحُهُ، وَالْمَنَاجِحُ تَغَادِيهِ وَتُرَاوِحُهُ. أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ لِحَسْمِ الْمَعَارِ
 عَنْ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا، وَقَطْعِ الْمَضَارِّ عَنِ الْأَرْضِ وَأَهْلِهَا. مَنْبَسَطُ الظِّلِّ عَلَى
 النَّهَارِ حَتَّى لَا تَشَبَّ نَوَائِبُهُ، وَعَلَى اللَّيْلِ فَلَا تَدْبُّ عَقَارِبُهُ. أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلدُّنْيَا
 وَالْأَلْدَيْنِ، وَأَخَذَ رَايَةَ الْمَجْدِ بِالْيَمِينِ، وَلَا زَالَتِ الْأَرْضُ تَحْتَ تَصْرِيفِهِ وَتَدْبِيرِهِ،
 وَالنَّاسُ بَيْنَ تَقْدِيمِهِ وَتَأْخِيرِهِ. أَدَامَ اللَّهُ لَهُ النُّجُومُ صَاعِدًا، وَالزَّمَانُ مُسْعِدًا
 وَمُسَاعِدًا، مَالِكًا رِقَابِ الْخَافِقِينَ، وَمُذِلًّا صِعَابِ الْمَشْرِقِينَ، وَمُصْرِفًا أَرْزَمَةَ
 الْمَلَكِينَ، وَمُسْتَغْرِقًا جَدِيدَ النَّصْرِ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ، لِيَعِمَّ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةُ
 بِسُلْطَانِهِ وَإِحْسَانِهِ فَيَغْمُرَهَا، وَيَمْلِكَهَا بِأَعْوَانِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فَيَعْمُرَهَا.

الدعاء على أعداء الدولة

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَ وَجْهَهُ الرَّزَايَا، وَيَعَكْسَ رِقَابَ أَلْمَنِيَا، إِلَى أَضْدَادِ دَوْلَتِهِ،

وَكُفَّارِ نَعْمَتِهِ، فَلَا يَخْلُو أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ فَجِيعَةٍ وَجِيعَةٍ، وَمُؤَلِّمَةِ أَلِيْمَةٍ، تَشْغَلَانِهِ
بِنَفْسِهِ، وَتَكْلَانِهِ إِلَى خِذْلَانِهِ وَنَحْسِهِ، وَتَغْنِيَانِ مَوْلَانَا عَنْ أَنْ يَنْزِعَ سَهْمًا مِنْ
كِنَانَتِهِ، أَوْ يَشْهَرَ سَيْفًا مِنْ أَسْيَافِ نَقْمَتِهِ. لَا زَالِ مَوْلَانَا وَاطِئًا بِسَنَابِكِ خَيْلِهِ قِمَمِ
مُنَابِذِيهِ. مُغْمِدًا سَيُوفَهُ فِي رِقَابِ مُخَالِفِيهِ، زَادَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ سُقُوطَ مَوَاقِعَ،
وَهَبُوطَ مَوَاضِعَ، وَنَحُوسَ طَوَالِعَ، وَحَتَمَ عَلَى كُلِّ مُشَاقٍّ لِكَلِمَتِهِ، مُحَادَّةَ
لِدَعْوَتِهِ، أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ فِي رِقِّ الدَّلِّ أَهْنًا مَشَارِعَهُ، وَأَقْرَبَ مَوَارِدِهِ، وَاللَّهُ
يَجْعَلُ أَعْدَاءَ دَوْلَتِهِ، صِرْعَى صَوْلَتِهِ، وَمُشَاقِّي كَلِمَتِهِ، جَزَرَ نَقْمَتِهِ. لَا زَالِ
أَعْدَاؤِهِ تَلْفَظُهُمْ ظُهُورُ الْأَرْضِ، وَتَقْبَلُهُمْ بَطُونُ الْأُتْرُبِ. لَا زَالِ مُنَابِذُوهُ حَصَائِدَ
سَيُوفِهِ، وَرَهَائِنِ خُطُوبِ الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ.

استقرار الدار بالسلطان وما يتصل بذكر ذلك من الأدعية
أَقْبَلَ مَوْلَانَا فَأَقْبَلَتْ بِهِ الدُّنْيَا الْمُؤَلِّيَّةُ، وَانْجَلَتْ الظُّلُمَةُ الْمُسْتُولِيَّةُ. كَأَنَّ
حُلُولَهُ بِمَرْكَزِ عِزِّهِ وَمَقَرِّ مُلْكِهِ. حُلُولُ الدَّيْمَةِ الْوُطْفَاءِ، غِبِّ السَّنَةِ الشَّهْبَاءِ،
وَالنُّورِ الْمُنْتَشِرِ، بَعْدَ الظَّلَامِ الْمَعْتَكِرِ. انْحَسَرَتْ الْعُغْمَةُ بِالْأَلَاءِ جَبِينِهِ، وَدَرَّتْ
النَّعْمُ مِنْ أَخْلَافِ يَمِينِهِ. عَادَ إِلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، وَمَقَرِّ عِزِّهِ، عَلَى الطَّائِرِ
الْأَسْعَدِ، وَالْجَدِّ الْأَصْعَدِ. فَتَوَجَّهَتْ الرِّغْبَاتُ إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ تَقْرَنَ بِذَلِكَ مِنَ
الْحَبْرَةِ بِأَخْضَرِهَا، وَمِنْ السَّعَادَةِ بِأَنْضَرِهَا. هُنَا اللَّهُ مَوْلَانَا أَوْبَتَهُ إِلَى مَنْشِئِ عِزِّهِ،
وَمُسْتَقَرِّ مُلْكِهِ. عَلَى أَفْضَلِ مَا وَعَدَتْ بِهِ الطَّوَالِغُ السَّعِيدَةُ عِنْدَ نَهْضَتِهِ، وَذَلَّتْ
عَلَيْهِ الْبَشَائِرُ الْحَمِيدَةُ فِي سَفَرَتِهِ. أَتَتْ الْبَشَائِرُ بَعُودَ مَوْلَانَا إِلَى دَارِ سُلْطَانِهِ
الْمَعْمُورَةِ بِنِصَارَةِ أَيَّامِهِ. قَدْ أَعْطَتْهُ الْمَطَالِبُ قِيَادَهَا، وَوَطَّأَتْ لَهُ الْمَنَاجِحُ مِهَادَهَا
عَادَ مَوْلَانَا إِلَى السَّرِيرِ مُسْتَقَرًّا عَلَى غَارِبِهِ، حَامِيًّا لِحَوَانِيهِ، قَدْ دَانَتْ لَهُ
الطَّوَائِفُ، وَأَمِنَ بِهِ الْخَائِفُ، وَضَمَّ النَّشْرُ، وَلَمْ أَلْشَعْتُ وَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ
وَتَبَاشَرَ الْبَشَرُ.

آخر كتاب السُّلْطَانِيَّاتِ وما يقع في أبوابها، والله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الشوارد والفوارد وما يشبهها

هبوب ربح الأقبال

قد ركب من الإقبال مَطِيَّةً لم تقف به إِلَّا عَلَى الْغَايَةِ، وسلك من السَّعَادَةِ طريقاً لن يُؤديه إِلَّا إِلَى الزَّيَادَةِ. قد أمتطى ظهر الإقبال، وشافه ذرك الآمال. هبَّ عليه نسيمُ الثَّرْوَةِ، وتمهَّد له فراشُ النِّعْمَةِ. زَفَّتْ إِلَيْهِ الْأَيَّامُ أَبْكَارَ النِّعَمِ، وأتحفته ببواكير المِنَح. اقترن النُّجْحُ بمطلبه، وأقترب من مقصده. أمتدَّ عليه ظلُّ النُّعْمَى، وجنَّح الغِنَى. ظَهَرَتْ عَلَى أُمُورِهِ أُمَارَاتُ الإِقْبَالِ، ورفرت حوله طيرُ حسن الحال. أفاق من سُقْمِ الْفَاقَةِ، وأتسع بعد الإِضَاقَةِ.

تباشير النجح والغنى

شارف نَيْلَ الْإِرَادَةِ، وشافه لسانَ السَّعَادَةِ، وأبتسم له ثغر الأمل، وأذن بالنَّجَاحِ فِي أَقْرَبِ أَمَدٍ. قد لاح النَّجَاحُ وَأَنْتَشَرَ نُورُهُ، وَلَمَعَتْ تَبَاشِيرُهُ. إِنَّ مَا يَبْدُو مِنْ تَبَاشِيرِ النَّجَاحِ، يَضَاهِي فَلَقَ الْإِصْبَاحِ، الَّذِي يَتْلُوهُ طُلُوعُ الشَّمْسِ وَإِشْرَاقُهَا، وَاسْتِضَاءَةُ أَلْعْيُونِ وَالنَّفُوسِ بِهَا وَارْتِفَاقُهَا، أَوَّلُ الْغَيْثِ رَشٌّ ثُمَّ قَطَرٌ، وَمَبَادِي الشَّجَرِ وَرَقٌّ ثُمَّ زَهْرٌ. هَلْ يُرْتَجَى الْغَيْثُ إِلَّا بِمُخَالِلِهِ، وَيَسْتَدَلُّ عَلَى آخِرِ الْأَمْرِ إِلَّا بِأَوَائِلِهِ.

حسن الحال ووفور المال

سالمه ألدهر وساعدة الْجَدِّ، وحالفه السَّعْدُ. قد نال ما لم يحتسبه إِلَّا وهما، ولم يُؤْمَلْهُ إِلَّا حَدْسًا، فاز برغائب الْنِعَمِ، وغرائب الْقِسَمِ. خاض بحر الغنى، وركض في ميدان الْمُنَى. رأى من الْإِنْعَامِ، ما لم يَرَهُ في الْمَنَامِ، فكيف من الْأَيَّامِ. قد أدرَّ الله له أخلاف الرِّزْقِ، ومَهَّدَ له أكناف الْعَيْشِ، وآتاه أصناف الْفَضْلِ، وأركبه أكتاف الْعِزِّ. اتَّسَقَتْ أحوال معيشتِهِ، وبسقت أَعْضَانُ دولته. اتَّسَعَتْ مَوَادُّ ماله، وتفرَّعت شُعَبُ حاله، تناول الْنِعَمَ فيضًا، لا قبضًا، وورد مِنْهُلًا، عللًا لَا نَهْلًا. لا يمتدُّ له طَرْفٌ إِلَّا إِلَى نُعْمَى، ولا يُصْغِي سَمْعٌ إِلَّا إِلَى نِعْمَةٍ بُشْرَى. لا يلتوي عليه مطلوب، ولا يَنْزَوِي عنه مَحْبُوب. قد سَخَّرَ له المقدار، وساعده الْفَلَكَ الْمُدَّار. نادى الْأَمَالَ فإِجَابته مُكْتَبَةٌ، ودعا الْأَمَانِي فعاجلته مُصْحَبَةٌ. رأت عَيْنَاهُ، ما لم تَبْلُغْهُ مُنَاهُ، وآتَسَعَتْ نِعْمَتُهُ، بحيث لم تنله هِمَّتُهُ. امتلأ ناديه من ثَاغِيهِ صَبَاحٍ، وراغِيهِ رَوَاحٍ. تلاحقت حاشيته، وتلاقحت ماشيته.

ذكر المال الصامت

ورمت أكياسه فِضَّةً وَتَبْرًا. عنده من الْعَيْنِ ما تَقَرَّرَ بِهِ الْعَيْنُ. الْعَيْنُ لِلْعَيْنِ قُرَّةٌ، وَلِلْقَلْبِ قُوَّةٌ. مَنْ مَلِكِ الصُّفْرِ أَبْيَضٌ وَجْهُهُ، وَأَخْضَرُّ عَيْشُهُ. كم عنده من عَدُوٍّ فِي بُرْدِهِ صَدِيقٍ. من نَجَازِ الصُّفْرِ، يدعو إِلَى الْكُفْرِ، ويرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ. كدارة الْعَيْنِ، يحطُّ ثَقْلُ الدِّينِ، وَيُنَافِقُ بَوَاجِهُنَّ. فلانٌ مُسْتَظْهِرٌ بِخَبَايَا الْحَقَائِبِ، وسرائر الْأَخْرَاجِ، وضمائر الصَّنَادِيقِ. أموال آغْتَضَّ بِحُسْبَانَاتِهَا الدِّيَّوَانُ، ونَاءَ بِثِقَلِهَا الْخُزَّانُ.

تراجع الأمور وركود ربح النعمة

رَقَّتْ حَاشِيَةُ حاله، ومالت دِعَامَةُ ماله. قد أَفْلَ نجمه، وسقط سَهْمُهُ،

وَكثُرَتْ فَتَوَقُّهُ، وَاتَّسَعَتْ خُرُوقُهُ. أُخْمِدَتْ نَارُهُ، وَوُضِعَ مَنَارُهُ. خَبَا قَبَسُهُ، وَكَبَا فَرَسُهُ. قَدْ قَعَدَتْ بِهِ نَوَاهِضُهُ، وَتَسَاقَطَتْ خَوَافِيهِ وَقَوَادِمُهُ.

انحاء الخطوب والنوائب

حصل بين أنياب الزمان ومخالبه، وصلي بنار جوادته ونوائبه. تصرفت به خطوب تتلو خطوبا، وشوائب تدع الولدان شيبا. حوادث أجحفت، وكوارث ألحقت. عصفت به عواصف الثبور، وقواصف الدهور. بين محنة قاصدة، ونكبة راصدة. قد عاين شدة متعبة، وعانى أمورا مستصعبة. مر به ما لو مر بالحديد لذاب، أو بالوليد لشاب. نشب في أعظم خطة، وأصعب ورطة. قد عضه ناب الأنابة العظمى، ورمي بسهم الدامية الجلّي، وحصل في أسر أطامة الكبرى. حرّمه الضر، وأنحى عليه الزمن المر، ونشزت عليه أبيض وشمست منه الصفر، وأكلته السود وحطمته الحمر. قد حلي بقم الدهر فما يشبع من أكله نهسا ونهشا، وخضما وقضما.

سوء الحال واستحكام الحرقة

فلان يرتضع من الدهر ثدي عقيم، ويركب من الفقر ظهر بهيم. عاثر لا يستقل، سليم لا يبل، كسير لا يجبر، مضيم لا ينتصر. قد زالت عنه الآلاء، وأنثالت عليه اللآواء. لو بلغ الرزق فاه، لولا قفاه. لا يأوي إلى ظل الدنيا إلا تقاربت أكنافها، ولا يمتري درها إلا أخلفت أخلافها.

سوء أثر الفقر والضر

جاء بوجه قد غبر فيه الفقر، وانتزف مائه الدهر، وأمال قناته السقم، وقلم أظفاره العدم. وجه أكسف من باله، وزّي أوحش من حاله. جاء نابدين ناكل، ووجه حائل، ورجل وجة، ويد قجة، وأنياب قد أفتّر عنها الضر، والعيش

المُرّ. طريحٌ ضعيفٌ ومترَبّة، وطليحٌ ذَلٌّ ومَسْكَنه. جاءنا بوجهٍ قد نَضَبَ مأوّه،
وطال سقاؤه. لا يملك غيرَ الجِلْدَةِ بُرْدَة، ولا يلتقي بحياه رعدة. جاءنا فلانٌ
يضيق بالبرد ويسعّه، ويأخذه القُرُّ ويدعه.

وصف ثياب الفقر

جاء في قميصٍ قد أكل عليه الدّهر وشرب. أطمارٌ لعبت بها أيدي البلى.
جُبّةٌ تقرأ (إذا السّمَاءُ أنشَقَّتْ) سواء لابسها والعُرَيَان. جُبّةٌ لا تساوي
نصيفها. أطمارٌ كَالهَوَاءِ الرّقيق، وكَالشّراب الرّقراق. رِدَاءٌ دَبَّ فيه الرّدى.
أطمارٌ كنسج العناكب، ونار الحُباحب. رأيتُ فلاناً في ثيابٍ أخلاق، لم يَبْقَ
فيها من عمل الحائك باق. أطمار أرقُّ من أكباد المحبين، إذا هبَّ عليها
النّسيم أمتزجت بالهواء، وانتظمت في سلك الهباء.

وصف المتناهي في الفقر

قد أحلّت له الضرورة ما حرّم الله عليه، قد حصل على أشدّ إضاعة،
وتكشّفت عن أقبح فاقة، قد تناهت حاله في الانتشار والزّاحة إلى التّكشّف
عن دار بلقّ، وفقر مُدقّع. انتقل من سلخ جلد إلى تعرّق لحم، ومن رَضٍ
عَظُم إلى انتقاء مُخّ. فلانٌ حيٌّ كميّت، وفي بيت بلا بيت. ليس معه عقْد،
على نقد. يخرُج خروج الحَيّة من جحره، والطائر من وكره. حاله حال السليم ملّه
عَوّاده، والغريق أسلمته أعواده. هو بين أنياب الدّهر تحطمه بصريفها،
وتعتوره بصروفها، ويده صيفر، ومنزله قفر، وغداؤه الخوى، وعشاؤه الطّوى،
ووطأؤه الغبراء، وغطأؤه الخضراء، وإدامه التّشهي، وطعامه التّمني، وفراشه
المدر، ووساده الحجر. ثوبه جلده، ومركوبه رجله. خصيبُ العين. جديبُ
البطن، واسعُ المُنَى. ضيقُ الغنى، أفرغ بيتاً من فؤاد أم موسى.

ذكر اليسر بعد العسر والانتعاش من صرعة الدهر

تجلّت عنه غمة الخطوب، ودارت له آلعواقب بالمحجوب. انقشعت ضبابة محنته، وتجلّت غمرة كُربته، وطلّعت نجوم سعادته، وهطلت سحائب إرادته. صلح له الدهر الطّالِح، وملّكه عِناهُ البَحْثُ الجامِح، طلّع سعده بعد الأُفول، وبُعد صيته بعد الخمول. صار كمن أُحيي وهو رَمِيم، وأُنبت وهو هَبِيب. أنعم الله بإعادته، إلى أحسن عادته. أقبلت عُقدُ أموره تتحلّل، ومطالبه تتسهّل، ووجوه مناجحه تتهلّل. أخرجته من الضيق إلى السعة، ومن الانزعاج إلى الدّعة. تماسكت حاله التي تخلّلها الخلل، وثبتت قدمه التي ملّكتها الزّلل. صلحت حاله واستقلّت، وثبتت قدمه واستقرّت.

وصف عيش الناعم المغبوط

فلان في عيشة نديّ ظلّها، وسحّ وأبلّها وطلّها. هو في عيش رقيق الحواشي، مُثمر النواحي. هو في نعمة صافية، ومنحة ضافية، وعيشة راضية. قد لاحظ العيش مخضّر العود، ولابس الدهر مُتصل السُعود. هو صائب سَهْم الأمل، وافر جناح الجذل. يفترع أبكار اللذات، ويجتني ثمار المسرات، يُغازل الغزلان، ويُقامر الأقمار، ويُعاقر العقار. يهصر أغصان القدود، ويقطف ورد الخدود، ويجني رُمان النُهود. قد صحبته الأيام أحسن صُحبة، وعاشرة الزّمان أهنأ عشرة. غرابُ البين عن ربه مطار، وغيمُ اللّهوفيه مطير. هو في جانب منيع، وجناب مريع. ثمل في غناه، مُستقل في كراه. قد هنأه الله كل يوم إحساناً أغر، وملاه عيشاً أغن. قد خفّض الزّمان له جناحه، وألان مهاده. فهو يأخذ ما يشاء ويدع، ويلعب ويرتع لذّة العيش وطاب، وولى رقيب الغم عنه وغاب. هو بين جاء عريض، وعيش غريض. هو بين نعمة سنيّة، وبلهنية هنيّة. تُدلّ له الأيام أخادعها، وتُذني إليه

المطالبُ مشارِعَها. عيشٌ أخضرُ أعود ناضره، مائلُ الغُصن مائره. هو بين أنواء خَيْرٍ وخِصب، وأنوارِ رياضٍ وعُشب.

في ضد ذلك

نجمة مُنكدر، وعيشه كدر، ولباسه خَشِن، وطعامه خَشِب. يُقاسي من فَقْدِ رِياشه، وضيق معاشه، قدارةَ عينه، وغُصَّة صدره. حالٌ تريحه النهارُ أسود، والعيشُ أنكد. إذا أصبح ركب ظهر الشَّيْهم، وإذا أمسى توسد ذراع ألْهم. يكابد من مرارة عيشه ناب الأرقم، ويتجرع كأس العَقَم. مُنْغَص شِرة العيش، مقصوص جناح الأنس. حاله حالُ السَّليم في كُرْبته، والغريق في لُجَّته، والمحترق بحرته. هو بين غمامٍ لا تمطر إلَّا صواعق، وسمائم لا تهب إلَّا بوائق. قد تلقاه بوجه الثامت، ويد المصالت. عيشة رَنق، ومورده طُرق، وجانبه حَزْن، وحاله حُزن. طريح كُرْبية لا يعرف مداها، وجريح غُمَّة لا تكلُّ مداها. ما يأكل إلَّا على نَخَص، ولا يشرب إلَّا على غُصَص. قد أنقبضت مسافة طرفه، وأظلم أفق عيشه، وغربت نجوم سَعده.

السُرور والاهتزاز

أخذتني هَزَّة، وانتشرت في جوانحي مَسَرَّة. وجدتُ أعضائي كلها تتباهر، ووجوه رجائي تتهلَّل، وأعطاف مسرَّتِي تهتزُّ، وسحائب غبطتي تنهلُّ. حالي حالٌ من حُكمٍ في مُناه، وأعطي كتابه بيمناه. كِدْتُ أهيِّمُ فرحاً، وأطيرُ بجناح السُرور مَرَحاً. ملكتني المَسَرَّة حتى استفزَّتني، وأشتملت عليّ حتى هزَّتني. علَّتني بشاشة النِّجاح، ودبَّت فيَّ نشوة الأرتياح. أصبحت لا تُقلِّني كواهل أرضي مَرَحاً، ولا أعوادُ سرجي فرحاً. اتَّسع لي مَسرُّحُ السُّرور، وهطلت عليّ سحابة الجُور. اهتزَّ عِظفه، وارتفع طُرفه، وأنشراح صَدْرُه، وترجم عنه بَشْرُه. هَزَّة تُهدي المَسَرَّة إلى سواد القلب، وتؤدي الغبطة إلى سَوَاء النَفْس.

ابتهاج حل حبوة وقاره، ولاح أثره في أثناء وجهه وأسراره. اهتز اهتزاز الرامي
 قرطس سهمه، والضارب نفذ حده، والشجاع ظهرت فروسيته، والحازر
 صدقت فراسته. سرت المسرة في أعضائي، وطبقت الغبطة أحشائي،
 وتهللت وجوه من الأنس كانت قبل عابسة، وأورقت غصون من الفرح وعهدي
 بها يابسة. أقبلت بقلب مرتاح، وصدر ملآن من أنشراح. جاء بأقوى يد
 وأبسطها، وأسّر نفس وأنشطها. قد شق الضحك شذقه، وأمال الطرب
 عنقه. مسرة تركتني كالغصن غازلته الصبا فترنج، ومرت به الشمال فترجج.
 قرّت عيناه، وأنبسطت يميناه، وصافح مناه. المسرة آتية، والبهجة مواتية،
 والوحشة مؤلّية. لم أضبط نفسي أرتياحاً وهزة، كادا يورثاني بغياً وعزة. أنا في
 ثوب المسرة رافل ونجم ألوحشة عني آفل. دواعي المسرة مكتنفة، وعوادي
 الوحشة منكشفة.

في ضد ذلك

في نفسه بلائيل تدور، ومراحل تفور. يده دعامة لذّقه، وجسمه خشبة
 لحزنه. قد صافح أكفّ الحزن، وأستسلم لأيدي الزمن. ما يستقر به
 مضجع، ولا يجفّ له مدمع. باله كاسف، وقلبه راجف. همّ قد نكأ القلب
 وأبكى العين. لا أقول عمه، ولكن أعماه وأصمّه. يرى ضياء الدنيا ظلاماً،
 ويتصوّر نور الشمس قتاما. منطوي الجوانح على أذى، مغضوض الجفون
 على قذى. قد طبّق الحزن بسطة صدره، وأنفق الغم ذخيرة صبره. غمة
 جذع فتّي، وقلقه غضّ طري. نهاره للفكر، وليله للسهر. طرّق الأنس دونه
 مبهمه، وآفاق السرور عليه مظلمة.

ذكر الأمن

فلان لا يلتفت وراءه مخافة، ولا يخشى أمامه آفة. قد أبدله الله بحرّ

الْخَوْفُ بَرْدُ الْأَمْنِ فَأَمِنْ سِرْبُهُ، وَعَذْبُ شِرْبِهِ. أَمِنْ لَا يُذْعَرُ مَعَهُ السَّرْحُ، وَلَا يَتَغَشَّى لِبَاسَهُ الدُّعْرُ. قَدْ سَكَنَ رَوْعُهُ وَالتَّحَفُ عَلَيْهِ جَنَاحُ السَّكِينَةِ، وَحَصَلَ فِي ظِلِّ الطُّمَأْنِينَةِ. قَدْ سَكَنَ جَاشُهُ، وَزَالَ اسْتِحَاشُهُ.

في ضد ذلك

إِذَا نَامَ هَالَهُ طَيْفٌ، وَإِذَا أَنْتَبَهَ رَاعَهُ سَيْفٌ. طَارَ قَلْبُهُ بِجَنَاحِ الْوَجَلِ، وَطَاشَ لُبُّهُ فِي قَبْضَةِ الْوَهْلِ. الْأَرْضُ عَلَيْهِ كِفَّةٌ حَابِلٌ أَوْ أَشَدُّ تَقَارُبًا، وَحَلَقَةٌ خَاتِمٌ أَوْ أَتَمُّ تَدَاخُلًا. قَدْ مَلَكَهْ خَوْفٌ لَا يَرِيمُ، وَذُعْرٌ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ. قَدْ طَاحَ رَوْعُهُ فَرَقًا، وَطَارَ قَلْبُهُ فِرَقًا، كَادَتْ نَفْسُهُ تَطِيحُ، وَرُوحُهُ تَسْرِي بِهَا الرِّيحُ.

ذكر الطاعة بعد الإمتناع واللين بعد القسوة

دَانَ بَعْدَ طِمَاحِهِ، وَلَانَ بَعْدَ جِمَاحِهِ. سَمَحَ، بَعْدَ أَنْ جَمَحَ، وَتَطَوَّعَ، بَعْدَ أَنْ تَمَنَّعَ. اسْتَأْسَرَ، بَعْدَ أَنْ اسْتَأْسَدَ، وَتَذَلَّلَ، بَعْدَ مَا تَذَلَّلَ، وَتَأَتَّى، بَعْدَ مَا تَأَتَّى، وَعَنَا، بَعْدَ مَا عَنَّا. دَانَ مَقَادُهُ، وَلَانَتْ شِدَادُهُ. ذَلَّتْ أَخْدَاعُهُ، وَتَسَهَّلَتْ مَرَاتِعُهُ.

الضياع وما يجري من الألفاظ في ذكرها ووصف أحوالها

لِفَلَانٍ ضُيُوعَةٌ يَرْتَفِقُ بِهَا، وَيَرْتَزِقُ مِنْهَا. ضُيُوعَةٌ أَنْفَقَ عَلَيْهَا أَيَّامَ عَمْرِهِ، وَأَرَاقَ فِيهَا مَاءَ شَبِيبَتِهِ. ضُيُوعَةٌ أَقْتَنَاهَا بِوُطْءِ الْجَمْرِ، وَاسْتَعْمَرَهَا بِأَنْتَعَالِ الْعَدَمِ. ضُيُوعَةٌ يَحْشُدُ فِي عِمَارَتِهَا، وَيَحْتَمِلُ فِي تَشْمِيرِ آرْتِفَاعِهَا، وَيَبِيعُ مَا يَلُوحُ لَهُ الْحِظُّ فِي بَيْعِهِ مِنْ غَلَّاتِهَا. تِلْكَ الضُّيُوعُ عَلَى اتِّسَاعِ بَقَاعِهَا، وَعِظَمِ آرْتِفَاعِهَا، قَدْ اسْتَغْرَقَتْ غَلَّاتِهَا. نَوَائِبُ السُّلْطَانِ، وَتَحِيَّاتُ ثُمَرَاتِهَا جَوَائِزُ الزَّوْمَانِ، فَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلْإِفْضَالِ عَلَى الْإِخْوَانِ. وَقَفْتُ عَلَى مَا عَرَضَ فِي تِلْكَ الضُّيُوعَةِ مِنَ الضُّيُوعَةِ، وَفِي تِلْكَ الْعُلَّةِ مِنَ الْخَلَّةِ. أَرْبَابُهَا أَرْبَابُ خَلَّةٍ وَقَلَّةٍ، وَأَحْوَالُ

مُضْمَحَلَّةً. إِنَّ الْجَرَادَ أَلْعَامَ قَدْ جَرَدَ وَأَفْسَدَ. نَوَائِبُ أُنَاخَتْ عَلَى صُبَابَةِ مَعِيشَتِهِ
لَمْ تُبْقَ وَلَمْ تَذَرْ، وَتَرَكْتَ نَبَاتَهَا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ، وَذَلِكَ أَنَّ بَرْدًا أُتِيحَ لَهَا
كَبَيْضِ أَلْنَعَامِ كِبَرًا فَأَقْعَدَ قَائِمَهَا، وَغَيَّبَ نَاجِمَهَا، وَتَرَكَهَا عَافِيَةً تُنْدَبُ كَمَا نَدَبُ أَلشُّعْرَاءِ
أَلْأَطْلَالِ، ثُمَّ تَنْشُدُ أَنَّ أَلْوُقُوفَ عَلَى أَلْمَحِيلِ مُحَالٌ. هُوَ فِي تِلْكَ أَلضِّيَاعِ بَيْنَ
نَصْحِ يُؤْثَرُهُ، وَجَمِيلِ يُؤْثَرُهُ. قَدْ حَفَرَ، وَحَرَثَ وَبَذَرَ، وَقَوَّمَ أَلْمَائِدَ، وَأَصْلَحَ
أَلْفَاسِدَ، وَعَمَّرَ أَلْغَامِرَ، وَتَأَلَّفَ أَلنَّاقِرَ. كَانَ مِنْ أَثَرِهِ أَلْحَمِيدُ تَوَصَّلَهُ بِبَسِيرِ أَلنَّفَقَةِ
إِلَى عِمَارَةِ أَلْقِنِيِّ حَتَّى تَفْجَرَتْ عَيُونُهَا، وَغَزَرَتْ مِيَاهُهَا. هَذَا مَعَ غَيْضِ أَلْمَاءِ
فِي عَامَّةِ أَلْأَطْرَافِ، وَيَكْثُرُ أَلزُّرُوعُ عَلَى أَلْجِفَافِ. قَدْ صَارَ دَخْلُهَا عَلَى
أَلضُّعْفِ، بَعْدَ عَوْدِهِ إِلَى أَلنَّصْفِ. قَدْ أَكَّدَ أَسَاسَهَا، وَثَمَّرَ غِرَاسَهَا، وَأَضْحَكَ
رِيَاضَهَا، وَمَلَأَ حَيَاضَهَا. جَاهَدَ أُمُورَهَا حَتَّى تَيْسَّرَ أَكْثَرُهَا، وَتَرَكَهَا لَا يَتَخَلَّلُهَا
خُلَلٌ، وَلَا يَمِيلُ بِهَا مِيلٌ. قَدَّمَ فِيهَا مَا هُوَ أَصْلَحُ وَأَنْجَحُ، وَأَوْفَقُ وَأَرْفَقُ. تَلَا فِي
أَمْرِهَا أَعْظَمَ أَلتَّلَافِي، وَتَفَرَّدَ تَفَرَّدَ أَلْكَافِي أَلْوَافِي.

ذِكْرُ أَلْفَرَسِ وَبَغْلَةِ وَأَلْحِمَارِ

فَرَسٌ يُتَعَبُ سَائِسَةً، وَيُحْمَلُ فَارِسَهُ. فَرَسٌ رَائِعُ أَلْخَلْقِ، تَنْطِقُ عَنْهُ شَوَاهِدُ
أَلْعَتَقِ. سَفِينَةٌ بَرِّيَّةٌ، وَرِيحٌ مُجَسِّمَةٌ. كَأَنَّهُ مُتَتَقِبٌ بِأَلنَّجْمِ، مُتَعَلٌّ بِأَلْحِجَارَةِ
أَلصُّمِ. يُبَارِي طَلْقَ أَلْبُرَاةٍ، وَيُفْنِي أُنْفَاسَ أَلْفُهْودَ، كَأَنَّهُ طَوْدٌ مَوْثِقٌ، أَوْ سَيْلٌ
مُتَدَفِّقٌ، كَأَلْكُوكِبِ أَلْمُنْقَضِّ، وَأَلْبَارِقِ أَلْمَنْقُضِّ. كَأَلْجَاحِمِ أَلْمَشْبُوبِ،
وَأَلْهَاطِلِ أَلْمَصْبُوبِ. وَلَا يَعِينُ عَلَيْهِ سَوَاطِطٌ، كَأَنَّمَا أُنْعَلُ بِأَلرِّيَاحِ، وَبُرُقَعُ
بِأَلصَّبَاحِ. كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ، فِي أَشْطَانِ، وَكَأَنَّمَا لَطَمَ أَلصَّبَاحُ جَبِينَهُ. كَأَلْبَحْرٍ إِذَا
مَاجَ، وَأَلْسَيْلٌ إِذَا هَاجَ. بَغْلَةٌ تَجْمَعُ بَيْنَ حُسْنِ الشَّيْءِ، وَطَيِّبِ أَلْمَشْيَةِ. أَمَّا
ذَلِكَ أَلْحِمَارُ فَأَلرَّيْحُ أَسِيرُ يَدِهِ، وَشُعْلُ أَلنَّارِ فِي أَعْضَاءِ جِسْمِهِ، وَحَسَدُ
أَلْأَفْرَاسِ مَقْصُورٌ عَلَى حُسْنِهِ، وَكَمَدُ أَلْبَغَالِ لَمَّا فَاتَهَا مِنْ فَضْلِهِ.

وصف الأيام المشهودة والمشهورة

يومٌ هو عيدُ العُمر، وموسمُ الدَّهر. وميسمُ الفجر. يومٌ من أعيادِ دَهري، وأعيانِ عمري. يومٌ من أيامِ الدُّنيا ضاحكُ السِّن. طَلَقُ الوجه، شريفُ الصَّيت. رخيصُ الدَّهرمِ والدِّينار. كثيرُ الفرح والاستبشار. يومٌ أبرزت فيه الدُّنيا زينتها، وجلَّت على النِّواظر في معرضِ الجمال صورتها. يومٌ هو يومُ القيامةِ إلا أنه لا حشر، وعيدُ الدُّنيا إلا أنه لا فطر ولا نحر. يومٌ خرجت فيه العذراءُ من الخدر، والصَّبِي من المهد، وسلبَ الرَّجلُ رِداءه في عُمار الرِّحمة، والمرأةُ سوارها فلم يُسمع صراخها من الضَّجة. يومٌ تهافت فيه الناسُ حتى ضلَّت النعل، وسقط الرِّداء، ووُطئ الشيخ، وديس الصَّبِي، يومٌ تكاثرت فيه النظارة حتى حُمِلَ فيهم الصَّبِي، ودلَّف الشيخ، ودبت العجوز، وخرجت العروس، وخلت الدُّور.

التأبيد

ما طلعت ألُثْريا وغربت، وشرقت الشَّمْسُ وغربت. ما لاح كوكب، وأقام يَدْبُلُ وكَبَّكَب، ما حال حَوْل، وعاد عيد، وأخضرَ عود. ما طلعت شَمْس، وتكرَّر أَمْس، ما تردَّد نَفْس، وتكرَّر غَلَس. ما بَلَّ ريقُ فَمَا، ومِدادُ قَلَم. ما أنتهى ظلامٌ إلى فَلَاق، وتآدى غروبٌ إلى غَسَق. ما أُخِرَ المَهَل، وضُربَ المَثَل. ما بقي إنسان، ونطق لسان. ما طَرَدَ اللَّيْلُ النَّهَار، وأطرد النَّجْمُ وسار. ما تعاقب الضِّيَاءُ وَالظُّلَام، وتناسخت الشُّهُور والأعوام.

آخرُ كتاب الشُّوارد والفوارد وما يشبهها، والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأمثال والحكم

وما يحذو حذوها

قال مؤلف هذا الكتاب

قد اعتمدت بهذا الكتاب الأخير أن يكون غُرُّه كلها مُستقلَّةً بأنفسها،
مُنسوبةً إلى أربابها الذين هم أفراد الدَّهر، وأعيان العَصْرِ، في أنواع النُّثر،
وجعلت لكلِّ منهم باباً مفرداً، وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي أدام الله تأييده

الكَرِيمُ إذا وَعَدَ لم يَخْلِفْ، وإذا نَهَضَ بفضيلة لم يَقِفْ. الرَّجَاءُ كُنُورٌ في
كِمَامٍ، وَالْوَفَاءُ كُنُورٌ في ظِلَامٍ، وَلَا بُدَّ لِلنُّورِ أَنْ يَتَفَتَحَ، وَلِلنُّورِ أَنْ يَتَوَضَّحَ.
الْعَفْوُ عن المَجْرِمِ من مَوَاجِبِ الْكَرَمِ، وَقَبُولُ المَعْدِرَةِ من مَحَاسِنِ الشِّيمِ.
بَزُنْدِ الشَّفِيعِ توري نار النَّجَاحِ وَالْإِقْدَاحِ، وَمَنْ كَفِ الْمُفِيزُ يَنْتَظِرُ فور
الْقِدَاحِ. الوَسَائِلُ أَقْدَامُ ذَوِي الْحَاجَاتِ، وَالشَّفَاعَاتُ مَفَاتِيحُ الطَّلِبَاتِ. مَنْ
أَقْعَدَتْهُ نَكَايَةُ الْأَيَّامِ، أَقَامَتْهُ إِغَاثَةُ الْكَرَامِ. وَمَنْ أَلْبَسَهُ أَلَلِيلُ ثَوْبِ ظُلُمَاتِهِ، نَزَعَهُ
عَنْهُ النَّهَارُ بَضِيَّائِهِ. قُوَّةُ الْجَنَاحِ بِالْقَوَادِمِ وَالْخَوَافِي، وَعَمَلُ الرَّمَاكِ بِالْأَسِنَّةِ
وَالْعَوَالِي. اقْتِنَاءُ الْمَنَاقِبِ، بِاحْتِمَالِ الْمُتَاعِبِ، وَإِحْرَازُ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ،
بِالْسَّعْيِ فِي الْخُطْبِ الْجَلِيلِ. الدَّارُ دَارُ تَغْرِيبٍ وَخِدَاعٍ، وَمِلْتَقَى سَاعَةِ لَوْدَاعٍ،
وَأَهْلُهَا مُتَصَرِّفُونَ لِرُودٍ وَصَدْرٍ، وَصَائِرُونَ خَبِيراً بَعْدَ أَثَرٍ. غَايَةُ كُلِّ مُتَحَرِّكٍ

سكون، ونهاية كل متكون أن لا يكون، وآخر الأحياء فناء، والجزع على الأموات
عناء، وإذا كان كذلك، فلم التهالك على هالك. حشو هذا الدهر الخوون
أحزان وهموم، وصفوه من غير كدر معدوم. إذا سمح الدهر بالحباء، بأبشر
بوشك الانقضاء، وإذا أعار، فأحسبه قد أعار، وإذا حالف، فأحسبه قد
خالف. الدهر طعمان خلّو ومّر، والأيام صرّان عسر ويسر، والخلق معروض
على طورية، مقسوم الأحوال على دورية. لكل شيء غاية ومُتَهَي، وانقطاع
وإن بُعد المدى. تركّ الجواب، داعية الآرتياب، والحاجة إلى اقتضاء،
كُسوف في وجه الرجاء. النجيب إذا جرى لم يُشَقَّ غباره، والشهاب إذا سرى
لم تُلَحَقْ آثاره. من أين للضباب، صوب السحاب، وللغراب هويّ العقاب،
وهيهات أن تكسب الأرض لطافة الهواء، ويصير البدر كالشمس في الضياء.
قد يُستعذب الشريب من منيع الزُعاق، ويُستطاب النحيب من النهاق. كل
غم إلى انحسار، وكل عالٍ إلى انحدار. همّ المُتَظَرِّ للجواب ثقل،
والمدى فيه وإن كان قصيراً طویل.

ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي
الزّمانُ صروفٌ تجول، وأمورٌ تحول. الأخلاقُ تُنمِيها الأعراق، والثمارُ تنبِيُ
عنها الأشجار. الشُّكرُ به زكاءُ النُّعمى، والوفاءُ معه صلاحُ العُقبى. السَّعيدُ
من تحلّى بزينة الطَّاعة، واقتدح بزُند الجماعة. العامّة لا تفقه حقائق
المذاهب، ولا تعرف عواقب التَّألُّب والتَّحارُّب. المخذول يرفع رأساً ناكساً،
ويُبلّ فماً يابساً. لا يشوقنك غرارة الصَّبى، ولا يروقنك زُخرفُ المني. استعد
بآله من نَزغاتِ الشَّيطان، ونَزقاتِ الشُّبان. مَنْ خلا له الجُؤ باض وصفَر ومن
أسترخى به أَللب نزا وطَفَر.

ما أخرج من كلام أبي الفضل بن العميد
متى خَلَصْتَ حالاً من أعتوارٍ إذى، وصفا فيه شِرْبٌ من أعتراض قذى. قد

تتماسك الأمور حتى تبلغ إلى غاية، ثم تتباين وتتهافت وتستمر حتى تنتهي إلى
نهاية، ثم تتخاذل وتتفاوت. لن يفيض الإناء وإن تدارك القطر عليه حتى
يمتلئ، ولا يتساقط الثوب وإن دب فيه البلى حتى ينتهي. قد تتسمح الأيام بما
تمنع، وتتساهل ثم تقطع، وتصل الغبطة بالرزية، والمحنة بالمحنة، ولها غرات
تُبندَر، وغفلات تُنتَهز. قبل أن تَفطن فيخشن مَسْها، ويمتنع جانبها، ويتأبى
طائعها، ويتصعب سهلها. قد يعزب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم
يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الرأي ثم
يُستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو، وكلُّ شدةٍ فإلى
رخاء، وكلُّ غمرةٍ فإلى أنجلاء. قد تنفجر الصخرة بالماء الزلال، ويلين القاسي
فيعود إلى الوصال. العاقل من افتتح في كلِّ أمر خاتمته، وعلم من بدء كلِّ شيء
عاقبته، وطالع بظنه من كلِّ غرس ما يجنى منه، ومن كل زرع ما يحصد عنه.
خير القول ما أغناك جدّه، وألهاك هزله. مَنْ أَسْرَّ دأه وسرَّ ظمأه، بُعد عليه
أن يُيل من علّله، ويُبَل من غلّله، الرُتب لا تُبلُغ إلا بتدرُّج وتدرّب، ولا تُدرك
إلا بتجشّم كُلِّفَةٍ ونَصَب. الصَّحِيحُ يصيح ويُفصح، والحقُّ يلوح ويُلمَح.
الوداد غرسٌ إن لم يوافق ثرى ثرىاً وماءً رويّاً، لم يُرج إيراقه، ولم يُومل ثماره
[وأوراقه]. القلوب أوعية يشرحها الرِّفق، ويبسطها اللُّطف، ويفسحها
التمرّين، وإذا تجوز بها هذه الخلال، إلى الاستكراه والإملال، خرجت عن
احتواء عِلْم، وضاعت عن ضبط فهم، وفاضت بما تُستودع. رأس المال خيرٌ من
الرَّيح، والأصل أولى بالعناية من الفرع. المرء أشبه شيء بزمانه، وصفة كلِّ
زَمانٍ منسَخَةٌ من سنجايا سلطانه. قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه، فكيف
يذهل العاقل عن حفظ أوليائه، للأمور أوائل دالّة على أواخرها، ومقدمات
شاهدة لعواقبها، هل السَّيد إلا مَنْ تهابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدير. الإبقاء
على خدام السلطان عدلٌ الإبقاء على ماله، والإشفاق على حاشيته وحشمه،
مثل الإشفاق على دينارهِ ودرهمهِ. قدّم من خيرك ما لا ينفك تأخيرهِ، وأحص

الشَّرَّ قبل استفحاله، وقوم آلِيل ما دام الغصنُ غضاً يقبل التقويم، ورطباً يطيع التثقيف، ولا تنتظر به العُسُورُ والامتناع، وداو فتقاً تُنهره الأيام خرقاً إن تركته، أرأب شعباً يزيدُ الدَّهرَ وهياً إن أغفلته. المرح وأهزل بابان إذا فُتِحا لم يُغلَقا إلَّا بعد العسر، وفحلان إذا ألقحا لم يُنتجا غير الشرِّ.

ما أخرج من كلام أبي محمد الحسن بن محمد المهلبى الوزير

من تعرّض للمصاعب، تثبّت للمصائب. من ضاف الأسد قرأه أظفاره، ومن حرّك الدَّهرَ أراه اقتداره. من حنّ في أيمانه، وأخلّ بأمانته، فإنما ينكت على نفسه. القلب لا يملك بالمخاتلة، ولا يُدرّك بالمجادلة. التَّصَرُّفُ أسنى [وأعلى]، والتَّعَطُّلُ أَعْفَى وأصفى. أكفّف عن لحم يكسبك بشماً، وفعلٍ يُعقبك ندماً. مكنْ مَوْضعَ رجلِك، قبل مشيك، وتأمّلْ عاقبة فعلك، قبل سعيك. لا تُبد وجه المطابق الموافق، وتخفي نظر المُسارق المُنافق. لا تُعَدِّل عن النَّصِّ، إلى الخُرُص، وعن الحِسِّ، إلى الهجس. ربّما وفي ظنين، وهفا أمين. قتلُ الإنسان ظلمٌ، وقتلُ قاتله حكم، لو لم يكن في تهجين الرأي المُفرد، وتبيين عجز التّدبير الأوحد. إلَّا أنَّ الاستلحاق وهو أصل كلِّ شيء لا يكون إلَّا بين اثنين، وأكثر الطيبات أقسام تجمع، وأصناف تُؤلف، لكفى بذلك ناهياً عن الاستبداد، وأمرأً بالاستمداد.

ما اخرج من كلام الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد

من استجار به فقد وطئ النجم بقدمه، وسبق القَدَم بتقدّمه. من استماح البحر العذب، استخرج اللؤلؤ الرّطب. من غرته أيامُ السّلامة، حدّته السّنة النّدامة. من لم يهزه يسير الإشارة، لم ينفعه كثير العبارة. ربّ لطائف أقوال، تنوب عن وظائف أموال. الكلام إذا تكرر في السَّمْع، تقرر في القلب. من طلب الرّيّ من الفُرات لم يخش الظمأ في ورده. ومن قصّد الكريّم برجائه

لم يُحاذر الحَيَّة في قصده. من طالت يده بالمواهب، امتدَّت إليه أَلْسِنَةُ المطالب. مَنْ غَمَط النِّعْمَة، استنزل النِّقْمَة. مَنْ نَبَت لحمه على الحرام، لم يحصِّده غيرُ حَدِّ الحُسام. من يكنَّ الحَدَّاء أباه، تَجِدُ نعلاه. من لم يتحرَّز من أَلْمَاكيد قبلَ هُجُومها، لم يُغْنِه الأسف عند وقوعها. مَنْ عَرَفَ المَفَاخر، عَرَفَ المَعَاير، وَمَنْ حَفِظَ المَساعي (كذا). الناس بِالذِّمِّ أَعْلَقَ، وروائحه بِالْحَفِظِ أَعْبَقَ. الاعتدالُ أَعْدَلُ، والطريقُ الأَوْسَطُ أَمْثَلُ. الرَّأْيُ أَقْوَمُهُ، أَحْكَمُهُ، وَأَسَدُهُ، أَشَدُّهُ. رَبُّ أَجْتِهَادٍ، أَبْلَغُ مِنْ جِهَادٍ، ومكايِدُ دَقِيقَةُ المَسَارِبِ، أَنْكَى مِنْ جِدَادٍ صَقِيلَةِ المَضَارِبِ. ولطائفُ أَقْوَالٍ، تنوَّبُ عن وظائفِ أُمُوالٍ. وثباتُ عقولٍ وعقودٍ، أَوْقَعُ مِنْ ثُبَاتِ جيوشٍ وجنودٍ. غَشُّ الكافيِ أَحْمَدُ مِنْ نُصْحِ الناقصِ. أَلْتَنَاءُ الجَمِيلِ لِسَانُ المَساعي، وَأَلْبَشُرُ أَحْسَنُ عُنْوَانُ المَعالي. أَلْصَدْرُ يَطْفَحُ بِمَا جَمَعَهُ، وَكُلُّ إِنَاءٍ مُوَدِّ مَا أَوْدَعَهُ. اللَّيِّبُ تَكْفِيهِ أَلْمَلْحَة، وتغنيه عن أَلْلَفْظَةِ أَلْلَحْظَةِ، الإِحْجَامُ فِي موطنه، كَأَلْأَقْدَامٍ فِي مواقعه، وَأَلْتَرَكُ فِي أَمَاكِنه، كَأَلْأَخْذِ فِي مواضعه. الرِّاحَة حَيْثُ تَعِبَ الكرامُ أَوْدَعُ، لَكِنها أَوْضَعُ، وَأَلْقَعُودُ حَيْثُ قَامَ الأَحْرَارُ أَسْهَلُ، لَكِنَّهُ أَسْفَلُ. الشَّمْسُ قَدْ تَغِيبُ ثَمَّ تُشْرِقُ، وَأَلرَّوْضُ قَدْ يَذْبُلُ ثَمَّ يورِقُ، وَأَلْبَذْرُ يَأْفُلُ ثَمَّ يَطْلُعُ، وَأَلْسَيْفُ يَنْبُو ثَمَّ يَقْطَعُ. اللَّيِّبُ مَنْ أَلْإِيْمَاءُ يَكْفِيهِ، وَأَلْإِيْحَاءُ يُغْنِيهِ، وَأَلْلَفْظَةُ تَجْزِيهِ، وَأَلْلَمْلَحَةُ تُؤَثِّرُ فِيهِ. أَلْكَاسُ تَكْرَهُ أَوَّلَ مَا تُؤْخِذُ، ثَمَّ تَنْفَعُ بَعْدَ مَا تَنْفِذُ. السَّيِّدُ لَا يَرُوعُ أَلْقَطِيعَ بِأَرْضِهِ، وَأَلْأَسَدُ لَا يَعدُو عَلى أَلْفَرِيْسَةِ فِي غِيْلِهِ. الوُقُوفُ فِي مَدَارِجِ أَلْتَّهَمِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، وَأَلْدُخُولُ فِي شُبُهَاتِ الظَّنِّ دَاءٌ عَقِيمٌ. العَلَمُ بِأَلْتَدَاكِرِ، وَأَلْجَهْلُ بِأَلْتَنَّاكِرِ. الطَّاعَةُ سَعِيدَةُ المَطْلِعِ، حَمِيدَةُ المَرْجِعِ. وَأَلْعَصِيَانُ ذَمِيمُ أَلْفَاتِحَةِ، وَخِيَمُ أَلْعَاقِبَةِ. الثَّعَالِبُ لَا تَجْسُرُ عَلى أَخْيَاسِ الأَسُودِ، وَأَلْأَرَانِبُ لَا تُقَدِّمُ عَلى أَغْيَالِ أَلْلِيُوثِ. الضَّمَاثُرُ أَلْصِّجَّاحُ، أَبْلَغُ مِنَ أَلْأَلْسِنَةِ أَلْفِصَّاحِ. إِنَّ الجِبَالَ أَلْتَّمُ، وَأَلْأَطْوَادُ أَلْصَّمُ لَا تَمَالُ بِحَصِيَّاتِ أَلْقَاذِفِ، وَلَا تَحَالُ بِجَمْرَاتِ الحَاذِفِ. الرَّجُلُ المُحَوَّلُ مِنْ ثَنَى أَرْزَمَةٍ

الأعداء عن الشحنةاء، إلى المودة والصفاء، لا من أحوال الصديق ذا الإحساء، إلى حال الهجرة والبغضاء. الشيء يحسن في إبانته، كما أن الثمر يستطاب في أوانه. الإغفال لا تؤمن عواقبه، بل تحذر مضايده. الآمال ممدودة، والأنفاس معدودة. الذكري ناجعة، وكما قال الله نافعة. تجارة الإفضال رابحة، وصفقة الإحسان راجحة. متن السيف لين، ولكن حده خشن. ومس الحية ألين، ونابها أخشن. والشمس تحيي نورا، ولكنها تقتل حرًا. والماء يروي، وقد يخاض فيه فيردى. عقد الأمن في الرقاب، لا يبلغ إلا بركوب الصعاب. بعض الجلم مذلة، وبعض الاستقامة مزلّة. كتاب المرء عنوان عقله، بل عيان قدره، ولسان فضله، بل ميزان عمله. انجاز الوعد، من دلائل المجد. واعتراض المظل، من أمارات البخل. وتأخير الإسعاف، من قرائن الإخلاف. خير ألب ما صفا، وضا، وشره ما تأخر، وتكدر. خير الوعد ما قضى بالارتداد، قبل الإيقاع، والأنزجار، قبل الإنكار. اصطناع الأراذل، سمة في وجوه الأفاضل. مرضاة السلطان، لا تغلو بشيء من الأثمان، ولا يبذل الروح والجنان. فِراسة الكرم لا تبطي، وقيافة الشرف لا تخطي. قد ينبج الكلب القمر، فيلقم النابح الحجر. كم متورط في عثار، رجاء أن يأخذ بثار. لا بُدُّ للسر من قمر، وللرّبي من مطر. قد يبلغ الكلام، حيث تقصر السهام. ربما كان الإقرار بالقصور، أنطق من لسان الشكور. ربما كان الإمساك عن الإطالة، أرجح في الإبانة والدلالة. هل يثبت التصنع إلا بقدر الاستكشاف، ويستقر العمل إلا ريث الاستشفاف. لكل أمر أجل، ولكل وقت عمل. إن نفع القول الجميل، وإلا نفع السيف الصّقل. لا يذهن عليك تفاوت ما بين الشيوخ والأحداث، والنسور والنبغات. عريسة الأسد، ليست من أماكن النقد. كفران النعم، عنوان النقم. وجحد الصنائع، داعية القوارع، وتلقي الإحسان بالجحود، تعريض النعم للشرود. قد يصلي البريء بالسقيم، ويؤخذ البرُّ بالأنيم. يقوى الضعيف، ويصحو

النزيف، ويستقيم المائد، ويستيقظ الهاجد. ما أنتفع بعلم من لم يتنفع بطبه، ولا بفهم أمرىء لم يُصب بوهمه. إنَّ السنين تُغيّرُ السنن. شجاع ولا كعمرو، ومندوب ولا كصخر. للصدر نفثة إذا أخرج، وللمرء بثّة إذا أحوج. طلوع الشمس في ضمان غروبها. ومكاره الأيام في أعقاب محبوبها. وعواري الليالي على شرف ارتجاعها، وودائع الدهر بعرض انتزاعها. المكتابة نظام الصلّة وقوام المقة، وملاك المسرة، وعماد المبرة.

ما أخرج من كلام أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي

موقع الشكر من النعمة، موقع القري من الضيف. إنَّ وجده لم يرم، وإنَّ فقده لم يُقم. إنَّ النفس لأمارّة بالسو، صبة إلى العتو. لا تدفع عن مضارّها إلاّ بالشكايم، ولا تُقاد إلى منافعها إلاّ بالعزائم، فمن كبجها وثناها نجأها، ومن أطلقها وأخرجها أرداها. إنَّ الشيطان يكسو الخدع والشبهات، سراييل الحجاج والبينات. ليستفز بها الأحلام، ويستزلّ الأقدام. احذر أن تأمر بما تجانب فعله، وتنهى عما تأتي مثله. الشورى لقاح العقول والمباحثة رائد الصواب، وأستظهار المرء على رأيه من عزم الأمور، وأستنارته بعقل أخيه من حزم التدبير. إذا استفحل الداء فالكى والأنضاج، أنجع ما استعمل فيه من العلاج. أعرف الناس بقدر العافية من وجدها بعد فقدها، وبفضل الثروة من لبسها بعد التعري منها. لسان العمل أنطق من لسان القول. وجميل الفعل أزجر من حسن الوعظ. إذا أتت الجفوة من معدن البرّ تضاعف إيلاها، وتزايد إيجاعها، كما أن المبرة إذا جاءت شاذة من معدن العقوق حسن موقعها، وأعجب أمرها. ربّ بعيد يقربه نقاء جيبه، وقريب يبعده اتهام غيبه. ربّ حاضر لم تحضر نيته، وغائب لم تغب مشاركته. للكلام مذاهب وملاحن، وربما سلك القائل مسلكاً فسلك السامع ضده، وأراد شيئاً فظنّ به غيره. لا بدّ من مصابرة الغمرة حتى تنجلي، وملاطفة الشدة حتى تنتهي.

السيئة إذا حصلت بين حستين لم تكن إلا مغمورة مغفورة. إن الله تعالى دعا إلى النهوض والنهوض، ونهى عن الفتور والفتور. الشكول أقارب، وإن تباعدت بهم المناسب. إن انتشار النظام إذا بدا بدب ديب النار في الهشيم، ويسري كما يسري النعل في الأديم، وكثيراً ما يُعدي الصحاح مبارك الجرب، ويتخطى الأذى إلى المركب الصعب.

ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف

نعم ألمعبر عن الضمير مضمار القريض. إن الله سائلك عن الخطرة والخطفة، واللحظة واللفظة. أدرع من ثوب عفافك، ما يشمل كافة أطرافك. التقوى أقوى ظهير، وأوفى معين. وخير عتاد، وأكرم زاد للمعاد. اشحذ فكرك، وأرهف ذهنك. إذا ابتديت النظر، فأقض أمامه لكل وطر، لئلا تجاذبك شهوة، أو تختلجك من نوازع النفس حاجة. احذروا أن ينقلكم الله بأقدامكم، إلى مصارع جمامكم. استديم النعمة عليك بالتقوى لله، وبحسن الطاعة للسلطان فإنهما جنتك، وعدتاك وذريعتاك، والمشفعتان عند الله في أولاك وأخراك. التقوى أوفى معين، وأوفى ظهير. التقوى هي العدة الوافية، والجنة الوافية، والتجارة الرباحة، والسعادة السانحة، والجلاء للشبهة، والضياء في الغمة. سيعيض الله من حرّ الهواجر برد الظلال، ومن قلق الركاب، نجح الإياب. استقبلوا بالخضوع وجه الله واستنزلوا بالتسبيح والتهليل رحمته. واستديموا بالحمد والشكر نعمته. أيقظوا قلوبكم من سنة الخواطر، وأحبوسا الحاظكم عن محذور المناظر.

ما أخرج من كلام أبي الحسن علي بن القاسم القاساني

قل في حرّان أخطأ النوء، وحيران مظلم خذله الضوء. مراتع أهل الفضل موبئة، ووجوه مطالبهم مظلمة. شاهد القلب يصدق القول، ورائد الضمير

يَحَقُّ الدَّعْوَى . اِبْتَدَاءُ الْمَنَّةِ تَبَرُّعٌ وَنَافِلَةٌ ، وَإِتِمَامُهَا سَنَةٌ لَازِمَةٌ وَغَنِيمَةٌ حَاصِلَةٌ .
الْبَيَانُ الْحَسَنُ يَنْبُؤُ عَنِ الرُّقَى ، وَيَسْتَنْزِلُ الْعُصْمَ مِنَ الذُّرَى . كَلَالُ الدَّهْنِ ،
مَعَ ارْتِقَاءِ السَّنِّ . وَنُقْصَانُ الْخَوَاطِرِ ، بِزِيَادَةِ الشَّوَاغِلِ وَاسْتِمْرَارِ الْبَلَادَةِ ،
بِمَفَارِقَةِ الْعَادَةِ .

مَا اخْرَجَ مِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْخَوَارِزْمِيِّ

الشُّكْرُ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَالسَّلَاحُ بِإِزَاءِ الْأَثْمَانِ . الطَّيْرُ وَاقِعُهُ مَعِ مِثْلُهَا ،
وَالنَّفْسُ مَائِلَةٌ إِلَى شَكْلِهَا ، الْإِذْكَارُ حَيْثُ التَّنَاسِي ، وَالتَّقَاضِي ، حَيْثُ
التَّغَاضِي . الْعَشْرَةُ مَجَامِلَةٌ ، لَا مَعَامِلَةَ ، وَالْمَجَامِلَةُ لَا تَسَعُ الْاسْتِقْصَاءَ
وَالْكَشْفَ ، وَالْعَشْرَةُ لَا تَحْتَمِلُ الْحِسَابَ وَالصَّرْفَ . الْإِعْتِذَارُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
ذَنْبٌ ، وَالتَّكْلُفُ مَعَ وَقُوعِ الثَّقَةِ عَيْبٌ ، وَالدَّوَاءُ لَغَيْرِ حَاجَةٍ دَاءٌ ، كَمَا أَنَّهُ عِنْدَ
الْحَاجَةِ إِلَيْهِ شِفَاءٌ . الْاسْتِقَالَةُ تَأْتِي عَلَى الْعَثَرَاتِ ، كَمَا أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ . الذَّنْبُ لِلْعَيْنِ الْعَشَوَاءِ ، فِي مَحَبَةِ الظُّلْمَاءِ ، وَكَرَاهَةِ الضِّيَاءِ ، وَفَمِ
الْمَرِيضِ يَسْتَثْقِلُ وَقَعَ الْغِذَاءِ ، وَيَسْتَمْرِيءُ طَعْمُ الْمَاءِ . الْحَرُّ كَرِيمُ الظَّفَرِ إِذَا
نَالَ أَنْالَ ، وَاللَّيْمُ لَثِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ أَسْتَطَالَ . الْآبَاءُ أَبَوَانُ : أَبٌ وَلِدَادَةٌ ، وَأَبٌ
إِفَادَةٌ فَأَلَاوُلُ سَبَبُ الْحَيَاةِ الْجِسْمَانِيَّةِ ، وَالثَّانِي سَبَبُ الْحَيَاةِ الرُّوحَانِيَّةِ . الْغِيْرَةُ
عَلَى الْكُتُبِ مِنَ الْمَكَارِمِ ، لَا بَلْ هِيَ أُخْتُ الْغِيْرَةِ عَلَى الْمَحَارِمِ . وَالبُخْلُ
بِالْعِلْمِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، قَضَاءٌ لِحَقِّهِ وَمَعْرِفَةٌ بِفَضْلِهِ . الرَّجُلُ إِذَا قَيَّدَهَا عِقَالُ
الْوَجَلِ ، لَمْ تَنْطَلِقْ نَحْوَ مَطْبَةِ الْأَمَلِ . الْمُحْجُوجُ بِكُلِّ شَيْءٍ يَنْطِقُ ، وَالْغَرِيقُ
بِكُلِّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ . الْعَاقِلُ يَخْتَارُ خَيْرَ الشَّرِّينَ ، وَيَمِيلُ مَعَ أَعْدِلِ الشَّقِيَيْنِ . الْجَوَادُ
مُحْتَكِرٌ بَرٌّ ، لَا مُحْتَكِرٌ بُرٌّ . الْكَرِيمُ تَاجِرُ جَمَالٍ ، لَا تَاجِرُ مَالٍ . وَالْحُرُّ وَقَايَةُ
الْحُرِّ مِنْ فَقْرِهِ ، وَسِلَاحُهُ عَلَى دَهْرِهِ ، الْمَدْحُ الْكَاذِبُ ذَمٌّ ، وَالْبِنَاءُ عَلَى غَيْرِ
أَسَاسٍ هَدْمٌ . الدَّهْرُ غَرِيمٌ رُبَّمَا يَفِي بِمَا يَعِدُ ، وَحَبْلِي رُبَّمَا تُثْمِتُ فِيمَا تَبْلِدُ .
الدَّهْرُ أَصَمُّ عَلَى الْكَلَامِ ، صَبُورٌ عَلَى وَقَعِ سَهَامِ الْأَمَلَامِ . النَّاسُ بِالْإِحْسَانِ ،

وَالْإِحْسَانُ بِالسُّلْطَانِ، وَالسُّلْطَانُ بِالزَّمَانِ، وَالزَّمَانُ بِالْأَمْكَانِ، وَالْأَمْكَانُ عَلَى قَدْرِ الْمَكَانِ. الْعَزْلُ طَلَاقُ الرِّجَالِ، وَالْمِحْنَةُ صَيْقُلُ الْأَحْوَالِ. الْكَرِيمُ مَنْ أَكْرَمَ الْأَحْرَارَ، وَالْكَبِيرُ مَنْ صَغَّرَ الدِّينَارَ. الْمَصِيبَةُ فِي الْوَلَدِ أَلْعَاقُ مَوْهَبَةٍ، وَالْتَعَزُّيَةُ عَنْهُ تَهْنِئَةٌ. الْمَحَبَّةُ ثَمَنُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ غَلَا، وَسَلَّمٌ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ عَلَا. الرَّجُلُ مَنْ إِذَا كَوَى أَنْضَجَ، وَإِذَا لَقِحَ أَنْتَجَ. وَإِذَا قَالَ أَبْلَغَ. وَإِذَا أَنْعَمَ أَسْبَغَ. التَّقْدِيمُ عَلَى الْغَايَةِ تَأْخُرُ عَنْهَا، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْكَفَايَةِ نُقْصَانٌ مِنْهَا. الْأُذُنُ بِكَرٍّ مِنَ الْأَبْكَارِ، لَا تُفْتَضُّ إِلَّا بِالْأَخْبَارِ، وَالْبَكْرُ مِنْهَا أَحَبُّ إِلَيْهَا، وَالذُّ لَدَيْهَا. إِنَّمَا السُّؤْدُودُ بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ، وَكَثْرَةُ الْأَتْبَاعِ بِكَثْرَةِ الْأَصْطِنَاعِ إِنَّمَا تَحُومُ الْأَمَالِ حَيْثُ الرَّغْبَةُ، وَتَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ تُنَشِّرُ الْحَبَّةَ، إِنَّ النِّسَاءَ لَحِمٌّ عَلَى وَضْمٍ، وَعَصِيدٌ فِي غَيْرِ حَرَمٍ، إِلَّا أَنْ تَلَاخِظَ بَعِيْنَ غَيُورٍ، وَنَفْسٌ يَقِظُ حَذُورٍ. إِنَّ الْوِلَايَةَ عَزْلٌ، إِذَا لَمْ يَعْمَرْ جَانِبَهَا عَدْلٌ. سُرْعَةُ الشَّهَادَةِ طَرِيقٌ مِنْ طُرُقِ الْخَفَةِ، وَابْتِدَالُ الْمَدْحِ وَالْتَزْكِيَةِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْمَلَقِ. الْمَجَازَفَةُ بِحِسَابِ الْمَقَالِ، أَقْبَحُ مِنَ الْمَجَازَفَةِ بِحِسَابِ أَلْمَالِ، قَبُولُ شُكْرِ الشَّاكِرِ التَّزَامُ لَزِيَادَتِهِ، وَاسْتِمَاعُ قَوْلِ الْمَادِحِ ضَمَانٌ لِحَاجَتِهِ. صَغِيرُ الْبِرِّ الْطُفُّ وَأَطْيَبُ، كَمَا أَنَّ قَلِيلَ أَلْمَاءٍ أَشْهَى وَأَعْذَبُ. ثَمَرَةُ الْأَدَبِ الْعَقْلُ الرَّاجِحُ، وَثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ. طَوْلُ الْخِدْمَةِ، أَكْثَرُ حُرْمَةٍ، وَتَأَكُّدُ الْحُرْمَةِ، عَقْدُ قَرَابَةٍ وَلُحْمَةٍ. ادْعَاءُ الْفَضْلِ مِنْ غَيْرِ مَعْدِنَةٍ نَقِيصَةٌ، كَمَا أَنَّ الْإِقْرَارَ بِالنَّقْصِ مِنْ حَيْثُ الْإِعْتِزَالِ فَضِيلَةٌ، وَالْقِتَالُ عَنِ الْعُسْكَرِ الْمُنْهَزَمِ ضَرْبٌ مِنَ الْمُحَالِ، وَتَعَرُّضُ لِسَهَامِ الْأَجَالِ. شَاهِدُ الْإِيْمَانِ، أَقْوَى مِنْ شَاهِدِ النَّسِيَانِ، وَدَلِيلُ الْبَصَرِ، أَوْضَحُ مِنْ دَلِيلِ الْخَبَرِ شَاهِدُ الْأَحْوَالِ، أَنْطَقُ مِنْ شَاهِدِ الْأَقْوَالِ. بَابُ الْإِحْسَانِ مَفْتُوحٌ مَنْ شَاءَ دَخَلَهُ، وَجَمِي الْجَمِيلُ مُبَاحٌ مَنْ أَشْتَهَى فَعَلَهُ. وَلَيْسَ عَلَى الْمَكَارِمِ حِجَابٌ، وَلَا يَغْلِقُ دُونَهَا بَابٌ. شَبَكَةُ الْمُحَالِ أَوْهَى مِنْ أَنْ تَنْشَبَ فِيهَا رَجُلٌ مُجِئٌ، وَكَيْدُ الْبَاطِلِ أَوْعَفُ مِنْ أَنْ يَنْفُذَ فِي حَقِّ. مُؤَدِّبُ الْعَاقِلِ إِخْوَانُهُ، وَمِرَاتُهُ زَمَانُهُ. وَسَوَاطُ الْجَوَادِ عِيَانُهُ. شَرَفُ النَّازِلِ مُتَّصِلٌ بِشَرَفِ الدَّارِ، وَسَمَكُ

الأنهار، ليس في قرار سَمَك البحار. قراءةُ كتاب الصديق نِعْمَ تَرْياق سم الغم. قليل السلطان كثير، ومداراته حَزْمٌ وتَدْبِير، كما أن مُكاشفَتَهُ غُرُورٌ وتغريِر. شَرٌّ من الساعي من أنصت له، وشَرٌّ من متاع السوء من قبله. لا خَيْر في حُبِّ لا تُحتمل أَقْداؤُهُ. ولا يُشْرَبُ عَلَى الكَدْر مأوَهُ. خَيْر الكلام ما أَسْتُرِج من ضَدِّهِ إلى ضَدِّهِ. ورتع بين هَزْلِهِ وَجَدِّهِ. أوجع الضَرْب ما لا يمكن منه البِكَاء، وأشدُّ الشكوى ما لا يحققه الِاشْتِكَاء. كُلُّ غَمٍّ كان سبباً للسرور، فهو سرور، وكلُّ ظُلْمَةٍ كانت طريقاً إلى النور، فهي نُور. أبى الله أَنْ يَقَعَ في البئر، إِلَّا مَنْ حَفَرَ، وأنَّ يَحِقَّ المَكْر السيِّئُ إِلَّا بِمَنْ مَكَر. الدُّعاء غايَةُ من ضاق إمكانُهُ، ولم يُساعِدْهُ زمانُهُ. ما تَعِبَ من أَجْدَى، وما أَسْتراحَ مَنْ أَكْدَى، وحبذا كَدْرُ أورث نجحاً، وشوكة أجنّت ثمرا. للرئاسة شروطٌ وتوابع، وللتجارة فيها أرباحٌ ووضائع، فرأس مالها اعتقادُ المنن في الأعناق، وتبليغ الرِّجال مقادير الكفاية والِاستحقاق. مَنْ طَمَسَ عينَ الشَّمْسِ، فقد نطقَ عن مقداره في الحسن. هل عَلَى الأرض عارٌ أن تطلب سُقيا السَّماء؟ وهل عَلَى الفقراءِ نقصٌ أَنْ يَأْخُذُوا صَدَقَةَ الْأَغْنِياء؟. وهل يعيبُ النَّهْرُ أن يستمدَّ من البحر؟ وهي يضع السَّاري أن يستضيءَ البَدْر. قد يتواضع الأسد لصيد الأرنب، وأفتراس الثَّعلب. وإن كان يَصْطادُ الْفِيلَ، ويفترس الزَّندَ فيل. حقٌّ لنهر انشعب من بحر، أن يكون غزيراً ولنجم استضاء ببدر، أن يكون مُنيراً. بِالْآبَاءِ يَقْتَدِي الْأَوْلاد، وَعَلَى الْأَعْرَاقِ تَجْرِي الْإِجْيَاد. كُلُّ إِنْسَانٍ يَجْرِي عَلَى عِرْقِ أَوَّلِيهِ، وكلُّ إِنَاءٍ يَرْشَحُ بما فيه. قد يصبر الْكَرِيمُ عَلَى عِشْرَةِ مَنْ لا يحبُّهُ، ولا يميلُ إِلَيْهِ قَلْبُهُ. الْعَاقِلُ إِذَا ابْغَضَ انْصَفَ، وَإِذَا أَحَبَّ اَلطَّفَ. مَنْ ذا يَزْجُمُ الدَّاءَ وَالْمَوْتَ دَاوُهُ، وَيَثِقُ بِالْأَصْدِقَاءِ وَالْأَيَّامُ أَعْدَاؤُهُ. لا ثبات عَلَى سَمِ الْأَسْوَدِ، ولا قرار عَلَى زَارِ الْأَسَدِ. كيف يقدر عَلَى الدَّوَاءِ، مَنْ لا يَهْتَدِي إِلَى الدَّاءِ. وكيف يُدَاوِي أَعْدَاءَهُ، مَنْ لا يَعْرِفُ أَصْدِقَاءَهُ. قد هابَكَ مَنْ أَسْتَرَّ، ولم يُذنبَ إِلَيْكَ مَنْ أَعْتَذَرَ. وَمَنْ رُدَّ إِلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ أَخْرَجَهُ إِلَى

الشَّجَاعَةُ بعدَ الجبنِ، وأخرجَ ذنبه إلى صحنِ اليقينِ مِن سِتْرَةِ الظَّنِّ. ليس بينَ المَوَالاةِ والمُعَاداةِ إِلَّا لَقِيَّةُ شَنْعَةٍ، أو لَفْظَةُ قَذَعَةٍ. رَبُّ فِعْلٍ يُصَابُ بِهِ وَقْتُهُ فَيَكُونُ سُنَّةً، وفي غيرِ وَقْتِهِ يَكُونُ سُبَّةً. بِالصَّبْرِ يُنَالُ الْعُلَى، وعندَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى فِي الزَّوَايا خَبَايَا، وفي الرِّجَالِ بَقَايَا. أَشْرَفَ مِنَ الْحَقِّ مَنْ قَبْلَهُ، وَأَحْسَنُ مِنَ الْحَسَنِ مِنْ فِعْلِهِ. هل يَبْرَأُ الْمَرِيضُ بَيْنَ الطَّبِيبِينَ؟ وَهِيَ يَسَعُ الْغِمْدَ سَيْفَيْنِ؟ لَمْ أَرْ مُعَلِّمًا أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنَ الزَّمَانِ، وَلَا مُتَعَلِّمًا أَسْوَأَ تَعْلَمًا مِنَ الْإِنْسَانِ. قَدِمًا أَخْلَفَ الدُّوَاءُ شَارِبَهُ، وَخَانَ الرَّجَاءُ صَاحِبَهُ. مِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا وَلِيَ عَزَلَتْهُ نَفْسُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا عَزَلَ وَلَّاهُ فَضْلُهُ. كَيْفَ يُشْكِرُ الْقَمَرُ عَلَى أَنْ يَلُوحَ، وَالْمِسْكُ عَلَى أَنْ يَفُوحَ. وَكَيْفَ يُقَالُ لِلنَّجْمِ مَا أَضْوَاكَ، وَلِلْفَلَكَ مَا أَعْلَاكَ، وَلِلْعَسَلِ مَا أَحْلَاكَ. إِنَّ وَلَايَةَ الْمَرْءِ ثَوْبُهُ، إِنْ قَصُرَ عَنْهُ عَرِي مِنْهُ، وَإِنْ طَالَ عَلَيْهِ عَثَرَ فِيهِ. مَا الْمَحْنَةُ إِلَّا سَيْلٌ، وَالسَّيْلُ إِذَا وَقَفَ أَنْصَرَفَ. وَمَا الْأَيَّامُ إِلَّا جَيْشٌ، وَالْجَيْشُ إِذَا لَمْ يَكِرْ، فَقَدْ فَرَّ، وَإِذَا لَمْ يُقْبَلْ إِلَيْكَ فَقَدْ أَدْبَرَ عَنْكَ. مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْطَادَ قُلُوبَ الرِّجَالِ، نَثَرَ لَهَا حَبَّ الْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ، وَنَصَبَ لَهَا أَشْرَاكَ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ. إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عِبَادَةِ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ أَسْتَرَزَاقَ مَرْزُوقٍ، فَلْيَضَعْ الْحَرِّقَةَ بِيَدِي كَرِيمٍ، وَلْيَجْعَلْ غُدُوَّهُ وَرَوَاحَهُ إِلَى بَابِ عَظِيمٍ. فِي كَتَمَانِ الدَّاءِ، وَفِي عَدَمِ الدُّوَاءِ، عَدَمُ الشِّفَاءِ. مَنْ لَمْ يَنْهَ أَخَاهُ فَقَدْ أَغْرَاهُ، وَمَنْ لَمْ يُدَاوِ عَلَيْهِ فَقَدْ أَدَاوَاهُ. نِعَمُ جُنَّةِ الْمَرْءِ مِنْ سَهَامِ دَهْرِهِ، نَزْوُلُهُ عِنْدَ قُدْرِهِ، وَنِعَمُ السَّلَامِ لِلْأَرْزَاقِ، طَلِبُهَا مِنْ طَرِيقِ الْإِسْتِحْقَاقِ. مَا أَكْثَرَ مَنْ يَخْطِيءُ بِالصَّنِيعَةِ طَرِيقَ الْمَصْنَعِ، وَيَخَالِفُ بَزْرَعِهِ مَوْضِعَ الْمَزْرَعِ. أَكْبَرُ مِنَ الْأَسِيرِ مَنْ أَسْرَهُ ثُمَّ أَعْتَقَهُ وَأَشْجَعَ مِنَ الْأَسَدِ مَنْ قَيَّدَهُ ثُمَّ أَطْلَقَهُ إِذَا عَتَقْتَ الْمُنَادِمَةَ صَارَتْ نَسَبًا دَانِيَا، وَكَانَتْ رَضَاعًا ثَانِيَا.

ما أخرج من كلام الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي
 لله الطافُ تتصر من الباغي، وتقضي بنيل المباغي. الفاضل لا يسلم من

الْفَدَح، ولو غدا أقوم من الْقِدَح. النِّعْمَةُ عروس مَهْرها أَشْكَر، وتَوْب صَوَانه
الْبِشْر. لو كان الشَّبَاب فِضَّةً كان الشَّيْب لها خَبِثًا. الخَضَاب، تذكُّر الشَّباب.
ما جُمِش الودَّ بمثل العِتَاب. الشَّكْل للكتاب، كالحَلْي للكَعَاب، رُبَّ كلام أحلى
من ريق النحل، وأصفى من ريق الوَبَل. كم بين من حالف الشيطان فأعتصم
بحبله، وبين من خالفه فاعتصم من ختله. رُبَّ لَاح، في بلاغ. الأَدَبُ زَيْنُ
وجال، إن تطعَّمت به نفع، وإن تروَّيت به نفع، وإن تعطَّرت به طمع، وإن
تحلَّيت به لَمَع. خيرُ الكلام ما كان لفظه فَحْلًا، ومعناه بكرا. القلم أحسن مطيَّة
تمشي براكبها رَهْوا، وتكسو الأنامل رَهْوا. أين المَهَاوي من المَراقِي، والأقدام
من التَّراقِي. الدُّنيا قنطرةٌ لمن عَبَّر، عبرة لمن آسْتَبَصِر وأَعْتَبِر.

ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني
الكلامُ معجون، والحديثُ شُجُون. نعم الرِّفِيق، التَّوفِيق. المرء لا يُعرف
برُده، كالسِّيف لا يعرف بغمده. رأسُ اليتيم يحتمل ألوهن، ولا يحتملُ
الذَّهن، وظَهْرُ الشَّقِيّ يَحْمِلُ عِدْلَيْنِ من أَلْفَحْم، ولا يَحْمِلُ رَطْلَيْنِ من أَلَشَّحْم.
لولا الشَّعِير، ما نهقت الحمير. الكلبُ بزمان، حين يسمن، ولا يتبع، حين
يشبع وعند الجوع، يهم بالرجوع. نارُ الحلفاء، سَريعةُ الانطفاء. الحِلْدُ، لا
يزيد الرِّزْق. والدَّعة، لا تحجب السَّعة. لا يكونن مثلك كمن صام حَوْلًا.
وشَرِبَ بَوْلًا. احتكم إلى الحجارة، فَالْتَّغَيَّرَ نصفُ التَّجَارَة. المرء يُساق إلى ما
يُرَاد به. غَضَبُ العاشق أَقْصَرُ عُمْرًا، من أن ينتظر عُذْرًا. المَرْءُ يُدَبِّر،
وَالْقَضَاءُ يُدَمِّر، والآمالُ تَنْقَسِم، والآجالُ تَبْتَسِم. للمقموَر أن يستخف
ويستهين، وللقامر أن يحتمل ويلين. إن بعد الكَدَر صفوًا، وبعد المَطَر صَحْواً،
لا تكاثروا الله في بلاده، ولا تراءَوْه في مُرادِه، (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ). الحبل لا يُبْرَم إِلَّا للقتل، والثور لا يُرَبَّى إِلَّا للقتل. أَرخصُ ما

يكون ألفظ إذا غلا، وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا لا يُحسد الذئب على الإلية يعطاها طعمة، ولا بحسب الحب ينثر للعصفور نعمة. إن للمتعة حداً، وإن للعارية رداً. ما كل مائع ماءً، ولا كل سقف سماءً، ولا كل بيت بيت الله، ولا كل محمد رسول الله. الكريم عند أولي اللوم، كالماء في فم المحموم، وسم المبرسم في الشهد، والشمس تقبح في عيون الرمد. الخبر إذا تواتر به أنقل، قبله ألعقل. سبيل الإنسان، في الإحسان، سبيل الأشجار، في الثمار، فسبيله إذا أتى بالحسنة، أن يرقد إلى السنة. جهد المقل، خير من عذر المخل. النذل، لا يلم العزل. إن الوالي سيعزل، وإن الرأكب سينزل. المدين يحسب النسيئة عطية، ويعتدها هدية. من الذي لا يهاب البحر أن يخوضه، والأسد أن يروضه. لن يبتل العرف في القياس، ولا يذهب بين الله والناس، الطباع إلى الذم أميل. والعقرب، إلى الشر أقرب. واللسان بالقدح، أجرى منه بالمدح. والحاسد يعمى عن محاسن الصبح، بعين تترك دقائق القبح. للثقات خيانات، في بعض الأوقات. هذه العين تريك السراب شراباً وهذه الأذن تسمعك الخطأ صواباً. لست بمعذور، إن وثقت بمحذور.

ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيغاء رسوم الكرم ديون. الأفعال، نتائج الآمال. رب ظلوم يتظلم. المكاتبه ترجمة آنية. السيد المتواضع كالشمس الباهرة بضياؤها، القريية مع اعتلائها. الصديق الصدوق كالأمن الذي لا صبر عنه. والغيث الذي لا عوض بحال منه. دولة لا تختص بنفعها الأحرار غير مفروح بها، ولا مأسوف عليها. المعرفة بأسرار الآلات، أقوى معين على الصناعات. كيف يوصي الناظر بنوره، أم كيف يحث القلب على حفظ سروره. إن أنتهاء الشيء إلى أقصى حده ناقل له عما كان عليه إلى ضده. لو تكافأ الناس في فصل الخطاب، لما عُرف الخطأ من الصواب. الانقياد لأوامر الهمم المنيفة، من نتائج الأخلاق الشريفة.

ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي

مَنْ أَصْلَحَ فَاسِدَهُ، أَرْغَمَ حَاسِدَهُ. مَنْ أَطَاعَ غَضِبَهُ، أَضَاعَ أَدَبَهُ. عَادَاتُ
السَّادَاتِ، سَادَاتُ الْعَادَاتِ. وَشَيْمُ الْأَحْرَارِ، أَحْرَارُ الشَّيْمِ. مِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ،
وَقُوفِكَ عِنْدَ حَدِّكَ. أَفْحَشُ الْإِضَاعَةِ، الْإِذَاعَةُ. الْخَيِّبَةُ، تَهْتِكُ آهِيَّتَهُ. فِي
الِدَّعَةِ، رَائِدُ الْضُّعَةِ. مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ نَسِيبًا، فَلَا تَرْجُ مِنْهُ نَصِيبًا. الرِّشْوَةُ
رِشَاءُ الْحَاجَةِ. اشْتَغَلَ عَنِ لَذَاتِكَ، بَعْمَارَةِ ذَاتِكَ. أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كَانَ
لِلْإِخْوَانِ مُذِلًّا، وَعَلَى السُّلْطَانِ مُدِيلًا. حَبِيبُكَ، مَنْ لَا يَعْيِيكَ. إِذَا بَقِيَ مَا
قَاتَكَ، فَلَا تَأْسَ عَلَى مَا فَاتَكَ. الدُّنْيَا فَنَاءٌ. الْفَنَاءُ. الْبِشْرُ عِنْوَانُ الْكِرَمِ. مَنْ
تَبَرَّجَ بَرَّهُ، تَأَرَّجَ ذِكْرُهُ. مَنْ حَصَّنَ أَطْرَافَهُ، حَسَّنَ أَوْصَافَهُ. الْمِرَاءُ يَهْدِمُ الْمُرُوءَةَ.
الْفَهْمُ شِعَاعُ الْعَقْلِ. رَضِيَ الْمَرْءُ عَنْ نَفْسِهِ، دَلِيلُ تَخْلُفِهِ وَنَقْصِهِ. الْحِدَّةُ وَالْعَزِيمَةُ
فَرَسَا رِهَانِ. الْجُودُ وَالشَّجَاعَةُ شَرِيكََا عِنَانِ. الْعَجْزُ وَالْتَوَانِي رَضِيعَا لِبَانِ. نَعَمْ
الْشَّفِيعُ إِلَى عَدُوِّكَ عَقْلُهُ. لَا تَغْتَرَّنَ بِصَحَّةِ مَزَاجِكَ فِي الْهُوَاءِ الْوَبِيِّ. وَلَا تَغْتَرَّنَ
بِقُوَّةِ بَصْرِكَ فِي الظُّلْمَةِ الرَّائِكَةِ. أَفْرَاطُ التَّغَافُلِ، تَثَاقُلُ. رَبُّ مَقَالٍ لَا تُقَالُ
عَشْرَتُهُ. حُسْنُ الْأَخْلَاقِ، أَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ. الْحِلْمُ مَطِيَّةٌ، وَطِيَّةٌ. كَيْفَ الْقَرَارِ،
عَلَى الشَّرِّارِ. مَسَلُّكَ الْحُزْنَ، حَزْنٌ. أَحْصِنِ الْجَنَّةَ، لَزُومُ السَّنَةِ. الرَّدُّ الْهَائِلُ،
خَيْرٌ مِنَ الْوَعْدِ الْهَائِلِ. الْخِلَافُ غِلَافُ الشَّرِّ. نَعَمْ الْعُدَّةُ، طَوْلُ الْمُدَّةِ. الْبِرَايَا،
أَهْدَافُ الْبَلَايَا. حَذِّ الْعَفَافِ، الرِّضَاءُ بِالْكَفَافِ. مَنْ لَزِمَ السِّلْمَ سَلِمَ.
الْخُرْقُ، آفَةُ الْخُلُقِ. إِفْرَاطُ السَّخَاوَةِ، رَخَاوَةٌ. رُبَّمَا كَانَتْ الْعَطِيَّةُ، خَطِيئَةً.
الْفَلَسَفَةُ فَلُّ السَّفَةِ. لِكُلِّ حَادِثٍ حَدِيثٌ مَا كُلُّ خَاطِرٍ، بِعَاطِرٍ. الْبَشْرُ نُورُ
الْإِجَابِ. الْبَخْلُ سَوْسُ السِّيَاسَةِ. الْعَفِيفُ، يَكْفِيهِ الطَّفِيفُ. لِسَانُ النَّصِيحِ
فَصِيحٌ. التَّصَلُّفُ، تَرْجُمَانُ التَّخَلُّفِ. مَنْ تَعَطَّلَ، تَبَطَّلَ. أَدْهَى الْمَصَائِبِ، كَثْرَةُ
الْمَعَايِبِ. إِفْرَاطُ الدَّمَاثَةِ، غَثَاثَةٌ. إِفْرَاطُ الْفَخَامَةِ، وَخَامَةٌ. إِفْرَاطُ التَّنَائِي تَوَانٍ.
الْإِنْصَافُ أَحْسَنُ الْأَوْصَافِ. عَلَيْكَ بِالْحَذَرِ، مِنَ الْهَذَرِ. رُبَّمَا تَكُونُ الْمَنِيَّةُ، هَنِيئَةً.

معنى المعاصرة، ترك المعاصرة، ما لخرق الرقيع مُرَقَّع . ربما تكون العناية،
جناية. قَدَّرُ الأمين، ثمين. قُوتك، قُوتك. الغيث، لا يخلو من العيث.

ما أخرج من كلام أبي النصر عبد الجبار العتبي

الشباب باكورة الحياة. الشيبُ رداء الردى. تَعَزَّ عن الدنيا تَعَزَّ. لسانُ
التقصير، قصير. مَن يَكْسُ، وُكْسُ ونُكْس. البخلُ فراشُ العار، والجِرْصُ
فراشُ النار. إذا قَرَعَ المرء باب الكهولة فقد أَسْتَأْذَنَ عَلَى آلِئِل. الوَقَاحَةُ،
كحجرَ الْقَدَاحَةِ. لولاه ما أَسْتَعْرَ هُب، ولا أَسْتَعْلَ حَطَب. للهَمَّ في وخز
النفوس، حالُ آلسوس. في خَزْ آلسوس. السَّفْهُ نباحُ الإنسان. الرَفْقُ لقاحُ
الصلاح، وجنَّاحُ النِّجاح. عَجِبْتُ لِمَن يَسْمَحُ بِالرُّوحِ أَضْطَرَارًا، كيف لا يَسْمَحُ
بِأَمَالٍ أَخْتِيَارًا. الصِّلَةُ المستورة، كالحِلَّةِ المنشورة. حَفِظُ الْإِيمَانَ، من وثاق
الإيمان. مَن ثَمَلَ من كَأْسِ أَثْنَاء، طَرِبَ لِأَنَسِ الْإِقَاء. تناسي المعروف قِلادة
في جيد الجود. التجربةُ مرآةُ المرء. الشَّعْرُ قرآنُ الشيطان. الخمرُ مطيئة الخطية.
التَغَاوُلُ من رُمُوز الكرم. إِيَّاكَ وَآجَدَلُ فَإِنْ أَوَّلَهُ مَجَارَاة، وأوسطه مُبَارَاة، وآخره
مُمارَاة. الْأَنَاةُ سَمْتُ العاقل، وَسِمَةُ الْفَاضِل. العاقلُ مَن أَصْبَحَ مِنَ الْأَجَلِ،
عَلَى وَجَل. [للبقول أحرار، وفي الطَّيْرِ عِتَاق. الشَّيْبُ أَحَدُ كَافُورِي الْكَفَنِ،
حسن الخلق في الخلد. البدعة شَرَكُ الشِّرْكَ. ربي ربي عَلَى كُلِّ خَفِي (كذا).
تَكْلِيلُ المعروف تعجيله، وتَتَوَيْجِجُه، وتَطْوِيْقُه، تحقيقه، وتسويره، تيسيره،
وتوشيجه، تسريجه. الماء يطيب المسك. العشرة بعنبر الإنصاف. إذا سمعت
نعمة الشكر طربت للمزيد. عُدتِي فِي الْعَقْبَى، مَوَدَّتِي فِي الْقُرْبَى].

ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي

في كتابه كتاب الفرائد والقلائد

أَعْمَى النَّاسُ مِنْ أَطَالِ الْخُطْبَةِ، وَأَسَاءَ الْخُطْبَةِ. أَشَدُّ الْغُصَصِ، قَوْتُ

الفرص العَدْلُ أقوى جيش، وآلأمن أهنا عيش. من صاحب العلماء وُقِر،
ومن صاحب السُّفهاء حُقِر. خيرُ أموالك ما أنفقت منه، وخيرُ أعمالك ما
وُفِّت فيه. أبعدُ أَلِهم. أقربها من الكرم، رأس الفضائل، اصطناعُ الأفاضل،
ورأس الرذائل، اصطناعُ الأراذل. من أعز نفسه، أدلَّ فلسه. من حُسُن
صَفَاؤه. وجَبَ اصطفأؤه. من بَسَطَ راحته، آنس ساحته. من ركب الحق،
غَلَبَ الخلق. من ساءَ عقده، سرَّ فقده. من تعدى على جاره، ذلَّ على لُوم
نجاره. من أحسن الاختيار، أحسن إلى الأختيار. من فعل ما شاء، لقي ما
ساء. من زرع الإخن، حصد المِحن. من زلَّ نعله، زال عقله. من حسنت
حاله، استحسن محاله. لا يخلو المرء من ودودٍ يمدح، ومن حسودٍ يقذح.
الشرفُ بألهمم العالية، لا بالرَّمم البالية. من طال أمله، ساءَ عمله. [ازرع
الأخيار بسيفك، وأحصد الأشرار بسيفك. إذا سنحت لك إلى السلطان حاجة
فلا ترفعها إليه ما لم ترَ وجهه بسيطاً، وقلبه نشيطاً، وبشره بادياً، وذُرعه
خالياً].

ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب

من صلى لله لم يصل ناره. الصدقة صدائق الجنة. بشر وفد، الله برِّفد
الدَّارين. سبحان مقدّر الأقوات، على اختلاف الأوقات. العلمُ أشرف ما
وعيت، وأخيرُ أفضل ما أوعيت. الصدقُ بالحرِّ أحرى، وفي طريق المروءة
أجرى. الهوى سلافٌ مُونق، مزاجه دُعافٌ مُوبق. الكريمُ ثقلٌ هَناته، وتكثر
هباته. القلوبُ لا تستمال، بمثل المال. العرض، هو الغرض، وآمال، هو
المال. ما بقاء آمال بين حوائج الإنسان، وجوائح الزَّمان. العينُ للعين قُرة،
وللظَّهر قُوة. الدرهم أنفذ الرِّسائل، وأنفع آلوسائل، وأنجح المسائل. نقصانُ
آلغة، زيادة آلغة. لا توتى الضيعة أكلها. إلَّا من يحمل كلَّها. خلف الوعد،
خلقُ ألوجد. الورد نسيمُ ألروح، نسيبُ ألروح. الصديق ثاني النفس، وثالث

العينين. لقاء الصديق رُوح الحياة، وفراقه سَمُ الحَيَّات. الحاجة إلى الأخ
 المُعين، كالحاجة إلى الماء المعين. ربما كان التَّقَالِي، في التَّلَاقِي. رُبما أدَّت
 المُجادلة، إلى المُجادلة. إذا أَلَمَّ أَلَمٌ، فآلمَاجلة بالمعالجة. مَن كَرُمَت خِصاله،
 وجَبَ وصاله، وَمَن كَثُرَ هُجْرُهُ، وجَبَ هَجْرُهُ. عَرَفُ العُرف يَضوع عند
 الكَرِيم، ويضيق عند اللَّئِيم. طوبى لمن كانت نفسه مُراحة، وعِلَّله مُراحة.
 طوبى لمن أَمِنَ سِرِّبه، وصفا شربه. ويلٌ لمن كان بين عَزِّ النَّفس، وذَلِّ الحاجة.
 ويلٌ لمن كان بين سَخَطِ الخالق، وشماتة المخلوق. كم مُعسير في آلياب
 الأخلاق، مُوسر في مكارم الأخلاق. لو كانت المشاجرة شَجَرًا، لم تُثمر إلَّا
 ضَجَرًا. مَن اعتقد الصِّلاح، اقتعد الفلاح. مَن جَلَبَ ذُرَّ الكلام، حَلَبَ ذُرَّ
 الكِرَام. من عاداه قَوْمه، طار. نَوْمُهُ، وطال يَوْمُهُ. الرَّجُل مَن تُثنى به الخناصر،
 وتُثنى عليه السَّبابات، وتُعَضُّ من أَلْغِيظ عليه الأَباهيم. المَلِك مَن تَبَيَضُ آثارُ
 أياديه، وتسودُّ أيامُ أعاديته، وتُخَضَّرُ مواضع سَيِّبه، وتُحْمَرُّ مواقع سيفه. إذا عَدَلَ
 أَمَلِك فقد اعتدل أَلْجَانِف، وأَقْصَرَ أَلْجَانِف، وأَمِنَ أَلْجَانِف. مذاكرة أَدْبَاءِ
 الإِخوان، أَطيبُ من مُغازلة أَلْغَزَلان، وأَمْتَع من حركات الرِّيح بين أَلْريحان.
 الأَنسُ في المجلس أَلْخاص، لا في المحفل أَلْغاص. التَّقِي مَن عَزَفَ أَعراض
 هَمَّتْهُ عن أَعراض الدُّنيا. إذا أَقبل جَدُّ المَرء فالإقبال يُسْعِدُهُ، والأوطار تساعده،
 وإذا أدبَر فالأيلامُ تُعَادِيهِ، وأَلْنَحوسُ تُراوِحه وتغاديه. أَحْسِنُوا مُجاوَرَةَ النِّعْمَةِ فإنها
 سَرِيعَةُ النِّفَرَةِ، شديدة الطَّفَرَةِ. بعيدة أَلْسَفَرَةِ. ما أدلُّ حُسْنِ أَلْسِيرَةِ، عَلى طيب
 أَلْسَرِيرَةِ. الحازِم مَن تَزوَدَ لِمَا بِهِ، قبل أن يصير لِمَا بِهِ. البُخْلُ بِالطَّعام، من
 أَخلاق الطَّعام. لا يَطِيبُ حُضور الخِوان، إلَّا مع الإِخوان. الصَّدِيقُ لا يَحْطُرُ،
 تَقْدِيمُ ما يَحْضُرُ. لا يَحْصُلُ بَرْدُ العَيْشِ إلَّا بِحَرِّ أَلْتَّعَب. إذا أُسْفِرَ صُبْحُ أَلشَّيْبِ
 فقد هوى نَجْمُ أهوى. ووهى حَبْلُ أَلصِّبا. مَن كان في أَلْموق عريقًا، كان في
 يَمِّ أَلهَمِّ غريقًا. مَن كان عليك عاتبا، كان لك عاتبا. مَن أذال وجهه، أذَلَّ
 نفسه. بعضُ أَلناس كالغذاء أَلنافع، وبعضهم كالسَّمِّ أَلنافع. ثمرة رأي

الأديب المشير، أحلى من الأري المشور. قوة الوسيلة جناح النجاح، ربّ كلام له حُسْنُ الوجوه الصّباح، وسحرُ الحَدَق الملاح. ربّ كلامٍ أملح من أطواق القماري، وأذكى من العود القماري. الصعب مع القضاء ذلول، والعزير به ذليل. الأمطار، تعوق عن الأوطار. والأوحال، تحول عن الوصال. الصبر أحجى، بذي الحجى. من تبصر، تبصر. ليالي الشّور غر، وأيام الموم غبر. أخلق بمن كان وجهه دميما أن يكون فعله دميما. ومن كان وجهه وضيا، أن يكون فعله رّضيا. ما من لحظة إلا ومعها صنع من الله خفي، ولطف خفي. ما الخلاص، إلا في الإخلاص. من افتقر إلى الله استغنى. صدق المناجاة، سبب النجاة.

آخر كتاب الأمثال والحكم والمواعظ وما يخلو حدودها من كتب سحر البلاغة وسرّ البراعة ما كتب لخزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

فرغ من تسويده وتسطيره المفتقر إلى فضل الله وغفرانه محمد بن أحمد بن الحسن السّرجهاني في محروسة ماردین بالمدرسة الخاتونية الرّضية تغمدّها الله برحمته

لست بقين من شهر الله الأصمّ رجب سنة سبع وخمس مائة

فهرس كتاب سحر البلاغة وسر البراعة

- ب كلمة الناشر.
ج ترجمة المؤلف.
٣ وصف النسخة وتصحيحها.
٤ راموز الصفحة الأخيرة.
٥ مقدمة المؤلف.
٧ كتاب ذكر الله تعالى.
(ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه).
مقدمات.
غرر التحاميد.
٨ وصف الحمد.
عادة الله جل ذكره.
صنع الله ولطفه.
٩ ذكر الله تعالى في أثناء الكلام ذكر
النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
١٠ الصلاة عليه مع الإفصاح.
ذكر اللال.
١١ ذكر القرآن.
١٣ كتاب الأزمنة والأمكنة.
(وما يتصل بها ويشاكلها).
في الربيع وإقباله.
- ١٤ في النسيم ووصف أثره.
١٤ في وصف الرياض.
١٥ في وصف البساتين.
١٥ في ذكر النرجس والورد والشقائق.
في غناء الأطيوار.
١٦ في وصف أيام الربيع.
مقدمة المطر.
١٦ في السحاب والمطر.
١٧ في وصف الماء وما يتصل به.
في ذكر الصيف ووصف الحر.
١٨ ذكر الخريف.
في الشتاء ووصف البرد والثلج
والجمر.
١٩ في الإستظهار على البرد.
١٩ في نعت الأيام الشتوية.
أبواب ذكر الليل والنهار
ووصف أوقاتها واختلاف
أحوالها وما يتصل بها
في ذكر إقبال الليل وانتشار الظلمة
وطلوع الكواكب.

- ٢٠ ذكر الليالي المظلمة.
 ٢٠ في ذكر الليالي الطلقة الطيبة المشكورة.
 في ضد ذلك وذكر طول الليل.
 ٢١ فيما يذكر من السهر لاعتراض الهموم والفكر.
 ٢١ ذكر النعاس والنوم.
 ٢٢ انتصاف الليل.
 تناهي الليل وتصرمه.
 ٢٢ إقبال الصبح وانتشار النور.
 أقول النجوم.
 ٢٣ طلوع الشمس وانبساط الضوء.
 متوج النهار.
 ٢٣ انتصاف النهار.
 اصفرار الشمس وغروبها.
 ٢٤ ذكر ابتداء الليل إلى انتهائه.
 (أبواب الأمكنة والأبنية).
 في وصف البلاد.
 ٢٤ في ضد ذلك.
 ٢٥ في ذكر الوطن.
 في الحصون والقلاع.
 ٢٦ في القصور.
 في الدور السرية.
 ٢٦ في الدور المتداعية الخالية.
 ٢٩ كتاب أحوال الإنسان.
 (من لدن صغره وغمائه إلى كبره وانتهائه).
 في ذكر الصبية الصغار.
 في حسن مخايل المولود.
 ٢٩ في ذكر الغلام الأمرد ووصف محاسنه.
 ٣١ في الصدغ والشارب والعدار.
 وصف خروج اللحية وذمها.
 نعت محاسن الجوازي.
 ٣٢ ذكر الشاب الغض الشباب.
 خلاعة الشاب وتصاييه.
 ٣٣ في ذكر الشاب الرشيد وترشحه للمعالي.
 وَخَطُّ الشَّيْب وانتشاره.
 ٣٤ في الإكتحال والإحتناك والأرعواء عن مجاهل الشباب.
 ٣٥ استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة في الهرم ومشاركة الفناء.
 ٣٧ كتاب الطعام والشراب.
 (وما ينضاف إليهما ويقترن بهما).
 في الفواكه والثمار.
 ذكر الجوع.
 ٣٨ وصف القدور.
 ٣٨ مقدمة الطعام.
 وصف الموائد.
 وصف الألوان من الأطعمة.
 ٣٩ في وصف ألوان من الحلواء.
 ذكر النهم الأكل.
 ٤٠ في وصف مجالس الأنس وآلات اللهو.
 ٤١ فيما يتصل به من الألفاظ.
 ٤١ في الأستزارة.
 في الكناية عن الشراب.
 وصف الشراب.
 ٤٢ في تأثيره في القوم.
 فقر وغرر تليق بهذا الباب.
 ذكر الغناء والمغني.

- ٤٣ في ذم المغني.
 في استهزاء الشراب.
 ٤٥ كتاب وصف النظم والشر.
 (وأصحابها والاتباء وأدواتها).
 وصف حسن الخط.
 ٤٦ في سرعة الكتابة.
 وصف النثر بما يشتمل عليه من
 الألفاظ والمعاني.
 ٤٧ ذكر البلاغة والبلغاء.
 ٤٨ في سرعة الخاطر ونفاذ الطبع.
 زلاقة اللسان والفصاحة.
 ٤٩ ذكر الإطناب.
 وصف النثر والنظم معاً.
 ٥٠ وصف الشعر.
 ٥١ وصف الشعراء.
 في نعت الشعر السائر.
 ٥١ في ذكر شعر الأكابر والملوك.
 ٥٢ وصف الكتب البليغة الغزيرة.
 وحسن موقعها.
 ٥٢ تشبيهات هذه الكتب.
 ٥٣ وصف قصر الكتب.
 ٥٤ في ذم الخط والقلم.
 ٥٤ في ذم الكلام.
 ٥٥ في ذم الكاتب.
 ٥٥ في الشاعر والشعر.
 ٥٦ أوصاف أدوات الكتاب وآلات
 الكتاب.
 في نعت المداد.
 في نعت القلم.
- ٥٧ في نعت السكين.
 ٥٩ كتاب الممدوح والأثنية.
 (وما يجري مجراها ويأخذ مأخذها).
 المدح بشرف الأصل وكرم النسب.
 ما يختص من ذلك بأبناء النبوة.
 ٦٠ في المدح بجمع بين شرفي الأصل.
 والنفس وفضلي الإنتساب
 والإكتساب.
 المجد والشرف والعلو.
 ٦١ الجود والكرم.
 ٦٢ الجمال وحسن الصورة.
 البشر والبشاشة.
 ٦٢ العلم والأدب.
 ٦٣ حسن الخلق.
 الظرف واللباقة وحسن العشرة.
 ٦٤ طيب الخبر.
 حسن العهد وكرم الود.
 ٦٤ أصابة الرأي.
 ٦٥ التجربة والخنكة.
 ٦٦ في الهمة العالية.
 الشهامة والنفاذ والجد والجلادة.
 ٦٧ التقى والزهد.
 الكمال والأنفراد عن النظرآء.
 ٦٧ التفضيل والترجيح.
 ٦٨ ما يليق ببعض هذه المدائح من
 حكاية أفعال المحسنين وحسن أثار
 المنعمين والألفاظ التي تقع في
 الشكر ونشر البر.
 ذكر الإفضال والإنعام والإحسان

- والإصطناع.
- ٦٨ حسن آثار المنعم.
- ٦٩ وصف النعم.
- ٦٩ وصف الأيادي والمنن.
- ٧٠ ذكر وفورها وكثرتها.
- ٧٠ التشريف والتنويه.
- ٧١ ذكر الشكر.
- ٧١ العجز عن الشكر لتكاثر الإنعام والبر.
- ٧٢ حسن الإفصاح عن الشكر والثناء.
- ٧٢ دلالة الحال على ما وراءها.
- أدعية تليق بهذه الأحوال بهذا الباب.
- ٧٥ كتاب المساويء والمقايح (وما يذانيها)
- اللوم والخسة.
- في البخل.
- ٧٦ القبح والدمامة والحقارة.
- الثقل والبغض والبرد.
- ٧٧ البخر وترك التنظف.
- الجهل والخرق والسخف.
- ٧٨ الخسة مع الثروة والإقتصار من الإنعام والإفضال على التنعم والتجمل وجمع المال وترك التطول.
- القلة والذلة.
- ٧٩ خبث الطوية ومخالفة الباطن الظاهر.
- ما يختص من هذا الباب بالمرائين من الفقهاء والعدول والقضاة.
- ٨٠ الكذب والبهتان.
- خبث اللسان والفعل.
- ٨١ الإستهداف لسهام الغائبين.
- التيه والكبر.
- الحسد.
- ٨٢ دناءة النفس مع شرف الأبوة.
- النميمة.
- الجبين.
- ٨٢ خلف الوعد وكثرة المظل.
- ٨٣ صعوبة الجانب.
- ٨٣ العجز.
- ٨٥ كتاب العيادة (وما يجانسها)
- ذكر التشكي والمرض.
- اشتداد العلة وسوء الظن بها.
- ٨٦ الإنزعاج لعارض العلة.
- تهوين أمر العارض بحسن الرجاء.
- ذكر المشاركة في العلة.
- ٨٧ الإهتمام للعلة ثم الإستبشار بزوالها.
- شكاة أهل الفضل والسؤدد.
- ٨٨ أدعية العيادة.
- تنسم الإقبال بعد اليأس.
- ذكر الإبلال وحمد الله عليه والدعاء عنده.
- ٨٩ الإستشفاء بكتب العيادة.
- ٩١ كتاب التهاني والتهادي (وما ينخرط في سلوكها ويأخذها مأخذها)
- ألفاظ التهنية بمولود.
- ٩٢ ما يختص منها بالملوك.
- الأدعية للمولود والوالد.
- ٩٣ ما يختص منها بالملوك والسادة.

- ذكر المولود العلوي .
- ذكر التوأمن .
- ٩٤ في التهنة بالبن .
- ٩٥ ألفاظ التهنة بالإملاك وما يقترون بها من الأدعية .
- ألفاظ التهنة بالولايات .
- ٩٦ ما يختص منها بالوزراء .
- ٩٧ ما يختص منها بالقضاة .
- الأدعية التي في التهاني بالأعمال والولايات .
- ٩٨ ذكر الخلع والأحبية ووصفها في التهنة بالقدوم .
- ٩٩ ألفاظ في التهنة بالحج وتفخيم أمر الحج وتعظيم المناسك والمشاعر وما يتصل بها من الأدعية .
- ١٠٠ في ألفاظ التهنة بالإطلاق من الحبس التهنة بإقبال شهر رمضان وما يتصل بها من الأدعية .
- ١٠١ الأدعية في التهنة بالعيد .
- ما يختص منها بالأضحى .
- ١٠٢ التهنة بالنيروز وفصل الربيع .
- ١٠٣ التهنة بالمهرجان .
- إقامة رسم الهدية في النيروز والمهرجان وغيرهما من الأيام الغر .
- إهداء أهل الدفاتر وآلات الكتاب والآداب والعلوم .
- ١٠٥ كتاب التعازي (وما يليق بها)
- وصف الخبر الهائل المزجج .
- الكناية عن موت الرؤساء والأعزة .
- ١٠٦ ذكر النعي بالفقيد .
- نعي الملوك والأجلة وذكر سوء آثار المصائب فيهم .
- ١٠٧ ما يختص من ذلك بأبناء النبوة .
- ١٠٨ ذكر البكاء .
- ذكر الإستراحة بالبكاء والجزع .
- وصف عظم المصيبة ونقل وطأتها .
- ١٠٩ ذكر الإنخزال وكسوف البال والجزع والتوجع والإكتساب لحادث المصاب .
- ١١٠ التأين والندبة .
- ١١١ في أن الفدية لا تغني .
- ما يقع من كتب التعازي من وصف الدهر .
- ١١٢ ما يقع فيها من ذكر الدنيا وذمها الأمر بالصبر والنهي عن الجزع .
- ١١٣ ذكر الموت .
- ١١٤ في الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم لحكمه .
- في حمل قضاء الله على الأصلح لعباده .
- ١١٥ ذكر الأعمار والآجال .
- في التسلية ببقاء الباقي عن الماضي .
- ١١٦ فيما يجمع بين التعزية والتهنة .
- ١١٧ استظهار المشاركة والمساهمة .
- عظات التعزية .
- الأدعية للمتوفي .
- ١١٨ ما يختص منها بالملوك .

- ١١٩ ما يختص منها بالأشراف.
 في الدعاء للمعزى بالصبر والأجر.
 ١٢٠ سائر الأدعية للمعزى.
 ما يختص منها بالملوك.
 ١٢١ ما يختص منها بالأشراف.
 مخاطبة العلماء والزهاد في التعزية.
 ١٢٢ ذكر موتهم وتأبينهم.
 ذكر موت الأدباء والكتاب.
 ١٢٣ ذكر موت الأولاد الصغار والكبار.
 ما يختص من ذلك بأولاد الملوك.
 ١٢٤ ذكر احتضار الشبان.
 ١٢٥ في التعزية عن الأب.
 في التعازي عن الحرم.
 ١٢٧ كتاب الإخوانيات
 (وما يأخذ مأخذها)
 ذكر المودة.
 حسن المخالصة.
 ١٢٨ لطف الحال وتشبهها بالقرابة.
 الإختصاص والإتحاد.
 ١٢٩ المنادمة والمؤانسة.
 التودد والإفصاح عن صدق المحبة
 والموالة.
 ١٣٠ العبودية والخدمة.
 ١٣١ المناسبة بالعلم والأدب والمذهب.
 وصف الشوق.
 ١٣٢ سوء آثار الفراق والإشتياق وما يتصل
 بذلك.
 ذكر الوداع.
 ١٣٣ تذكر أيام اللقاء وصفوها.
- الأدعية الإخوانية.
 ١٣٤ ألفاظ الجواب عن شكوى الشوق.
 إهداء السلام.
 ١٣٥ ذكر العتاب.
 شكوى الإعراض والجفاء وسوء
 العهد.
 ١٣٦ سائر ألفاظ العتاب والإستزارة.
 ١٣٧ وصف العتاب عند الجواب عنه.
 لبس الصديق على علته والإغضاء
 عن هتاته.
 وصف الغيظ والحد.
 ١٣٨ الإعتذار والإستصفاح والإستعطاف.
 ذكر العذر الضعيف النافذ.
 ١٣٩ ذكر قبول المعذرة وزوال الوحشة
 والموحدة.
 ١٤١ كتاب السلطانيات
 (وما يأخذ مأخذها)
 ذكر الخلفاء.
 ذكر السلطان وطيب ثمرة من والاه.
 وسوء مغبة من ناواه.
 ١٤٢ العدل وحسن السيرة.
 حسن السياسة وتصريف أعنة
 المملكة.
 ١٤٣ يمين النقية.
 اتساع المملكة والإستظهار بالرجال
 وكثرة الأموال.
 ١٤٤ ذكر الملك المعظم النصر السعيد الجند
 الميمون الطالع.
 إصلاح المملكة وإحسان الآثار

- وتطبيب الأخبار فيها.
- ١٤٥ ما يختص من ذلك بالوزراء وأرباب الدولة وأوليائها.
- ١٤٦ ذكر حضرة الملك وساحة السلطان
- ذكر الوصول إليها والخدمة بتقبيل الأرض واليد.
- ١٤٧ ما يقع في هذا الباب من ذكر العصاة والأعداء ووصف أحوالهم ونعت أفعالهم البطر وكفران النعمة والضمير والإستيلاء.
- ركوب الهوى وطاعة الأمانى الكاذبة والآراء الفاسدة.
- ١٤٨ المداجاة والمراوغة في تربص الدوائر تسويل الشيطان لمن يقرع باب العصيان.
- ١٤٩ ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما يتعلق بخلال العصيان.
- ١٥٠ في التعرض للهلاك واستجلاب سوء العاقبة.
- في ذكر الظلم والظلمة وسوء آثارهم على العباد والبلاد.
- ١٥٢ ذكر الهرج وكثرة الفتنة.
- ١٥٣ التحذير والإنذار والإهابة إلى الرشاد.
- في العمى عن الرشاد والصمم عن المواعظ والإصرار على الضلالة.
- ١٥٤ إبراز صفحة المناظرة.
- استيجاب التكبر والمعاقبة.
- ١٥٥ الإبراق والإبرعاد.
- ١٥٦ احتشاد العدو.
- ذم جيش العدو.
- استهانة الأعداء واستحقارهم والتفاؤل عليهم.
- ١٥٧ قرب العدو من الهلاك.
- فيمن سعى بقدمه إلى مرق دم.
- ١٥٨ ذكر أنخزال الإعداء ووهلهم واستيلاء الرعب عليهم قبل المحاربة.
- ١٥٩ مسير الملك في جيوشه والتفؤل له.
- ١٦٠ وصف الجيش بالكثرة والشوكة والنصرة.
- وصف الأبطال والشجعان وأبناء الحروب.
- ١٦١ ذكر الأولياء والأعداء معاً
- ١٦٢ تعبئة الجيوش وترتيبها.
- تلاقي الجيشين وكشف الحرب عن ساقها
- اشتداد الحرب وحمي وطيسها.
- ١٦٣ أعمال الأسلحة.
- ١٦٤ حسن الغناء في الحرب والإيقاع بالأعداء وشدة النكاية فيهم.
- هبوب ريح النصر.
- ١٦٥ انجلاء المعركة عن القتل والجرحى والأسرى والهزمى.
- ١٦٦ ذكر القتل والقتلى.
- سوء أحوال المنكوبين والمحاط بهم.
- ١٦٧ الأسر والأسرى وتشهيدهم.
- هلاك الأعداء وفناؤهم.
- فيمن نجا برأسه وقد كاد يؤخذ.

- ١٦٨ ذكر المنهزمين ووصف أحوالهم.
 ١٦٩ ذكر ركوب الأولياء أكتاف المنهزمين
 وقرب متناولهم على الهلاك.
 ١٧٠ ذكر الغنائم.
 ذكر موت العدو.
 ١٧١ سلامة الأولياء على الحرب.
 جلالة شأن الفتح وعظم موقعه
 وحسن آثاره.
 إشاعة خبر الفتح.
 ١٧٢ حسن حال البلدة المفتوحة
 والتخفيف عن رعيته.
 الأدعية السلطانية عند الفتح
 والبشائر وغيرها.
 ١٧٣ الدعاء على أعداء الدولة.
 ١٧٤ استقرار الدار بالسلطان وما يتصل
 بذكر ذلك من الأدعية.
 ١٧٥ كتاب الشوارد والفوارد
 (وما يشبهها)
 هبوب ريح الإقبال.
 تبشير النجح والغنى.
 ١٧٦ حسن الحال ووفور المال.
 ذكر المال الصامت.
 تراجع الأمور وركود ربح النعمة.
 ١٧٧ إنحاء الخطوب والنوائب.
 سوء الحال واستحكام الحرقه.
 سوء أثر الفقر والضر.
 ١٧٨ وصف ثياب الفقر.
 وصف المتناهي في الفقر.
 ١٧٩ ذكر اليسر بعد العسر والإنتعاش من
- صرعة الدهر.
 وصف عيش الناعم المغبوط.
 ١٨٠ في ضد ذلك.
 السرور والإهتزاز.
 ١٨١ في ضد ذلك.
 ذكر الأمن.
 ١٨٢ في ضد ذلك.
 ذكر الطاعة بعد الإمتناع واللين بعد
 القسوة.
 الضياع وما يجري من الألفاظ في
 ذكرها ووصف أحوالها.
 ١٨٣ ذكر الفرس والبغلة والحصار.
 ١٨٤ وصف الأيام المشهودة والمشهورة
 التأيد.

١٨٥ كتاب الأمثال والحكم
(وما يحذو حذوها)

- ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي.
١٨٦ ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي.
ما أخرج من كلام أبي الفضل بن العميد.
١٨٨ ما أخرج من كلام أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي الوزير.
ما أخرج من كلام الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عبّاد.
١٩١ ما أخرج من كلام أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي.
١٩٢ ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف.
ما أخرج من كلام أبي الحسن علي بن القاسم القاساني.
١٩٣ ما أخرج من كلام أبي بكر محمد بن العباس الخوّار زمي.
١٩٦ ما أخرج من كلام الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي.
١٩٧ ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني.
١٩٨ ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغاء.
١٩٩ ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي.
٢٠٠ ما أخرج من كلام أبي النصر عبد الجبار العُتبي.
٢٠١ ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي.
ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب.

